تنبيهُ الغافِل

السيد
ناظم الصافي الموسوي

الطبعة الأولى : عام ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ضَرَاعَةٌ وَابتِهَال

اللهمَّ هذا دِينُكَ أصبَحَ بَاكِياً لِفَقْدِ وَلِيّكَ ، فَصَلِّ على مُحمدٍ وَآلِ مُحمدٍ ، وَعَجِّل فَرَجَ وَلِيّكَ رَحمَةً لِدينكَ .

اللهمَّ هَذا كِتَابُكَ أصبَحَ باكياً لِفَقْدِ وَلِيّكَ ، فَصلِّ على محمدٍ وآلِ مُحمدٍ ، وَعَجِّل فَرَجَ وَلِيّكَ رَحْمَةً لِكِتَابِكَ .

اللهمَّ وَهذهِ أعْيُنُ المُؤمنينَ أصبَحَت بَاكِيةً لِفَقْدِ وَلِيّكَ ، فَصَلِّ على مُحمدٍ وَآلِ مُحمدٍ ، وعَجِّل فَرَجَ وَلِيّكَ رَحمةً للمؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إِلَى قيام يوم الدين.

اما بعد:...

يشرفني أن أقدم لكم هذه الكلمات الطيبة راجياً من العلي القدير أن يكون لها في قلوبكم مكانٌ وفي أعمالكم أثرٌ وافعالٌ.

إن الأمة الإسلامية محصنة بدينها ما دامت ملتزمة بهذا الدين الحنيف، ونهجها القران الحكيم، والعترة الطاهرة، وقد يطرأ على بعض الأفراد بعض مظاهر الانحراف والغفلة التي عالجها الإسلام بأسلوب وقائي حتى لا يبلغ الضرر مداه والفساد منتهاه، وحمايةً للأمة من أثر الانحراف، ولا يوجد مجتمع يخلو من بعض مظاهر الانحراف، ويتفاوت حجم هذه الظاهرة من مجتمع لآخر كَمًا وكيفًا.

وفي عالم النفوس هناك دائرة من الانحرافات التي لا تخلو منها نفس من النفوس الا من عصمه الله سبحانه وتعالى، قال (صلى الله عليه واله وسلم): «كُل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، وحين يتجاوز الخلل هذا الحد يسمى انحرافًا ، ومن المعلوم أن الانحراف يبدأ يسيرًا ثم يزداد تدريجيًا، يتم الانحراف شيئًا فشيئًا حتى تتهاوى جميع الحصون التي كانت تعصم من الزلل.

ويحدث الانحراف نتيجة ضعف النفس البشرية قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[1]. ومقدمات هذه النتيجة هو الجهل وعدم البحث عن

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

الحقيقة وصراط الحق، فمن الانحراف ما يكون نتيجة زلة عارضة أو نزوة عابرة، وهذا أمره سهل حين يتبين لصاحبه الصواب فيثوب إِلَى رشده، ويقلع عن المعصية.

ومن الانحراف ما يشكّلُ جريمةً شائنة وخطيئة متعمدة، ومن الانحراف ما يأخذ طبيعة المرض الملازم لغياب الوازع الديني.

فقد منَّ الله تعالى علينا إذ بعث إلينا رسولاً من أنفسنا يعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبلُ لفي ضلال مبين، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[1]. فجاء (عليه الصلاة والسلام) فتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وحذرنا (صّلى الله عليه وآله وسلم) من الانحراف والغفلة والتسويف، واتباع غير سبيل المؤمنين، فالغالبية العظمى من المسلمين في شتى بقاع العالم، يتفقون على صعوبة الوضع الذي تمر به الأمة الإسلامية، وعلى كثرة الفتن التي تحيط بها، وعلى أن الحال يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، إلا أن هذا الاتفاق لا يستمر إذا ما تطرق الحديث إِلَى التشخيص والعلاج.

وتنهض الأمة الإسلامية في واقعية عندما تحافظ على منهجها الاصيل وهذا النهج الاصيل الذي نقل الامة الاسلامية من بداوة الجاهلية إِلَى حضارة الإسلام في فترة وجيزة لم تشهد الأمم لها مثيلاً من قبل.

ولكنها شيئاً فشيئاً أخذت تنحرف عن طريق الاسلام، فظهرت الأزمات تلو الأزمات في البلاد الاسلامية على مستوى الفرد والمجتمع، مما سبّب

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

تراجع المسلمين عن السلَّم الصعودي الذي كانت الأمة تخطو فيه، فأخذ الحكام بالاستبداد ومصادرة الحريات والاستئثار بالأموال والأراضي التي كانت مشاعة بين الناس، وظهرت الأزمات من مثل أزمة السكن والزواج والبطالة وما إِلَى ذلك.

هذا بالإضافة إِلَى أن الانسان عادةً، يواجه الكثير من الأزمات ولكنه قد يتعايش مع بعضها، ويتعود عليها، وربما لا تثير عند ردة الفعل نفسها او الانزعاج الأول.. ولكن كثيراً من هذه الأزمات تحدث تحولات ربما لايدركها الفرد بالعين المجردة لكنه قد ينتبه لها في وقت متأخر ولا يمكنه الوقاية وأحياناً حتى العلاج..

في هذا الكتاب (تنبيه الغافل) عما يظنه عالم وهو به جاهل، وعما يظنه حق وهو باطل، وعما يظنه خُلُق حسَن، وهو سوء خُلُق، أو خُلُق ذميم، عما يظنه رحمه وهو شيطنه.

عيَّنَا بعض المواضيع المهمة لتنبيه الغافل من هذا النوم المتواصل وفي مجالات مختلفة منها الاسرية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية والدينية وقصدنا فيها تنبيه الغافل بعلاجات ناجحة من أجلِ اليقظه، وذلك من خلال الرجوع إِلَى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

فجاء الكتاب، غزيراً في مادته.. وحريٌّ بالقاريْ الكريم أن يتمعنّ فيه ويتدبر كثيراً.. لما للموضوع من أهمية كبيرةٍ وخصوصاً في عصرنا الحاضر.

بمعنى أنك إذا ما ذكَّرت محدثيك بأن هذا الواقع الأليم الذي تحياه أمتنا منذ عقود طويلة ما هو إلا نتيجة لتفشى مرض ضعف الإيمان، والتخلي عن حمل الرسالة التي شرف الله الأمة بها، وأنه لن يتغير هذا الواقع إلا إذا تغيرت

نفوسنا، وامتلأت قلوبنا بالإيمان، وأن أفضل وسيلة لذلك هي التعامل الصحيح مع القرآن الكريم والسنة الشريفة والعترة الطاهرة، وكتب العلماء و الفقهاء المحققين والعرفاء الصادقين... وبعد الاتكال على الله العلي القدير خط القلم، ومن الله نسأل التوفيق للسداد والصواب.

المؤلف

الفصل الأول

الوحدة الاسلامية

الاعتصام بِحَبْلِ اللَّهِ منجاة من الفتن

قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]. إن الآية الشريفة تتحدث بوضوح عن التوحد ونبذ الاختلاف بين المسلمين، حيث تدعوهم للاعتصام أي التمسك جميعاً بحبل الله، والاعتصام يكون طلباً للعصمة وهي الحفاظ والغطاء، وهذا يعني أن في ترك هذا الاعتصام الهلاك الحتمي وهذا ما يكون من خلال التفرق والاختلاف حتى على الأمور الصغيرة التي يمكن إصلاحها بأبتسامة صغيرة فكيف بالكبيرة.

كما أن الله سبحانه وتعالى يمتن علينا بنعمة الإسلام هذا الدين الذي يجمعنا جميعاً على كل اختلافاتنا في دائرة واحدة، بعد أن كانت تفرقنا القوميات والعشائر والمناطق والشعب، فحين هدى الله تعالى الناس برسوله الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم)، أخرجهم من ظلام هذه القواقع الفارغة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

إِلَى رحابة الإسلام دين الإنسانية والرحمة والسلام، وهذا من أكبرِ نعم الله تعالى علينا.

إنّ المسلمين اليوم بحاجة ماسة إِلَى التماسك والوحدة ورصِّ الصفوف أمام الهجوم الثقافي والفكري، فمن دعا إِلَى الوحدة والاعتصام فقد اقتفى الذكر الحكيم، قال سبحانه: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرّقُوا﴾[1].

ومن دعا إِلَى الفرقة فقد ابتعد عمّا دعا إليه الكتاب العظيم واقتفى سنّة المشركين قال سبحانه: ﴿ولاَ تَكُونُوا مِن المشْرِكِينَ ۞ مِنَ الّذِينَ فَرَّقوا دِينَهُم وكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْب بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾[2].

لا يصح تكفير فرقة من الفرق الإسلامية ما دامت تعترف بالشهادتين ولا تنكر ما يعد من ضروريات الدين التي يعرفها كل من له أدنى إلمام بالشريعة، وإن لم تكن له مخالطة كثيرة مع المسلمين. وعلى ذلك فالبلاء الذي حاق بالمسلمين في القرون الماضية وامتدَّ إِلَى عصرنا الحاضر بلاء مبدِّد لشمل المسلمين، ومحرّم في نفس الكتاب العظيم والسنّة الشريفة وإجماع المسلمين العقلاء. فإنّ القائلين بتكفير بعض الطوائف الإسلامية هم الذين لا يرغبون في وحدة المسلمين.

بُنيَ الإسلام على كلمتين عظيمتين: (كلمة التوحيد واتباعها والاعتقاد بها) الشهادة على أنه لا إله إلا الله، ونفي ألوهية وربوبية كل موجود سواه والشهادة على أنّ محمّداً رسول الله طريقها، و(توحيد الكلمة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣١-٣٢.

والعمل عليها) الاعتصام بحبل الله المتين والنهي عن التفرق والتشتت وراء مسائل هامشية لا تمس جوهر الإسلام، ورائدنا في الدعوة إِلَى الوحدة وحفظ كيان الإسلام، قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

ولو سبرنا أقوال النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته العملية نلمس منها اهتماماته الكبيرة بتوحيد الكلمة ولم الشمل، فإن الوحدة هي دعامة القوة والرفاه ونيل السعادة في الحياة، كما أن التفرقة هي بؤرة الضعف والشقاء والاندحار في الحياة.

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

إن رصَّ الصفوف وتوحيد الكلمة والتآلف بين الأمة الإسلامية لهو من أهم الأسباب في بعثة الرسول الأعظم (صّلى الله عليه وآله وسلم) وهو من مبادئ الإسلام الأساسية وينكشف لنا ذلك ما حثت عليه الشريعة في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

أهمية الصلح بين الأخوين والزوج زوجه والأب وابنه وبقية طبقات أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

واعتبر الإسلام هذا العمل من الأمور العبادية بل من أفضل العبادات عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[2].

من أكبر نعم الله سبحانه على عباده الإلفة والمحبة فيما بينهم، فعن الإمام علي (عليه السلام): «انظروا إِلَى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إِليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته الفتهم: كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين!» [3].

قال العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[4]. الآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنساني به، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان : أن الإنسان – وهو نوع مفطور على الاجتماع والتعاون – كان في أول اجتماعه أمة واحدة، ثُم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة والمشاجرات في لوازم الحياة، فالبست القوانين الموضوعة لباس الدين، وشفعت بالتبشير والإنذار: بالثواب

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) نهج البلاغة : من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين عليهما السلام ص ٣٦٥.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

والعقاب، واصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين، وإرسال المرسلين، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، وظهرت الشعوب والأحزاب وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغياً من الذين اوتوا الكتاب وظلماً وعتوا منهم بعد ماتبين لهم اصوله ومعارفه، وتمت عليهم الحجة، فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلَى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلَى الحق المختلف فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلَى صراط مستقيم. فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني، والمصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة، ويعدل قواها المختلفة عند طغيانها، وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية، فهذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع – الحياة الاجتماعية والدينية – على ما تعطيه هذه الآية الشريفة. وقد اكتفت في تفصيل ذلك بما تفيده متفرقات الآيات القرآنية النازلة في شؤون مختلفة[1].

الخلاف المذموم، وهو الخلاف الذي خالف فيه المشركون والكفار الحق، فخلافهم له مذموم، وخلافنا لهم ممدوح، ومنه قول الله: ﴿هَـذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾[2]. وهذا الخلاف منشؤه الهوى والتقليد الأعمى للموروثات الفاسدة خلاف غير السائغ، وهو الخلاف الذي يكون

(١) الميزان: ج٢، ص١١١.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٩.

بين المنتسبين للإسلام في قطعيات العقيدة والفقه، وهو فرع من الخلاف المذموم، لكنه يكون بين المسلمين. ومنه خلاف الخوارج والسلفية و النواصب، وقد يصل في بعض صوره إِلَى الكفر.

والمخالفون فيه خالفوا جمهور المسلمين في أصول المسائل التي يقوم عليها المعتقد والأحكام، فأصولهم فاسدة، ومن ذلك تقديم العقل على النقل.

وهذا النوع هو الذي يؤدي إِلَى فرقة الأمة وتشرذمها، وجاءت النصوص القرآنية والنبوية في التحذير منه، ومن ذلك: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1]. ومن الخلاف الذي لا يسوغ خلاف الجاهل للعالم، أو بالجملة خلاف من لا يملك أهلية الاجتهاد والنظر في الأدلة الشرعية، فليس من الخلاف المعتبر اجتهاد من ليس له بأهل.

ولقد اهتم الإسلام بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الإسلام يرى بأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إِلَى الحوار، أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2]، بل إن صفة الحوار، أو الجدال لدى الإنسان في نظر الإسلام تمتد حتى إِلَى ما بعد الموت، إِلَى يوم الحساب كما يخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١١.

عليه فإن للحوار أصولاً متبعة، وللحديث قواعد ينبغي مراعاتها، وعلى من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامة بأصول الحوار المتبعة ؛ لينجح في مسعاه، ويحقق ما يرمي إليه، ومن أهم نقاط الحوار الحفاظ على الاعتصام بحبل الله وضمن الإطار الإسلامي الأصيل.

جاء الإسلام والشعوب متفرّقة متناكرة، بل ومتصارعة متناحرة، ولكن سرعان ما حل التعارف محل التناكر، والتعاون محل التخاصم، والتواصل محل التدابر، بفضل تعاليم الإسلام التوحيديّة، فكانت المحصّلة أن ظَهرت إِلَى الوجود تلك الأُمّة الواحدةُ العظيمة التي قدّمت ذلك العطاء الحضاري العظيم، كما وحَمَت شعوبها من كل غاشم وظالم وصارت تلك الأُمّة المحترَمةُ بين شعوب العالَم وتلك الكتلة المهابة في عيون الطغاة والجبّارين.

ولم يكن ليتحقّق ذلك إلاّ بسبب وحدتها، وتواصُل شعوبها الذي حصلت عليه تحت مظلّةِ الإسلام، رغم تنوع الأجناس، واختلاف الاجتهادات، وتعدّدِ الثقافات وتباين الأعراف والتقاليد، إذ كان يكفي الاتفاق في الأصول والأسس، والفرائض والواجبات، فالوحدةُ قوّة، والفُرقة ضَعف.

وجرى الأمر على هذا المنوال حتّى انقلب التعارف إِلَى تناكر، والتفاهم إِلَى تنافر، وكفّرت الجماعات بعضها بعضاً، وضربت الفصائل بعضها بعضاً فزالت العزّةُ وتحطّمت الشّوكة وسقطت الهيبةُ واستخفّت الطغاة بتلك الأُمّة الرائدة القائدة حتّى جالت في ربوعها الثعالب والذؤبان، وجاست خلال ديارها شذّاذُ الآفاق وملاعين الله ومغضوبو البشريّة، فثرواتُها

منهوبة، ومقدّساتها مُهانة، وأعراضها تحت رحمة الفجّار، وسقوطات تلو سقوطات، وهزائم اثر هزائم، وانتكاسات في كل مكان من بلاد الاسلام.

وإذا هي تدعو فلا تُجاب، وتستغيث فلا تُغاث، كيف والدّاء شيء آخر، كما وان الدواء شيء آخر كذلك، وقد أبى الله أن يجرى الأُمور إلا بأسبابها، ولا يصلُح آخر أمرِ هذه الأُمّة إلا بالاتباع الصحيح للقرآن الكريم والعترة الطاهرة والاخذ بالحقيقة باتمها لا بأطرافها.

واليوم إذ تتعرّض الأُمّة الإسلامية لأبشع حملة ضدّ كيانها، وعقيدتها ولأشرس هجمة ضدّ وحدتها، من خلال إيجاد الخلل في تعايشها المذهبي، والاجتهادي، وتكاد هذه الحملة تؤتي ثمارَها وتُعطي نتائجها، أليس من الحَري بها بأن تزيد من رص الصفوف وتمتين العلاقات، وهي رغم تنوّعها المذهبي تشترك في الكتاب والسنّة مصدراً، وفي التوحيد والنبوّة والإمامة والإيمان بالآخرة عقيدةً، وفي الصلاة والصيام والحج والزكاة والخمس والجهاد والحلال والحرام شريعةً، وفي مودّة النبي الأطهر وأهل بيته صلوات الله عليهم سهم وِلاء، ومن أعدائهم بَراء وقد تتباين بعض الشيء في هذا الأمر شدّةً وضعفاً ؟ فهي كأصابع اليد الواحدة في الانتهاء إِلَى مفصل واحد، وان اختلفت طولا وعرضاً وشَكلا بعض الشيء، أو هي كالجَسَد الواحد في تعدّد جوارحِه من جهة وتعاونها في تفعيل الدّورِ الجَسَداني في الكيان البشرى من جهة أخرى مع وجودِ الاختلاف في أشكالها.

ولا يبعدُ أن تكون الحكمة في تشبيه الأُمّة الإسلامية باليد الواحدة تارةً، وبالجسد الواحد تارة أخرى، هي الإشارة إِلَى هذه الحقيقة.

لقد كان العلماء من مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية سابقاً، يعيشون جنباً إِلَى جنب من غير تنازع أو صدام، بل لطالما تعاونوا فيما بينهم، فشَرح بعضهم كتاب الآخر كلاميّاً كان أو فقهيّاً، وتلمّذ بعضهم على بعض وأشاد البعض بالآخر، وأيّد بعضهم رأى الآخر، وأعطى بعضهم اجازة الرواية للبعض الآخر، واستجاز بعضهم البعض لنقل الرواية من كتب مذهبه وطائفته، وصلّى بعضهم خلف الآخر، وائتم به وزكّى بعضهم الآخر، واعترف بعضُهم بمذهب الآخر، بل وكانت هذه الطوائف، في مستوى جماهيرها تعيش جنباً إِلَى جنب في وداد ووئام، حتّى يبدو وكأنّهم لا خلاف بينهم ولا تباين، وان كان يَتَخلّل كل ذلك بعض النقد والردّ، إلاّ أنّه كان على الأغلب نقداً مؤدّباً، ومهذّباً، وردّاً علمياً، وموضوعياً.

وثمة أدلّة حيّة وتاريخيّة عديدة على هذا التعاون العميق والعريض، وقد أثرى العلماء المسلمون بهذا التعاون التراث والثقافة الإسلامية، كما ضربوا بذلك أروع الأمثلة في الحريّة المذهبيّة، هذا بالإضافة إِلَى أنّهم استقطبوا من خلال هذا التعاون اهتمام العالم بهم وكسبوا احترامهم.

انّه ليس من الصعب أن تجتمع علماء الأمّة ويتناقشوا بهدوء وموضوعيّة، وبإخلاص وصدق نيّة، في ما اختلفت فيه الطوائف وللتعرّف على أدلّة كل طائفة وما تقيمه من برهان.

كما أنّه من الجيّد والمعقول أن تقوم كل طائفة وجماعة بعرض عقائدها، ومواقفها الفكريّة والفقهيّة في جو من الحريّة والصراحة، ليتّضح بطلان ما يُثار ضدّها من اتّهامات وشبهات، كما ويعرف الجميع: الجوامع

والفوارق، ويعرفون أن ما يجمع المسلمين أكثر ممّا يفرقهم، وبذلك يذوب الجليد بين المسلمين.

ولا تنازعوا فتفشلوا

وقوعُ النزاع بين الحركات والعشائر والاسر والجماعات والاحزاب والمذاهب سبب فشل التطبيق الخاطئ للإسلام، وبالتالي ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] والريح حقيقتها تحرّك الهواء وتموّجه، واستعيرت هنا للغلبة، وأحسب أنّ وجه الشبه في هذه الإستعارة هو أنّ الريح لا يمانع جَريها ولا عملَها شيء فشبه بها الغلب والحكم، والمعنى: تذهب قوتكم ودولتكم ونصركم وحكمتكم وهيبتكم وتسلط الأعداء عليكم؛ وفي المقابل فإن من أهم أسباب الاعتصام و الوحده و الاجتماع هو قوة الإسلام نعم الإسلام دين الوحدة، دين الالفة و المودة، دين الاجتماع عندما نفهم الدين الاسلامي فهماً صحيحاً وسليماً يذهب النزاع وخلاف ذلك أننا لم نفهم الاسلام.

وورد لفظة (التنازع) في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وورد لفظ (الفشل) في أربعة مواضع، وجاء الربط بين اللفظين في ثلاثة مواضع، قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾[2]، في وقعة أُحد؛ وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾[3]، وذلك في غزوة

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٤.

بدر؛ ثم قوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]، ولنا مع هذه الآية الأخيرة وقفة.

والتنازع: التخالف والاختلاف والتخاصُمُ. والفشل: الوهن والإعياء والجبن وانحطاط القوة، مادية أو معنوية .

ويلاحظ أنَّ الخطابَ القرآني قد ربط بين هذه المعاني، ورتب بعضها على بعض؛ رَبْط النتيجة بسببها، وتَرَتُّبَ المعلول على علته؛ وهذا شأن منهج القرآن الكريم في كثير من آياته، التي تقرر قانوناً عامًّاً وضرورياُ في الحياة، لا يتبدل ولا يتغير، بل يجري على سَنَنٍ ثابتٍ مطردٍ لا اختلال فيه ولا تبديل ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[2].

فقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ إخبارٌ واضحٌ، ونهيٌ جازمٌ، وسنة ثابتة، يدل على أن الفشل والتراجع – على مستوى الأمة أو الأفراد – إنما مرجعه إِلَى التنازع والاختلاف؛ إذ العلاقة بين الأمرين علاقة تلازمية، كعلاقة السبب بالمسبَّب تمامًا، لا تتخلف إلا إذا تخلفت سُنَن الحياة الكونية، كأن تصبح قوة الجاذبية إِلَى السماء لا إِلَى الأرض!

وعلى ما تقدم، فإن النهي عن التنازع يقتضي الأمر بمنع أسباب التنازع وموجباته، من شقاق واختلاف وافتراق؛ والأمر بتحصيل أسباب التفاهم ومحصلاته، من تشاور وتعاون ووفاق.

---

(١) سورة الانفال، الاية: ٤٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء والتوجهات، وهو أمر مركوز في الفطرة والجِبِلِّة البشرية، بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره، ومغبة مآله، ورتب عليه في الآية هنا أمرين: الفشل ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ وذهاب القوة ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ والفشل في الآية هنا على حقيقته، إذ يعني الفشل في مواجهة العدو ومدافعته؛ وذهاب الريح في الآية، كناية عن ذهاب القوة، والدخول في حالة الضعف والوهن.

وإنما كان التنازع مفضيًا إِلَى الفشل، لأنه يُثير التباغض والشحناء، ويُزيل التعاون والألفة بين النفوس، ويدفع بها إِلَى أن يتربص بعضها ببعض، ويمكر كل طرف بالآخر، مما يُطْمِع الأعداء فيها، ويشجعهم على النيل منها، ويجرئهم على خرق حرماتها، واختراق محارمها. وكم أُتيت أمة الإسلام على مر تاريخها -القديم والحديث- من جهة التنازع والتباغض، مع وضوح النص وصراحته في النهي عن هذا.

ومن ثَمَّ، جاء صدر الآية آمرًا بطاعة الله ورسوله، إذ بطاعتهما تتلاشى أسباب التنازع والاختلاف، وبالتزام أمرهما تتجمع أسباب النصر المادي والمعنوي؛ فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الموجِّه الأساس للآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لأمر الله ورسوله، وجعلوا أهواءهم على وَفْق ما يحب الله ورسوله انتفى النزاع والتنازع بينهم، وسارت الأمور على سَنَنِ الشرع الحنيف، وضُبطت بأحكامه وتوجيهاته.

على أنَّه من المهم هنا حمل (الفشل) في الآية على معنى أعم وأوسع، بحيث يشمل الفشل في أمور الحياة كافة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والديني، بحيث لا يقتصر الفشل على ساحات الوغى والقتال فحسب – كما هو السبب الذي وردت لأجله الآية الكريمة – وهو معنى لا تأباه اللغة، ولا يمنعه الشرع؛ وهذا أولى بفهم الآية، كما يُعلم ذلك مِن تتبُّع مقاصد القرآن، وكلياته الأساسية.

وحاصل القول في الآية: إنَّ الاختلاف والتنازع عاقبته الفشل والخسران، وإنَّ التعاون والوفاق سبب للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة؛ والقارئ لتاريخ الأمم والشعوب – بما فيها تاريخ أمتنا الإسلامية – لا يعجزه أن يقف على العديد من الأحداث والشواهد والمشاهد – وعلى المستويات كافة – التي تصدق ما أخبر به القرآن الكريم. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]، فهل يعمل المسلمون بهذا الأمر الإلهي، أم ما زالوا عنه غافلين؟.

ولماذا يتراجع بعض المسلمين؟ والجواب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[2]، لضرب الإسلام والمسلمين، بينما يتراجع بعض المسلمين لأنهم ابتعدوا عن نهج الإسلام الصحيح وطريق آل بيت الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) وانشغلوا بالتنازع فيما بينهم ولذلك فشلوا! وقد قال تعالى ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٢١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

مراعاة الأخوة الإسلامية

واعلموا أنَّ الأخوة في الدين تعلو الأخوة في النسب، فالله أمر بالمؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين، ولو اختلفت أنسابهم وتباعدت أوطانهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وأمر بمعاداة الكافرين ولو تقاربت أنسابهم، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ءابَاءكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

ولهذه الأخوة بين المسلمين والمؤمنين حقوق عظيمة وثمرات كريمة قد بينها الله ورسوله في الكتاب والسنة، تجب مراعاتها والقيام بها، ولا يجوز إهمالها والتهاون بها.

ومن هذه الحقوق والثمرات: وجوب الإصلاح بين المسلمين عندما يحصل بينهم اختلاف ونزاع، أو تظهر بينهم عداوة وقطيعة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيء إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩-١٠.

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تعظيم بعضهم لحرمات بعض، وعدم تنقص بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مّن نّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

ينهى سبحانه المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن سخرية بعضهم من بعض رجالاً ونساءً، فربما يكون المسخور منه خيرًا من الساخر في الدنيا والآخرة، والسخرية لا تصدر إلا من ناقص. ونهى سبحانه عن اللمز، وهو الطعن في حق المسلم، وعن التنابز بالألقاب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به، واللقب ما يسوء الشخص سماعه.

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تجنب إساءة الظن فيما بينهم، والتجسس بعضهم على بعض، واغتياب بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مّنَ الظَّنّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنّ إِثْمٌ﴾[2]، وذلك بأن يظن بأهل الخير شراً.

﴿وَلاَ تَجَسَّسُواْ﴾[3]، والتجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم: ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

وفسر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الغيبة بأنها ذكرك أخاك بما يكره، والغيبة محرمة بالإجماع تحريمًا شديدًا، وقد شبهها الله بأكل لحم الإنسان ميتاً، فقال سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]، أي: كما تكرهون هذا طبعًاً، فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا.

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التعاون بين المسلمين على البر والتقوى، والتعاون على تحصيل مصالحهم، ودفع المضار عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2].

فالمسلم يفرح لفرح أخيه المسلم ويسره ما يسره، ويتألم لألم أخيه.

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التناصح بين المسلمين، والأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصلاةَ وَيُؤْتُونَ الزكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ومن حقوق المسلمين: دعاء بعضهم لبعض؛ قال تعالى لما ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءامَنُواْ رَبَّنَا

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

إِنَّكَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2].

وفي خبر تميم الداري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثلاثاً: «الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين»[3].

أكدّ رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) على التآزر والتعاون والتواصل والتحابب ليكون الود والوئام والسلام هو الحاكم في العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع وبين الأفراد أنفسهم، فلا يطغى حق الفرد على حق المجتمع، ولا حق المجتمع على حق الفرد، ونهوا عن تبادل النظرة السلبية كحد أدنى في الحقوق المترتبة على الفرد اتجاه المجتمع، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): «لا يحل لمسلم أن ينظر إِلَى أخيه بنظرة تؤذيه»[4].

وعدم جواز النظرة السلبية يعني عدم جواز سائر مظاهر الأذى ومصاديقه في القول وفي الممارسة العملية، فلا تجوز الغيبة ولا البهتان ولا

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢.

(٣) وسائل الشيعة١١ / ٥٩٥/ باب ٣٥ من أبواب فعل المعروف/ الحديث ٧، شعب الإيمان ٤/ ٣٢٣، وأخرجه مسلم في الصحيح من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري وأخرجه النسائي وأبو داود.

(٤) المحجة البيضاء ٣ : ٣٥٩.

الاعتداء على أموال الآخرين وأعراضهم وأرواحهم، بل يجب صيانة حرماتهم بجميع مظاهرها.

وحثّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على مداراة الآخرين والرفق بهم، والالتزام بهذه التوصيات من شأنه أن يؤدي إِلَى مراعاة جميع الحقوق الاجتماعية لانبثاقها منها وتفرعها عليها، قال (صلى الله عليه واله وسلم): «مداراة الناس نصف الايمان، والرفق بهم نصف العيش»[1].

ومن أحب الأعمال إِلَى الله تعالى، والواقعة في أُفق مراعاة الحقوق الاجتماعية هي ادخال السرور على المؤمنين، قال (صلى الله عليه واله وسلم): «إنّ أحبّ الأعمال إِلَى الله عزَّ وجلَّ إدخال السرور على المؤمنين»[2].

وإدخال السرور يتحقق باسماعهم الكلمة الطيبة والقول الجميل، واحترامهم، والتعاون في حلّ مشاكلهم، ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، وأفراحهم وأحزانهم، والدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ورفع الأذى عنهم، ونصرتهم للقيام بمواجهة أعباء الحياة.

وحدّد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سبعة من الحقوق تكون مصداقاً لادخال السرور على المؤمنين من أفراد المجتمع الكبير، عن معلّى بن خنيس، عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم ؟ قال له: «سبع حقوق واجبات ما منهنَّ حقّ إلاّ وهو عليه واجب،

---

(١) الكافي ٢ : ١١٧.

(٢) الكافي ٢ : ١٨٩.

إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب...

أيسر حقّ منها : أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

ومنها : أن تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره.

ومنها : أن لا تشبع ويجوع، ولا تروي ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

ومنها : أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنَّ له حاجة تبادره إِلَى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك»[1].

وفي رواية أُخرى ذكر (عليه السلام) جملة من الحقوق فقال: «إنَّ من حقّ المؤمن على المؤمن: المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وان كان نافلة في المسلمين، وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة في قبره، وأن لا يظلمه، وأن لايغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذب عليه، وأن لا يقول له أفّ..»[2].

ومن الحقوق أن يناصح المؤمن غيره من المؤمنين، قال الامام الصادق (عليه السلام): «يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصحه»[3].

---

(١) الكافي ٢ : ١٦٩.

(٢) الكافي ٢ : ١٧١.

(٣) الكافي ٢ : ٢٠٨.

ومن الحقوق : صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وحسن الخلق، والقرب من الناس، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): «أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس»[1].

ومن الحقوق تحكيم الأواصر المشتركة في العلاقات، والتعامل من خلال الأُفق الواسع الذي يجمع الجميع في أُطر ونقاط مشتركة، ونبذ جميع الأواصر الضيقة، فحرّم الإسلام التعصب للعشيرة أو القومية، ودعا إِلَى إزالة جميع المظاهر التي تؤدي إِلَى التعصب المقيت، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): «ليس منّا من دعا إِلَى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»[2].

ومن أهم الحقوق إصلاح ذات البين؛ لأنّه يؤدي إِلَى علاج كثير من الممارسات السلبية التي تفكّك أواصر الأخاء وتستأصل الوئام في أجوائه، لذا قال (صلى الله عليه واله وسلم): «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[3].

فالمؤمنون إخوة في جميع الأزمان؛ من أول الخليقة إِلَى آخرها، وفي جميع أقطار الأرض وإن تباعدت ديارهم، يدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض، ويحب بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا على البر

(١) تحف العقول : ٣٢.

(٢) كنز العمال ٣ : ٥١٠ / ٧٦٥٧.

(٣) ثواب الاعمال : ١٧٨.

والتقوى، وينصح بعضهم لبعض، ويصدقون في تعاملهم فيما بينهم، ويحترم بعضهم حقوق بعض؛ لأن الله ربط بينهم برابطة الإيمان التي هي أقوى من رابطة النسب والوطن واللغة.

حقيقة الخلاف والاختلاف يامسلم

إن من القضايا الهامة التي كثر حولها الجدل، وكانت من الأسباب التي أوصلت الأمة إِلَى هذه الحالة المتردية من الضعف والوهن، والتي نعاني من نتائجها حتى الآن (قضية الخلاف) الواقع بين حملة الشريعة والتي أورثتنا هذه الحياة الفاشلة، وأدى ذلك إِلَى ذهاب الريح؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾[1].

ولقد حذرَنا الله تعالى من السقوط في علل أهل الأديان السابقة، وقص علينا تاريخهم للعبرة والحذر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2].

واعتبر الاختلاف الذي يسبب الافتراق والتمزق نتيجة الابتعاد عن القرآن والعترة والعترة هم حملة سنة النبي محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نعم حتى من ينتمي لمدرسة اهل البيت (عليهم السلام) وقع فيهم الافتراق

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

والتمزق لانهم ابتعدوا عن التمسك وذهب الكثير منهم خلف الاهواء والمصالح والاحزاب والجماعات.

يقول العلامة الكبير حسين علي محفوظ: (إذا اختلفت الأمة في مشاربها الفكرية، ومسالكها العقلية، وآرائها الفلسفية ومذاهبها الكلامية، واصولها الاعتقادية ـ واختلافها رحمة على كل حال ـ فإنها أطبقت في التشريع على ان اصول ادلة الاحكام الشرعية اربعة، هي: كتاب الله، والسنة، والاجماع، ودليل العقل. ومن هاهنا اختلف المجتهدون والفقهاء في الاستنباط، وتعددت مسارحهم في الاجتهاد، وتفاوتوا في اقتباس الأَحكام، على قدر تناطق المدارك ومقدار المعرفة بالادلة، وتقاضي وجوه الدلالة، واختلاف العقول، وتغاير الفهوم، ومقتضى الملفوظ، ومناط الفحوى والمفهوم والمدلول والمعقول. وهذا في الشرايع من امارات الحياة، وعلامات التطور والارتقاء.

والكتاب والسنة والعقل هي جامعة المسلمين على تنوع مذاهبهم، وانشعاب فرقهم، وانقسام اجتهادهم. واذا كان قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مظهراً لكل الاحكام تجلت أهمية السنة وبرز مقامها. فالفقيه حق الفقيه هو «المتمسك بسنة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)»[1]. كما قال الامام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام)، الخامس من الائمة أهل البيت. وقال ـ أيضاً: «فمن كانت فترته إِلَى سنة فقد اهتدى»[2]. وهو

(١) الكافي ج١ ص١٢٤.

(٢) الكافي ج١ ص١٢٤.

الذي قال: «كل من تعدى السُنّة رُدّ إِلَى السنة»[1]. وهي تدور مع القرآن أينما دار)[2].

إن وقوع الخلاف بين البشر أمر طبعي وجِبلِّي، ولقد قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إِلَى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إِلَى تعدد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائليها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آيةً من آيات الله تعالى، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك، ودليل من أدلة قدرته سبحانه وتعالى البالغة.

وإن إعمار الكون، وازدهار الوجود، وقيام الحياة لا يتحقق أي منها لو أن البشر خلقوا سواسية في كل شيء، وكلّ ميسر لما خُلق له: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3].

إن الاختلاف الذي وقع فيه سلف هذه الأمة جزء من هذه الظاهرة الطبيعية، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزمت آدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد التي نعد منها:

أ – أنه يتيح إذا صدقت النوايا التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل رمى إِليها بوجه من وجوه الأدلة.

---

(١) الكافي ج١ ص١٢٤.

(٢) جوانب منسية في دراسة السنة النبوية.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٩.

ب – وفي الاختلاف بالوصف الذي ذكرناه رياضة للأذهان، وتلاقح للآراء، وفتح مجالات التفكير للوصول إِلَى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها.

ج – تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدي إِلَى الحل المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب ويُسْرَ هذا الدين الذي يتعامل مع الناس من واقع حياتهم.

تلك الفوائد وغيرها الكثير يمكن أن تتحقق إذا بقي الاختلاف ضمن الحدود والآداب التي يجب الحرص عليها ومراعاتها.. ولكنه إذا جاوز حدوده ولم تراع آدابه–فتحول إِلَى جدال وشقاق– كان ظاهرةً سلبيةً سيئة العواقب تحدث شرخاً في الأمة، وفيها ما يكفيها!! فيتحول الاختلاف من ظاهرة بناء إِلَى معول هدم في الأمة.

لا يمكن لنا أن ندعي بعدم وجود الإختلافات بين العلماء؛ ولكن السؤال الذي يجب أن يُطرَح ويجاب عليه هو عن حقيقة وما هيّة هذه الاختلافات، فالاختلاف ليس أمراً جديداً عند العلماء، وتعدد الآراء أمرٌ طبيعي فما دام هناك بحوث ودراسات سيكون هناك نتائج وآراء مختلفة وهذا التباين وجد منذ اليوم الأول الذي شرع فيه الاجتهاد وقد أشار السيد روح الله الخميني إِلَى هذا الواقع إذ يقول: (إن كتب فقهاء الإسلام العظام مليئة باختلاف الآراء والأساليب والأذواق والاستنباطات في شتى المجالات العسكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعبادية حتى في المسائل التي يدعى الإجماع حولها نجد قولاً أو أقوالاً مخالفة لها وحتى في المسائل المجمع

حولها قد يوجد قول يخالفها عدا عن اختلافات الأصوليين والإخباريين، ولكن لما كانت هذه الاختلافات محصورة في الماضي بجو الدراسة والبحث والمدرسة ولم تكن مثبتة إلا في الكتب العلمية وبالكتب العربية منها فقط لهذا لم تكن عامة الناس على علم بها وحتى لو علموا بها لم تكن متابعتها تثير اهتمامهم والآن هل يحق لنا أن نتصور أن اختلاف الآراء بين الفقهاء يعني أنهم يعملون خلافاً للحق ولدين الله-نعوذ بالله كلا مطلقاً)[1].

واليك صوره من ادب الحوار لعالمين كبيرين هما المرحوم ملا عبد الله التستري والمرحوم المقدس الأردبيلي (المتوفى سنة ٩٩٣) جمعهما مجلس كان يحضره جمع من الناس..تقدم الملا عبد الله التستري بسؤال إِلَى المقدس الأردبيلي، فردّ عليه الأردبيلي قائلاً: سوف أجيبك فيما بعد!..

ولما انتهى المجلس أخذ بيد الملا التستري، ومشى معه صوب الصحراء (أطراف القرية) فشرح له جواب سؤاله، فاقتنع به التستري بعد نقاش خفيف، ولكنه قال:لماذا لم تجبني في المجلس بحضور الجمع؟..

قال المقدس الأردبيلي: لو كنا نناقش الموضوع هناك لكنت أنا وأنت معرّضين لهوى النفس، لان كل واحد منا كان يريد الانتصار لرأيه، وكنت أخشى أن يغلب علينا العُجب فيحاول كل منا التفوق لذاته.. فيتحكم فينا حينئذٍ الرياء وحب الظهور، ونكون بذلك أقرب إِلَى المعصية منا إِلَى الطاعة والقربة إِلَى الله عز وجل.

(١) صحيفة النور/ج٢١ ص٩٨.

وأما في الصحراء حيث لا أحد معنا سوى الله تعالى فلا مجال للشيطان، ولا أرضية للرياء ووسوسة النفس[1].

هكذا يحذر العلماء من مسائل الخلاف والاختلاف من وصول الامر إِلَى عامة الناس فيتسغْلونهُ اِسْتِغْلالاً يهدم الامة الاسلامية.

وكتوضيح بسيط على هذه الاختلافات في الاستنباط أتناول مثالاً بسيطاً – على سبيل الحصر – ففي التسبيحات الموجودة في الرُكعتين الثالثة والرابعة نجد بعض المراجع قد أفتى بوجوبها مرة واحدة، وبعضهم أفتى بوجوبها ثلاث مرات فإذا أخذنا هذا المثال لنقيّمْ طبيعة الخلاف فسنلاحظ أن المراجع العظام لم يختلفوا على وجوب الصلاة، ولم يختلفوا في عدد ركعاتها، ولم يختلفوا في أركانها من قيام وركوع وسجود فالصلاة هيئتها واحدة عند الجميع ولكن الاختلاف الحاصل في التسبيحات هو اختلاف في أمر فرعي لم يجعل هناك شكلين في الصلاة إِلَى درجة أننا قد لا نلتفت إِلَى هذا المائز بين الصلاتين عملياً إِلَى غير ذلك من الأمثلة التي يختلف فيها الفقهاء في استنباطاتهم نتيجة الفهم المتعدد والمتباين للدليل ومن المصادر الشرعية المتفق عليها.

والخطورة تكمن في استغلال الأعداء لهذه الاختلافات واللعب على هذا الوتر الحساس، خصوصاً إذا علمنا أن الإنسان المكلف البسيط بدأ في العصور المتأخرة يتسائل مستغرباً عن منشأ وسبب هذه الاختلافات بين العلماء والمفترض أنهم يرجعون إِلَى شريعة مقدسة واحدة وينهلون كل

(١) عن كتاب حديقة الشيعة.

معارفهم من ذلك النبع الصافي من القرآن الكريم والسنة المطَّهرة التي وردت عن المعصومين (عليهم السلام).

فلماذا يختلف الفقهاء وتتعدد آراؤهم في قضية واحدة؟أو بعبارة أدق لماذا تتعدد أحكام الفقهاء الخاصة بموضوع واحد..؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من التفريق بين حالتين : حالة يكون فيها الاختلاف قائماً على أسسٍ منهجية سليمة وممارسة عملية مشروعة، وحالة أخرى ينتج فيها الاختلاف عن الاجتهاد الكيفي المرتجل الذي لا يقوم على أساس سليم، ولا ينبع من أصول علمية مستقيمة مع روح الشريعة ومصادرها، فالاختلاف الأول نتيجة طبيعية لنشاط علمي سليم، والفقهاء معذورون غير مؤاخذين، أما الاختلاف الثاني فليس اجتهاداً، ولا فقهاً، بل هو عمل اعتباطي مقحم على روح الشريعة ومبادئها.

فعلم الفقه كغيره من العلوم والمعارف الإنسانية في هذا الجانب،فكما أن لكل علم من العلوم قوانينه وقواعده الواقعية والطبيعية الخاصة به، فكذلك الشريعة الإسلامية لها إحكامها وقوانينها، وكما أن عالم الفيزياء يبذل جهده العلمي لاكتشاف قوانين الفيزياء حسب واقعها الطبيعي، وعالم المنطق يبذل جهده لاكتشاف قوانين التفكير وفق واقعها العقلي،وليس بإمكان أحدهما أن يخلق من عند نفسه قوانين خاصة للمنطق والفيزياء، فكذلك الفقيه (المجتهد) ليس بإمكانه من الناحية العلمية الشرعية أن يوجد قوانين وأحكاماً إيجادا اعتباطياً،ثم يسبغ عليها صفة الشرعية والعلمية.

أن عالم الفيزياء والمنطق يخطئ أحياناً عند اكتشاف القوانين والقواعد العلمية، وهذا الاكتشاف الخاطئ لا يمثل القانون الطبيعي للفيزياء والمنطق،بل يمثل فهم العالم المكتشف الذي أخطأ في تشخيص القانون، فكذلك الحال بالنسبة للفقيه عندما يمارس عملية استخراج الأحكام والقوانين الإسلامية من مصادرها الأصلية–الكتاب والسنة–فإنه قد يخطئ أحياناً في عملية الاكتشاف والاستنباط هذه، ولكن خطأه هذا ليس خطأ عشوائياً أو ارتجالياُ كيفياً،بل لقصور في أدواته العلمية، أو إمكاناته الذاتية، فيقصر به الاستعداد العلمي عن تشخيص القانون والحكم الشرعي كما هو قائم بذاته في عالم القانون والشريعة الآلهية.

ولذا كان الفقيه معذوراً عند الخطأ والقصور عن اكتشاف الحكم الصحيح متى كان هذا الفقيه مستوفياً الشروط ومستنفداً وسعه في عملية الاستنباط.

ومن أسباب الاختلاف بين المجتهدين، يعود بشكل أساسي إِلَى:-

١- الاختلاف اللغوي حول النص من القرآن والسُنة- في بعض مواردهما –لاختلاف في الإعراب، أو في المعنى أو في القراءة، مما يقود إِلَى الاختلاف في الفهم واستنباط الأحكام.

٢- الاختلاف حول المقصود (من الكتاب والسنة)، فقد يختلف المجتهدون في فهمهم لدلالة النص وقصده.

٣- الاختلاف في كون هذا الحكم نسخ أو لم ينسخ.

٤- الاختلاف بسبب قبول بعض الروايات والأحاديث أو عدم قبولها، فبعض الفقهاء تحصل لديه-بسبب من تحقيقه العلمي- عدم ثقة بالراوي وناقل الحديث، فلا يصدق حديثه أو يرفض الحديث والرواية بسبب عدم اطمئنانه إِلَى المعاني والألفاظ الواردة فيه، أو يراه متعارضاً مع مفهوم قرآني، أو سنة ثابتة لديه، فيرفضه ولا يقبله، في حين يقبله مجتهد آخر وتتشكل لديه قناعة بسلامة الحديث والرواية فيعتمدها في الاستنباط والاستنتاج.

٥- الاختلاف في اعتبار حجية بعض المصادر وعدم حجيتها، وكيفية الاستفادة منها، أدلة العقل، والمصالح المرسلة والإجماع ...الخ.

فبعض المجتهدين يعتمد بعض هذه المصادر ويرجع إليها لتحصيل الأحكام، وبعضهم يرفضها، أو يرفض كيفية الاستفادة منها بالطريقة التي عمل بها مجتهد آخر...

٦- جهل المتصدين لبيان الاحكام في الفتوى، فإن فقد العلم حلّ محله الجهل والضلال واتباع الهوى.

وهكذا نقف على أهم أسباب الخلاف بين العلماء، وأصحاب الرأي فيها، لذلك كان من الضروري إخضاع الآراء الاجتهادية الخلافية بين المسلمين إِلَى النقد والتمحيص العلمي على أسس شرعية وموضوعية نزيهة، وبعيدة عن التعصب والأغراض الشخصية، لتحصيل الحكم الشرعي المبرئ لذمة المكلف من جهة، ولتحقيق غرض الشريعة الإسلامية في الإصلاح وتوحيد الأمة من جهة أخرى. ويقول امير المؤمنين (عليه افضل الصلاة

والسلام): «ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام، فيحكم فيها برأيه. ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلافه. ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم، فيصوب اراءهم جميعاً. والهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد».

فيما يأتي شيئاً من العلاج:

أولاً: يجب أن يدرك الجميع أن أخوة الإسلام ووحدة صفوف المسلمين المخلصين والحفاظ عليها، ونبذ كل ما يسيء إليها أو يضعف من عراها من أهم الفرائض وأخطرها، وعبادة من أهم العبادات، وقربة من أفضل القربات؛ لأننا بتلك الأخوة نَقْوَى على التصدي لكل العقبات التي تعيق استئناف الحياة الإسلامية على الصورة التي ترضي الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويكفي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفرنا من الفرقة بأن أهدر دم المفرق للجماعة، ولذلك فإن التفريط في الأخوة الإسلامية أو المساس بها لمجرد اختلاف في الرأي أمر لا يجوز لمسلم أن يفعله، أو أن يسقط في شراكه، ولاسيما في هذه الظروف التي تداعت فيها علينا الأمم تريد أن تطفئ جذوة الإيمان التي بدأت تتقد في القلوب، وتبيد البذرة الطيبة التي بدأت تشق التربة رغم الأيدي العابثة التي تنهال عليها وتحاول اجتثاثها.

إن الأخوة في الله، و وحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأول للواجبات، بل هي في مقدمتها لأنها شقيقة التوحيد وقرينته ؛ قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].فقرن جل جلاله الأخوة بالإيمان. كما أن هناك مراتب للمنهيات يقع الميل من الأُخوة في مقدمتها، ويتركون المندوب في نظرهم، ويفعلون الجائز تحقيقاً لذلك.

ولا يجولن بفكر أحد أن حرصنا على الأخوة الإسلامية ووحدة صف المسلمين يعني التساهل في قضايا العقيدة الأساسية التي لا تحتمل التأويل ضمن حدود القواعد الثابتة في العقيدة! و ذلك لأن الحرص على مجابهة أعداء الأمة لن يدفعنا إِلَى أن نضع أيدينا بين أيدي الذين ليس لهم نصيب من الإسلام إلا الأسماء بحجة الحرص على الأخوة، فالقضايا الخلافية التي لا يجوز أن تفرقنا هي تلك التي اعترف بها كرام العلماء من أئمة السلف، وتعاملوا معها من خلال آداب فاضلة، وكان لديهم من الأدلة ما يجيز أكثر من وجه.

ثانياً: ولعل مما يساعد على التقليل من أسباب الاختلاف في الوقت الحاضر ويبعث على التحلي بآدابه؛ معرفة أسباب اختلاف الفقهاء وفهم تلك الأسباب ومدى موضوعيتها ليكون ذلك من بواعث التمسك (بأدب الاختلاف)، فإنهم حين اختلفوا إنما اختلفوا لأسباب موضوعية، وكانوا جميعاً مجتهدين وكان كل واحد منهم في طلب الحق كناشد ضالة لا فرق لديه بين أن تظهر تلك الضالة على يديه أو على يدٍ سواه.

ثالثاً: ولعل من الأمور الداعية إِلَى حمل المسلمين على التمسك بآداب الاختلاف معرفة المخاطر الهائلة والتحديات الخطيرة والخطط الماكرة التي

(١)سورة الحجرات، الآية: ١٠.

يعدها أعداء الإسلام للقضاء على هذا الشباب المؤمن الذي يحمل لواء هذه الدعوة، وليس في حساب الأعداء أبداً أن يفلت من يدها – إن استطاعت – فئة دون أخرى ؛ فالمهم هو القضاء على العاملين للإسلام على اختلاف مذاهبهم وتباين وجهات نظرهم. وهذا يجعل إثارة أي اختلاف بين المسلمين أو تنمية أسبابه أو تجاوز أدابه؛خيانة عظمى لأهداف الأمة وجريمة كبرى في حقها،لا يمكن تبريرها أو الاعتذار عنها بحال!

رابعاً: وقبل هذا وبعده لا مناص من التزام تقوى الله في السر والعلن، وابتغاء رضاه في حالتي الوفاق والخلاف مع الحرص على فقه دين الله، والتجرد عن الهوى، والبعد عن نزغات الشيطان، ومعرفة سبل إبليس، والحذر من شراكه.

الإصلاح مسؤولية الجميع

من منطلق المسؤولية على كل مكلف يعيش على وجه البسيطة أن يتمسك بحديث النبي محمد : (صّلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «كلكم راع وكلكم مَسْؤول عن رعيتهٍ، فالإمام راع وهو مَسْؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مَسْؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مَسْؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مَسْؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راع وهو مَسْؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مَسْؤول عن رعيته»[1].

(١) غوالي اللآلي: ج١ ص١٢٩ الفصل٨ ح٣.

كل إنسان بمعمله، بوظيفته، بدكانه، طبيب، مهندس، محامي موظف، مسؤول عن الإصلاح في المجتمع، يعني إن لم تنصح ضع عباداتك ومعلوماتك ضعها في مقام ضعف الإيمان والسكوت على الباطل إن لم تنصح لأن الدين هو أن تنصح، أما إذا قال الإنسان: (دعني والناس، مالي والناس مو شغلي) هذا موقف انهزامي، هذا موقف لا يتصف به المسلم، أنت مسلم وهؤلاء مسلمون أقرباؤك، أبناء جلدتك، أبناء مدينتك، أبناء بلدك، هؤلاء مقصرون، فكر في إصلاحهم، فكر في هدايتهم، فكر في حل مشكلاتهم، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إِلَى الله أنفعهم لعياله.

فعلى كل مسلم في أمة محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم) أن يعمل كل ما في وسعه من أجل الإصلاح في أمة محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم) ويعالج كل انحراف خرج عن طريق صراط الله.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «إنَّ اللهَ يبغض من عباده المائلين فلا تزلّوا عن الحق، فمن استبدل بالحق هلك وفاتته الدنيا وخرج منها ساخطاً»[1].

(١) فقه الإمام الرضا(عليه السلام): ص٣٨١ ب١٠٦.

الفصل الثاني

تنبيهاتٌ أَخلاقيةٌ

الأخلاقُ تاجُ العلوم

بهذه العبارة الجميلة عبر بعضُ العلماء وهو يبين قيمة علم الأخلاق بالنسبة لغيره من العلوم. دراسة علم الأخلاق الذي هو أهم العلوم التي يبدأ فيها الطالب للكمال ومعرفة الله سبحانه وتعالى ولضرورته منهم قال: الأخلاق تاج العلوم، وقال غيره : الأخلاقُ زبدةُ العلوم، وقال غيره: الأخلاق أكليل العلوم.

إن هذه العبارات تدل على الصورة الرائعة الأنيقة التي ترتسم في النفس عند إطلاق هذه الكلمة التي تستخدم غالبا في التعبير على السلوكيات الإيجابية والممارسات الجيدة.

ويرى علماء الأخلاق أن العلوم الأخرى أساسا تساعد على الأخلاق في الكشف عن الخير والشر والنافع والضار، وهما موضوع الأخلاق، ولهذا أيضا فإن علم الأخلاق يستخدم العلوم الأخرى في الكشف عن مهمته وتحقيق أهدافه، وتعتبر تلك العلوم وسائل معينة لتحقيق هذا العلم، وبالتالي كمال النفس وأخلاقها الحميدة قصدها الله سبحانه وتعالى.

إن الأخلاقَ مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية، فأساسها هو العقيدة الإسلامية بل هي الدين كله كما قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): لمن سأله عن الدين فقال: «الدين حسن الخلق » وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فلابد من اتخاذ العقيدة الإسلامية أساساً ومنطلقاً لكل عمل، وكل عمل لا يتصف بالأخلاق فهو عمل باطل ولو فعل صاحبه من الخير ما فعل، فقد روى عنه(صّلى الله عليه وآله وسلم) لما قيل له يا رسول الله: «إن فلانه تكثر من صلاتها، وصدقتها، وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار». فالإسلام حرم الظلم والأذى، وهذا نوع أذى فهو محرم لأنه يتنافى والأخلاق التي قررها الإسلام.

ولما كان الإنسان في نظر الإسلام كلاً واحداً لايتجزأ فقد أمر الإسلام الإنسان بالتخلق بالخلق الحسن في شؤونه كلها، ومنها قضية العمل والعمال فقد عالجها الإسلام بعدل وحكمة فأعطى كل ذي حق حقهُ وبين العلاقة بين العمال وأرباب العمل فلا ظلم ولاهضم ولا تعد على الإطلاق، والاسلام حين يعالج هذه القضية لا يعالجها بمعزل عن قضايا الإنسان الأخرى التي لا عيش له بدونها، وهذه النظرة الشمولية للإنسان لا تجد لها نظيراً في أي تشريع أو تقنين وضعي أبداً.

إن هناك كثيراً من التوصيات التي يمكن أن تقال في هذا المجال، ولكن من أهمّ التوصيات التي يمكن أن يكون لها أثر فعّال هي:

١- أسلمة المناهج التعليمية على كل مستويات التعليم، الأساسي والثانوي، والمتوسط والجامعي.

٢- أن تعتمد عملية بناء المناهج التربوية الإسلامية على أصول تربوية إسلامية منبثقة عن الكتاب والسنة، لتعطي الاتجاهات الواضحة المحددة لصياغة مضمون هذه المناهج وطرائق تطبيقها وتقويمها وتطويرها.

٣- الاهتمام بتربية الناشئة قبل سني المدرسة تربية أخلاقية وفق ما جاء في الشريعة الإسلامية، فالتعليم في الصغر أدعى للأنضباط في الكبر.

٤- ادخال مادة (علم الأخلاق الإسلامية) في مناهج المراحل الابتدائية، ومادة (أخلاق المهنة) في مناهج ما فوق المرحلة الابتدائية حتى نهاية التعليم العالي.

٥- ضرورة إبراز أهمية القيم الأخلاقية في حياة الفرد والجماعة لما لها من تأثيرٍ كبيرٍ في حياتهم، وفي تقدم الأمة وازدهارها، وتعزيز ذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، والمؤتمرات والندوات ونحوها.

٦- الاهتمام بأخلاق العمل، وبذل الجهد في سبيل نشرها وتحقيقها في الواقع.

خطر الرياء على النفس والأُمّة

الرياء مشتقٌ من الرؤية، والمراد به أن يتعبد الإنسان لربه عز وجل ولكن يحسن العبادة من أجل أَن يراه الناس، فيقولون ما أكثر عباته ما أحسن عبادته وما أشبه ذلك، فهو يريد من الناس ان يمدحوه في عبادته لا يريد ان يتقرب إليهم بالعبادة،لأنَّه لو فعل هذا لكان شركاَ أكبراً، لكنّه يريد

أَنَّ يعبدوه في عبادة الله، فهو لا يخلص لله عمله لكنه يريد ان يمدحه الناس على ذلك، وأصل الرياء حب الجاه، والجاه هو قيام المنزلة في قلوب الناس، وهو اعتقاد القلوب نعتاً من نعوت الكمال في هذا الشخص إما لعلمٍ أو عبادةٍ أو نسبٍ أو قوةٍ أو حسن منظر أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا، فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تذعن قلوبهم لطاعته ومدحه وخدمته وتوقيره.

الرياء فخٌّ من أَبواب الشيطان للمؤمنين بالله تعالى. وحقيقة الرياء هي خليط هجين من حقائق النفاق والكذب والخداع والخيانة والغدر بنسبٍ متفاوتة التفاوت عمل الرياء من حيث النوع والشدّة والضعف.

إذا نظرْنا وتأملْنا طريقَ العبادة: فهي طريقٌ وعْرٌ، ومنالٌ صعْبٌ، عظيمة الآفات، كثيرة العوائِق والموانع، وهكذا يجِبُ أن تكون؛ لأنَّها طريقُ الجنة التي حفت بالمكاره، فيتعرَّض العبد ويواجه مثلَ هذه العوائق والعقبات التي تُعرقِل سيرَه إِلَى الله سبحانه، فإنَّ السَّيْر ليس سيْرَ المراكب والأقدام، إنَّما هو سير القلوب إِلَى الله سبحانه وفي غضونِ سَيْرها ثَمَّة ما ينغِّصُ عليها، ويُكدِّر صفوَ السير، حيث يعتَورِها الكثيرُ من الأمراض المعضِلة، فتصيب هذه القلوب؛ إذ المرضُ الحقيقي هو مرضُ القلب؛ ملِك الجوارح.

فكان لزامًا على العبد أن يَسْعى للوقاية قبلَ حدوث المرَض، ويُشخِّص المرض عند حدوثه؛ ليستشفَّ من خلاله الدواء الناجِع لما أصابه، فيكون في الحال هذه خطَا خُطواتٍ للتخلُّص من تلك الأمراض، وكل ما مِن شأنه يعترِض سيرَه إِلَى الله سبحانه.

فمِن أعظمِ تلك الآفات والأمراض خطرًا، وأعمِّها وقوعًا وانتشارًا، وأخوف عقبة ينبغي إزالتُها، هو الداء العُضال، والمرَض المستشري (الرِّياء)؛ حيث ينبغي على كلِّ عبد إزاءَه المجاهدةُ، والاحتراز منه في ثنايا السَّير إِلَى الله سبحانه. الرياء الذي يغير سير الحياة ويجعلها بغير معنى وفائدة ويجعل حياتنا بكل مجالاتها وهم وخرافه.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾[3].

ومن هذا نفهم أن الإسلام أكد على الإخلاص في الأعمال كلها، وكره الرياء كراهة عميقة، وطاردها حتى عمّا لو كانت كدبيب النمل في الليل المظلم على الصفا الصلد.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[4].

---

(١) سورة الماعون، الآية: ٤-٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٤) سورة البينة، الآية: ٥.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3].

ففي التفسير: إنّها نزلت في من يعمل لله، ويحبّ أن يُحمد عليه.

وجاء في الأحاديث الشريفة في ذم الرياء.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة للمرائين اذا جازى العباد بأعمالهم: إذهبوا إِلَى الذين كنتم قراؤون لهم في الحياة الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»[4].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرةٍ من رياء»[5].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «سيأتي على الناس زمان تَخبثُ فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) جامع السعادات، ج٢، ص: ١٣٥.

(٥) جامع السعادات، ج٢، ص: ١٣٥.

ربهم، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»[1].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيراً ولا خير فيه»[2].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): «إنّ الجنة تكلّمت وقالت: إنّي حرام على كل بخيل ومراء».[3].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إعلموا أنَّ يسير الرياء شرك»[4].

ويقسم الرياء بتقسيمات متعددة، نظراً لإختلاف أفراده ومصاديقه من حيث اشتراك حقائقها وتنوعها وتباين أشكالها، وأهم هذه التقسيمات هي:-

أولاً: ما كان على أساس حال النية من حيث الإشراك بها مع الله أو عدمه، وأفرادها هي:

أ – الرياء النفاقي: وهو العمل الصالح ظاهراً، والذي تكون منه نية العبد لغير الله تعالى بالكامل، كالذي يصلي بمحضر الناس ولا يصلي في خلوته ويتصدق بمحضر الناس ويمتنع أن انفرد وحده.

(**١**) جامع السعادات، ج٢ ص: ١٣٥.

(**٢**) ميزان الحكمة، ج٤ ص: ٢٤.

(**٣**) الأخلاق والآداب الاسلامية، ص: ٢١٦.

(**٤**) ميزان الحكمة، ج٤، ص: ٢٨.

ب – الرياء الاشراكي: وهو العمل الصالح ظاهراً، والذي يكون العبد قد أشرك في نيتهِ مع الله غرضاً آخر لا يصحّ إشراكه، كمن يجيد أداء صلاته ويطيلها بمحضر الناس، ولا يفعل ذلك في خلوته.

ثانياً: ما كان على أساس نوع الفعل المراءَى به، وأهمِ أفراد هذا التقسيم هي:-

١- الرياء بالاعمال، العبادية منها، كالصلاة والحج، وأعمال الكثير من الشعائر الإسلامية ومن الشعائر الحسينية وغير العبادية منها، كالتصديق والتبرع وغيرها.

٢- الرياء بالأقوال: ومثاله اصطناع الوعظ والنصح وحفظ ما يناسبه من الآثار والأخبار، ومنه أيضاً تحريك الشفاه بالذكر عند حضور الناس.

٣- الرياء بالآثار والسمات وهو إظهار آثار الاعمال الصالحه وما تتركه على البدن، كأثر السجود في الوجه، أو النحول وإصفرار اللون بالنسبة للسهر والتهجد بالليل والصيام، وكذلك حالات السكينة والوقار عند التكلم والمشي.

٤- الرياء بالغمز واللّمز والإشارة والتعجب وغيرها مما يكون عادةً في المجالس، كالتعجب اصطناعاً عندما يُنقل عن أحدٍ اقتراف موبقةٍ، مُنزهاً نفسه عن تلك الموبقة بتعجبه ذلك.

تحصناً بالله وحفاظاً على عقيدتنا وأعمالنا من الضياع أذكركم وأذكر نفسي، أذكر نفوسنا، أذكر المتعلمين والعابدين والطائعين بأن أمامهم خطراً عظيماً، خطراً يلاحقهم به الشيطان في عباداتهم، يلاحقهم به ليفسد

عليهم أعمالهم وليحولها من طاعة تستوجب الغفران وسكنى الجنان إِلَى معصية تعرض صاحبها للدخول أو الخلود في النيران، ألا وهو الرياء، ذلكم الخطر وذلكم المحبط للأعمال وذلكم الذي نخافه على أنفسنا، هو الرياء، هو إظهار الأعمال وإبطان غيرها والعياذ بالله، هو الرياء وهو أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن، أن يظهر من العبادات والخير خلاف ما يبطنه، إن صلى ولم يقصد الصلاة أو عمل عملاً ما ولم يقصده وشرع فيه ابتداء فذلكم خطر محبط للعمل وموجب لمقت الله وغضب الله، ذلكم هو عمل المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1].

فمن عمل عملاً صالحاً لم يقصده ذاته وأظهره للناس ليقصد به محمدة أو ثناء أو أي نفع مادي أو معنوي فقد ارتكب عملاً شركياً خطيراً محبطاً للأعمال والعياذ بالله، ومن نوى خيراً وشراً، عمل صالحاً وعمل معه عملاً آخر حسن ذلكم العمل ليرى صلاحه أو ليرى موقفه أو لترى شجاعته أو كرمه فذلكم أيضاً محبط للعمل الذي اقترن به، وليس لصاحبه منه شيء، أما من قام لله وعرض له عارض رياء ودفعه فله أجر الدفع وله أجر عمله.

على المسلم أن يكافحَ شيطانهُ ووسوستهُ، فيتجه بأعماله إِلَى الله، يجرد أعماله من إرادة المحمدة، من إرادة الثناء، من إرادة الدنيا، من إرادة أي

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

نفع معنوي، فمن أراد ذلكم بأعماله فما له في الآخرة من خلاق والعياذ بالله.

إنَّ خطر الرياء لعظيم، إنه لمفسد للأعمال، إنه ليس أخطر علينا من أن نظهر بمظهر الصلاح وبواطننا تختلف، إنه ليس أخطر علينا من أن نظهر أن هذا المجال مجال دعوة لنكسب من ورائه نفعاً مادياً، إنه ليس أخطر علينا من أن نظهر أمام الناس بعبادات هي في ظاهرها صلاة وصوم وجهاد، وهي في باطنها موجبة لدخول النار، والعياذ بالله.

علينا التوجه إِلَى الإخلاص وإنقاذ أنفسنا ومجتمعنا وامتنا من الضياع إخوتي ياأبناء الإسلام، أخلصوا أعمالكم واحذروا خطر الرياء، احذروه، فإن عاقبته النار والفضيحة، يقول امير المؤمنين (عليه السلام): « عباد الله ! اعلموا أنّ يسير الرياء شرك، وأنّ إخلاص العمل اليقين، والهوى يقود إِلَى النار، ومجالسة أهل اللهو ينسي القرآن، ويحضر الشيطان، والنسيئ زيادة في الكفر، وأعمال العصاة تدعو إِلَى سخط الرحمن، وسخط الرحمن يدعو إِلَى النار»[1].

يقول العلماء: (من يرائي: من يظهر الأعمال الفعلية ليرائي بها، الله يكشفه في الدنيا وفي الآخرة، ومن يسمع الناس يظهر الأعمال القولية من قراءة أو عظة أو ذكر أو ما إِلَى ذلكم من العبادات القولية، ليري الناس أنه بها صالح ومتعبد)، يكشفه الله للناس، ومثل هذا من يعمل في الباطن خيراً ثم يصبح يعلنه للناس فهو مسمع ومن سمع سمع الله به.

(١) من خطبة الإمام علي (عليه السلام) المعروفة بالدياج.

وابتعدوا عن إرادة الدنيا بأعمال الآخرة، ابتعدوا عن أي محبط للأعمال، وتحصنوا بتقوى الله، وباللجوء إِلَى الله، وبالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وبالإقلاع عما قد يعرض لكم من هذه الأمور، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(١).

فالإخلاص هو إفراد الله في الأعمال كلها، صغيرها وكبيرها، من دون تصنع لمخلوق أو تسميع أو مَنّ أو اكتساب مدح أو ثناء من أي إنسان، أي لا بد أن تكون كل الأعمال خالصة لله وحده لا تشوبها أي شائبة أو تعكير، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٢) وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾(٣)، فالإخلاصُ رأسُ أعمال القلوب التي هي أجل أعمال العبد وأعظمها قدراً، روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّهُ قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الدنيا كلها جهلُ إلا مواضع العلم، والعلم كله جهل إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يُختم له»(٤).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١١.

(٤) البحار م١٥ ص٨٥.

التسويف بحر الهلكى

التسويف وهو من آفات الوقت القاتلة، حيث تتنقل بالإنسان في أعماله من وقت لوقت ومن زمان لزمان ومن مكان لمكان، حتى ينقطع وهو لا ظهر أبقى ولا عمل قضى، لا سيما الأعمال التي تقربه من الله خالقه ومولاه، فكم نسمع بعض الناس إذا نصحوا أو وجهوا أو أمروا بما ينفعهم، يقولون : سوف نتوب، وسوف نعمل،... وأقول: احذروا – بارك الله فيكم – من سوف؛ فإنها جندي من جنود إبليس، إنَّ من ألدِّ أعداءِ الزَّمَنِ التسويفَ الهادمَ للعُمرِ بلا فائدةٍ، المضيعَ للوقتِ الثمين، والمفَوِّتَ لمصالحِ الإنسان، وإذا ما جِئْنَا نبحثُ في التسويفِ وندرسُه، ونتتبعُ أسبابَه ونُشَخِّصُه نجدُ أنَّ مِنْ أهمِّ أسبابِه الانسياقَ وراءَ هَوَى النَّفْس ورغباتِها، والاستجابةِ لدواعيها وشهواتِها، دُونَما رقيبٍ مِنْ ضميرٍ أو عقلٍ أو نظرٍ في عواقبِ الأُمُور، وهَوَى النَّفْسِ – كما قيلَ – شَرُّ داءٍ خالطَ القَلْبَ، عنِ الخيرِ صادٌّ، وللعقلِ مُضادٌّ، يُنتِجُ منَ الأخلاقِ قَبائحَها، ويُظْهِرُ منَ الأفعالِ أَردَءها، قالَ تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[1]، وعلم أن الإنسانُ كلَّما هَوى شيئاً ركبَه، وكلَّما اشتهَى شَيئاً أتاه، لا يحجزُه عَنْ ذلكَ ورعٌ ولا تَقْوى؛ فقدَ اتخذَ إلهه هواه قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، فاتباعُ هَوَى

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

النَّفسِ يَصدُّ عَنْ جادَّةِ السَّبيلِ، ويُحِيلُ القُوى والطَّاقَاتِ إِلَى وِجْهَةِ الضياعِ والتعطيل، يَهدِمُ عُمرَ الإنسانِ ويُرديه، وعنِ السلامةِ يُبعدُه ويُعمِيه، ولكأسِ التعاسةِ والشقاوةِ يَسقيه.

ومن الذي يضمن لك أيها المسوف المؤخر لعملك اليوم غداً وأنه لك لا عليك؛ وأنك ستعيش إِلَى غد، وأنَّ الموت لن يأتيك بغتة، ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

لا يشكُّ العاقل أن تأجيل الأعمال إحدى مهدرات الوقت. ولكن جهل الإنسان و نظراته الضيقة تجعله مسوفا في أعماله، و لربما يلسع المرء من هذا العقرب ألا و هو عقرب التأجيل و التسويف، و لكنه يعود إليه بكسله و توانيه، و الكل منا قد مر بحالات التسويف هذا المرض الخطير الذي تندم الكثير لعدم علاجه بعد تقادم الزمن، ومشكلتنا مع التسويف نتوب ونعود للتسويف والكثير منا لايعالج هذا المرض إِلَى موته وهو في غفلة، والنتيجة يفقد وقته و عمره و حياته بالتسويف.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١٠-١١.

التسويف هو ذلك اللص المحترف الذي يسرق منك فرصة النجاح التي يجب أن تحققها.

فإذا بقيت تسوف وتؤجل فكيف ستتمكن من التغلب على مطالب النفس ورغباتها؟ ولكن بالقضاء على التسويف ستمتلك الهمّة العالية والعزيمة القوية، وستترجم رؤيتك وطموحك وأهدافك إِلَى برامج عمل، وستكسر حواجز الخوف والكسل والراحة، وتنطلق سريعاً قوياً إِلَى ميدان العمل والجهاد لترقى منازل الرجال والعظماء، وتشارك بأعلى نسبة من الأسهم في مشروع إصلاح ونهضة الأمة، وتخط اسمك من نور في تاريخ الإنسانية، وتحجز مكاناً لنفسك بين السابقين الأولين في الفردوس الأعلى.

فقد تمر على الإنسان فرصٌ كثيرةٌ، لو أنه استثمرها لقدم لنفسه الكثير من المنافع الدنوية والاخروية، وربما كان من أولياء الله الصالحين، و لربما كانت فرصة واحدة تمر على أحدنا، لو أنه اغتنمها لنقش اسمه في صفحات التاريخ المشرق، و لكن الإنسان يخادع نفسه فيقول: (الوقت طويل، فلم العجلة؟) و كأنه قد ضمن حياته! و ليس له أن يضمنها.

إن التسويفَ يسرقُ من الإنسان عمره، و يقعد بصاحبه عن القيام بواجبه، فيحول بينه و بين ما يطمع ويتمنى، وكل ذلك تحت طائلة التسويف و التأجيل.

يقول النبي الأكرم محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم): «يا أبا ذر، إياك و التسويف بأملك، فانك بيومك، و لست بما بعده، فإن يكن غداً لك لم تندم على ما فرط في اليوم»[1].

يشير الرسول الأعظم (صّلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الحديث إِلَى أن الأمل الكاذب يؤدي بالإنسان إِلَى التسويف، و أن يوم الإنسان هو الذي في يده، و إذا جاء الغد و استثمره فانه يحقّ له أن يندم على ما فاته.

يقول الإمام علي (عليه السلام): «فتدارك ما بقي من عمرك، و لا تقل غداً أو بعد غدٍ، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني و التسويف، و حتى أتاهم أمر الله بغتة و هم غافلون»[2].

و يقول الإمام الباقر (عليه السلام): «إياك و التسويف ! فإنهُ بحرُ يغرقُ فيه الهلكى»[3].

لإن الإنسان غالباً ما يقع فريسة للتسويف، والندم يكون بعد فوات الأوان واستحالة التدارك، ومن أسوأ موارد التسويف التي يورط نفسه فيها هو تأخير التوبة عن المعاصي وارتكاب الآثام حتى يقع الموت.

وجاء في دعاء للإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام): «و أعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف و الآمال عمري، و قد نزلت الآيسين من خيري»[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٧٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٧٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٣،ص٣٦.

(٤) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٨٨.

ولا ملامة إن بكى الإنسان حسرةً على ما ضيعهُ من عمره بالتسويف! فالتسويف لا يغنى سوى حرق ساعات العمر دون فائدة!

اعلم إن لكل يوم عمله، ولكل وقت واجباته، فليس هناك مجال للتسويف، ولما قيل لأحد العلماء، وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة العمل: أخر هذا إِلَى الغد. فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع عليّ عمل يومين؟!

فالله الله في الحفاظ على الأوقات واستغلالها فيما يرضي رب الأرض والسماوات، والحذر والحذر من الغفلات، وتأخير الطاعات والتسويف في فعل الخيرات؛ وإضاعة الأوقات فيما يسخط عالم السر والخفيات. وما يسبب لكم الفوات أو للنفس اعتياد المنكرات.

واكد الإسلام على حفاظ الأَوقات إن الوقت إذا كان مقسماً ومبرمجاً استفاد صاحبه منه وتمكن أن يقوم بواجباته ومهماته، ويكون له عمل بارز ومثمر وقد أكدت الشريعة الإسلامية على لسان الأنبياء والرسل والأئمة على أهمية تقسيم الوقت، ولا يُضيّع حقاً على حساب حق آخر فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يتفكر فيها صنع الله إِليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب وتفريغ لها.... »[1].

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص٣٣٤ والخصال له أيضاً، ص٥٢٤.

واعلموا أنَّ العمل مهمةُ الإنسان الحي، فالذي لا يعمل لا يستحق الحياة، بل هو ميت، وكل عمل ابن آدم عليه إلا عمل الآخرة وما يقرب إِلَى الله – عز وجل –، فإنه له يضاعف له الحسنة بعشرة أمثالها إِلَى أضعاف كثيرة، ولا يمنع ذلك من أن يعمل الإنسان لدنياه، وما يعينه في مسيره إِلَى الآخرة، لكن يعمل للدنيا، وشعاره: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أكبر شقاء يصيب الإنسان؛ بسبب المماطلة والتسويف في التوبة، ومعنى المماطلة؛ يعني تأجيل عمل اليوم إِلَى غدٍ وهكذا.

والأئمة المعصومون (عليهم السلام) يحترزون من هذا الأمر أشد الإحتراز. والإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة يشكو من هذا الأمر ويقول: «فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري».

يبقى الإنسان يؤخر عمل الآخرة ويؤجل التوبة إِلَى غدٍ ثم إِلَى بعد غد وهكذا إِلَى أن ينتهي العمر ولم يتب. إن التسويف يؤدي إِلَى طول الأمل ونسيان الآخرة؛ فيحرم العبد من عمل الخير، لذا نجد في كلمات النبي (صلى صّلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) إشارة إِلَى ذلك: «واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

وكما أن التسويف في أعمال الخير مذموم على العكس من التسويف في السيئات والشهوات فإنّهُ عملٌ ممدوحٌ؛ يعني إن الإنسان إذا أراد أن يعمل عملاً سيئاً فلا يعجل به وعليه أن يؤخره إِلَى غد وإِلَى بعد غد

وهكذا إِلَى أن يتركه. وقد ورد في أحاديث النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) عبارة: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً» فإذا أردت أن تعمل سوءاً فتصور أنك ستعيش إِلَى أبد الدهر وأخّر هذا العمل إِلَى غدٍ وبعد غد حتى لاتعمله. وبعض الناس يتوهمون بأن هذه العبارة تعني؛ أيها الإنسان تعلّق بهذه الدنيا واعمل لها واجمع فيها ماتستطيع جمعه كأنك مخلد فيها، وهذا خطأ؛ لأن هاتين العبارتين تدلان على المقابلة البديعية، يعني؛ كما أنك يجب أن لا تسوف وتُماطل في أمور الخير، فعليك أن تسوف وتُماطل في الأمور الدنيوية وفي الشهوات والملذات.

لأمر الذي يحدد قدرتنا على المواصلة في العمل دون تسويف هو مقدار الحماسة، والإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان يثمر الصلاح والعمل، وعدم الإيمان باليوم الآخر له أثر كذلك في حياته، يثمر الفساد والتسويف.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وكذلك آية سورة المائدة إذ يقول سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾[2]. وكذلك آية سورة الحديد إذ يقول سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢١.

الغفلةُ أضرُ الأعداء

ينبغي التأكيد على أن كثيراً من المزالق التي يتعرض لها الإنسان في حياته، منشأها الغفلة، إذ غفلة الرأس المعاصي، فهي تقود الإنسان إِلَى نسيان الله، و التكذيب، و الكفر.

الغفلة تطمس بصيرة القلب وتسودها وتغلفها فتحجب عن رؤية الحق أو الإحساس بالذنب، فتراه حينئذ عبداً لِكُلِّ شهوةٍ خائبةٍ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وتعمي الأبصار: تعمى عن كل طاعةٍ وهدى، فلا ترى إلا طريق الغي والردى، ترى سراب الشهوات تحسبه ماء يروي ظمأها، وترى ظلال الطاعة فتحسبه نارا ينغص بردها وسلامتها، فحاله كما قال ربنا ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[2].

وتنسي صاحبها ربه. ثم تنسيه نفسَهُ حتى يهلكها، ويظن أنه يحسنُ صنعاً ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]. وتضيق الصدر وتنكد الفرح وتوجب التعاسة والترح ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[4].

إنَّ الغفلة قاتلة: (للحس والانشراح والنور والقلب)

فتراه لاحياة فيه إلا ظاهر حركاته كأنه قبر يدب على الأرض !!

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٩.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.

الغفلة أنها تقتل قلب صاحبها فلا يرى مصلحته الدنيوية والأخروية لذلك نهى الله عنها فقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2].

من أهم مظاهر الغفلة (الغفلة عن ذكر الله) و(الغفلة عن المبدأ والمعاد).

ولقد تناول القرآن الكريم مشكلة الغفلة في مجموعة من آياته البينات، منها الآية الكريمة التالية : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3].

إن الله تعالى قد حذرنا من الغفلة أشد التحذير، حتى إنه جعل أهلها أضل من الأنعام سبيلاً، بل جعلهم حطب جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4]. لان الغفلة مدخل إِلَى حب الدنيا، و شربِ الخمرِ و الغيبةِ و السرقةِ و القتلِ والكثيرِ من المنكرات والخبائث.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وحذَّر نبيه محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) من أن يطيع أو يسمع للغافلين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[1].

أرشد سبحانه وتعالى إِلَى علاج هذه الآفة؛ في قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[2].

إن خطورة الغفلة تكمن في أَنها تلغي دور الحواس لدى الإنسان، فتنسيه قيمه و مبادئه و أهدافه، و تحوله إِلَى مجرد باحث عن الذات و الشهوات، و من يكون على حالة كهذه، لن تجد للوقت عنده ثمنا.

وفي حقيقة الأمر أن الغفلة على قسمين:

أ- الغفلة البسيطة (الجزئية).

ب- الغفلة الكبيرة (الكلية) أو(المركبة).

فقد يغفل المرء عن موعد امتحانه الدراسي— مثلا — فيضطر إِلَى إعادة الامتحان، و لربما لاعادة الدورة الدراسية، و هذه غفلة جزئية، تكلفه كثير من الجهد، وتصرفٌ من وقته الكثير أيضا.

و أخطر من هذه الغفلة البسيطة، الغفلة الكبيرة، و هي أن يغفل الإنسان دورة في الحياة، و مسؤوليته فيها، و هذا النوع من الغفلة يحرق

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

عمره فلا يلتفت إلا عند الموت، و كأنه كان نائما فانتبه، و لكن بعد أن فات الأوان.

والمصابون بهذا النوع من الغفلة هم الذين يقول عنهم الإمام علي (عليه السلام): «فيا لها من حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة، و أن تؤديه أيامه إِلَى الشقوة !»[1].

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

ويحذر بني آدم من الغفلة الكبرى، فيقول سبحانه :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[3].

الغفلة المرض العضال، يضيع عمر الإنسان، فيفتك به. و كمثال على تشبيه الغفلة، يحكى أن سارقا دخل بيتا ليسرقه، فاستيقظ صاحب البيت، و قال في نفسه، لأسكنن حتى أنظر غاية ما يصنع، و لأتركنه، حتى إذا فرغ مما يأخذ، قمت إِليه فنغصت ذلك عليه و كدرته، فسكت و هو مضطجع في فراشه، و أخذ السارق يطوف في البيت، و يجمع ما قدر عليه، حتى غلب على صاحب البيت النعاس، فنام، و رافق ذلك فراغ السارق، فعمد الأخير إِلَى جميع ما جمعه و احتمله و انطلق به، و استيقظ

(١) نهج البلاغة،خطبة/٦٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الرجل بعد ذهاب السارق، فلم يجد في منزله شيئا، فأخذ يلوم نفسه و يعاتبها، و هو يقلب كفيه و يعض أنامله أسفا و حسرة، ولات ساعة أسف و حسرة! وهكذا تفعل الغفلة في الإنسان، فتنسيه دوره و مسؤوليته، و تسرق منه حياته، و تفسد عليه أعماله.

ومن هنا يقول الإمام علي (عليه السلام): «إياك و الغفلة و الاعترار بالمهلة، فأن الغفلة تفسد الأعمال».

وقد جعل الإمام علي الغفلة على رأس قائمة أعداء الإنسان فقال: « الغفلة أضر الأعداء».

قال (عليه السلام) محذراً الغافل و متوعداً إياه: «ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسى الرحلة، و لم يستعد»[1].

ويصف (عليه السلام) الغافل بقوله: «كم من غافل ينسج ثوبا ليلبسه و إنما هو كفنه، و يبني بيتا ليسكنه و إنما هو موضع قبره»[2].

ويقول الإمام علي (عليه السلام) موجها الإنسان إِلَى اجتنابِ الغفلة: «كفى بالمرء غفلة أن يضيع عمره فيما لا ينجيه»[3].

ويقول أيضاً (عليه السلام): «ألا مستيقظ من غفلتهِ قبل نفاد مدته»[4].

---

(١) غرر الحكم.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٤٠١.

(٣) غرر الحكم.

(٤) بحار الأنوار، ج٧، ص٣٨١.

ويقول أيضاً: «إنَّ من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»[1].

يعلم الدنيا ويجهل الآخرة

من الأمورِ التي نراها اليوم اهتمام الناس بالدنيا، وانغماسهم في أمور المعاش، واستغراق وقتهم فيهما، وعدم الاهتمام بأمور دينهم حتى لا يكاد يعرف أحدهم الأحكام اللازمة لعبادة ربه، فيصبح بذلك الصنيع جاهلاً جهلا مؤديا إِلَى الهلاك والعياذ بالله.

وقد أشار القرآن الكريم لهذا السبب في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

يعلمون أحوال السوق والبضائع والأسعار والزراعة وأوقاتها والصناعة، ويعرفون متى يأكلون، وماذا يأكلون ويشربون، يعرفون كل ما له تعلق بالحياة الدنيا، أما أمور الدين وأحوال الآخرة وما فيها من أهوال وحساب فهم عنها غافلون لا يبالون بها، وقد يصلي المرء ويصوم ويزكي ويدعي أنه يفعل

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص٣٨١.

(٢) سورة الرّوم، الآية: ٧-٩.

الخيرات كلها إلا أنه في واقع الأمر غافل لا يبالي بالله وأنه الخالق الرازق، بل هو مهموم بدنياه مغموم بها، لأنّ الإنسان قد لا يكفر كفراً صريحاً، وقد لا يتكبر بل يتواضع، ولكنه يهيمُ في دنياه بما ينسيه آخرته.

وقد ضرب الله لهؤلاء الأمثال، ولفت انتباههم إِلَى أنفسهم وإِلَى السموات والأرض، ثم حذرهم مما أصاب الأمم السابقة، فما أيقظ ذلك لهم ضميراً ولا أحيا لهم قلبا، إذ كانت قلوبهم في غمرةٍ، ولهم أعمال هم بها مشغولون، وهم عن ربهم غافلون.

محاسبة النفس ضمان من الانحراف

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

فالآية تأمر الإنسان أن يقدم ليوم القيامة الأعمال الحسنة، وهو معنى المحاسبة للنفس ولينظر هل قدم خيراً حتى يستزيد منه أو قدم شراً حتى يستغفر الله ويتوب إِليه مما ارتكب من مخالفات.

و الآية يمكن أن يستدل بها على وجوب محاسبة النفس بعد أن الزمت بالنظر فيما تقدمه النفس لغد؛ وهو كناية عن يوم القيامة وذلك:

١- إنّ الغد قريبٌ لليوم الذي سبقه، وكذلك القيامة قريبة للدنيا.

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨-١٩.

٢- ويحتمل أنه عبر عن القيامة بالغد، لأن الدنيا مهما طالت فعمرها قصير.

المحاسبة اليومية للنفس، هي كفيلة مع باقي الخطوات من المشارطة والمراقبة والمعاقبة - بأن يتخلص الإنسان من كثير من السلبيات، فيقف وقفةً مع نفسه في نهاية كل يوم، ويسألها هل صدرت مني غيبةٌ في هذا اليوم؟

قال الكاظم (عليه السلام): ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل خيرا استزاد الله منه وحمد الله عليه، وإن عمل شرا استغفر الله منه وتاب إليه[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال: (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه: فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا من عند الله جل ذكره، فإذا علم الله جل وعز ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة ثم تلا قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[2].

وعن أبي حمزة الثمالي قال : كان علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول: (ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت

(١)الاختصاص للشيخ المفيد، ص ٢٤٣ ونقله المجلسي (رحمه الله) في البحار ج ١٥ باب آثار الذنوب

(٢) الكافي ج٨ ص١٤٣ حديث محاسبة النفس، وسائل الشيعة ج١٦ ص٩٦ من أبواب جهاد النفس ح ٢١٠٧٥.

المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحزن لك دثاراً، ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فأعد جواباً)[1].

مع عدم إغفال المحاسبة الانية واليومية و الأسبوعية والشهرية ليأتي بحصيلة يعتد بها في هذا الجانب، يمكنه من خلالها أن يعرف مدى التزامه بترك الحرمات والصفات الرذيلة. والمحاسبة الأسبوعية والشهرية لا يمكن أن تتم- حسب الظاهر- بشكل دقيق إلا من خلال المحاسبة اليومية، والمحاسبة اليومية لا يمكن أن تعطي ثمارها بشكل جيد إلا بمحاسبة النفس بطريقة علمية إن صح التعبير – أي بعدم الاكتفاء بالتفكير في الأخطاء بل تدوينها أو عدم الغفلة عنها من اجل ذكرها على الدوام من اجل تركها، ليسهل عليه مراجعة الأخطاء عند المحاسبة اليومية و الأسبوعية والشهرية.

فمعاتبة ومعاقبة النفس عند ارتكاب المحرمات، فالمحاسبة الناجحة والتي تعطي ثمارها بشكل أفضل هي ما اجتمعت فيها معاتبة النفس وتوبيخها، ومعاقبة النفس بما يرضاه الشرع.

كأن يلزم نفسه بصوم يوم صياماً مستحباً إذا تجاوز الحد – مثلا –، مع الالتفات إِلَى ضرورة عدم الضغط الشديد على النفس بما لا تطيق، والذي قد يجعل ردة الفعل عكس ما أراده فتتمرد وينفلت زمام الأمر من يد صاحبها.

محاسبة النفس طريق النجاح وسبب للفلاح وأمارة وسعادة ودليل رشاد ومما يعين على محاسبة النفس استشعار رقابة الله على العباد واطلاعه

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص٩٦ ح ٢١٠٧٦.

على خفاياه واسراره والانسان يجهل حتى نقسه، فلماذ العناد والبعد عن الله، ونحن كلنا نقص، كفانا عناد، وأن يعلم العبد أنه مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة، وأن يتذكر الحساب الأكبر يوم القيامة، فتذكر الموت وأهوال القيامة يدعو المؤمن إِلَى محاسبة النفس، والأخذ بزمامها إِلَى طريق الخير والفلاح.

المعروف والأمر به و المنكر و النهي عنه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات الشرعية والعقلية، وهو فرع من فروع الدين، وهو من أفضل العبادات، وأنبل الطاعات، وهو من أهم الأساليب، والأدوات العملية في منع الرذائل، وانتشار الفضائل، وزرع بذور الخير والصلاح في المجتمع، وقلع جذور الشر والفساد والتحلل الأخلاقي من البنية الاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة الأنبياء جميعاً، إنهُ من أخص صفات المؤمنين ودليل على صدق إيمانهم واستجابتهم لخالقهم، أنه سر خيرية هذه الأمة وتفضيلها على الأمم، إنه يكفر الخطايا؛ أنه من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

وفي القرآن الكريم نجد عشرات الآيات الشريفة التي تدعو للقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بهدف نشر الحق والفضيلة والصلاح في المجتمع، ومحاربة وقلع المنكر بمختلف أشكاله وألوانه وصوره.

وقد جعل القرآن المجيد فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى صفات الأمة التي نعتها ربها بأنها خير أمة، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ

هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمرٌ، وظاهر الأمر الإيجاب هذا من جهة، ومن جهة أخرى حصرت الآية الفلاح بهذا العمل.

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[2] فالآية قرنت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان بالله تعالى، وتخصيص الثناء والمدح بالخيرية بهذه الصفات الثلاث، فهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأوصاف الخاصة بالمؤمنين، وعليهما تترتب الرحمة، وقد ذكرا في سياق الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فهما واجبان بدلالة وحدة السياق، وتكرّر اقترانهما مع الواجبات يفيد وجوبهما.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[4]، ففعل الأمر﴿ قُوا ﴾ يدل على الوجوب، ويتحقق هذا الفعل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما واجبان؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فالآية تشمل الأمر بكل معروف كان واجباً أو مندوبا، والنهي عن كل منكر كان محرماً أو مكروها، وهي بصيغة الأمر الصريح الدال على الوجوب.

وإنَّ من سُنن الله الماضية أن يُسَلِّط عقوباته على المجتمعات التي تفرِّط في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[3]، فلو لم يكن النهي عن المنكر واجباً لما استحقوا اللعنة بتركهم إياه؛ لأن اللعنة تختص بترك الواجب.

ولقد غطَّى الجهل وقلَّة الدين على قلوب بعض السطحيِّين، فاغترُّوا بإمهال الله عز وجل، فظنوا أنَّ تحذير الغيورين من مغبَّة التمادي في المنكر

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٨-٧٩.

ومن عُقبى السكوت عن إنكاره؛ ظنُّوا ذلك ضرباً من ضروب الإرهاب الفكري والتَّخويف المبالَغ فيه، وليس له حقيقة.

لكنَّ الذين يستنيرون بنور الوحي، ويتأمَّلون نصوص الكتاب والسُّنَّة: يُدْرِكون تمام الإدراك العقوبات العظيمة التي سنَّها الله في حقِّ كلِّ أمَّة تخلَّت عن الأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، سواء كانت تلك النصوص حكاية لمصائر الأمم التي فرَّطت في تلك الشعيرة، أو وعيدًا لمِن سلَكَ سبيلَها، وليس من الضَّروري أن تظهر هذه العقوبات بين يوم وليلة؛ فإنَّ الذي يحدِّد زمانَها ومكانَها وصفتَها هو الله عزَّ وجلَّ، وليس استعجالَ البشر أو استبطاءهم.

إنَّ المنكَر إذا أُعلن في مجتمع، ولم يوجدْ مَن يقف في وجهه؛ فإن سوقه تقوم، وعوده يشتد، وسلطته تَظْهَر، ورواقَه يمتد، ويصبح دليلاً على تمكُّن أهل المنكر وقوَّتهم، وذريعةً لاقتداء الناس بهم، وتقليدهم إيَّاهم، وما أحرصَ أهلَ المنكر على ذلك!

ولهذا توعَّدهم الله جلَّ وعلا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾[1].

فإذا قلَّد بعض الناس أهل المنكر والزَّيغ في منكرهم؛ أخذ الباطل في الظهور، وهان خطبُه شيئًا فشيئًا في النفوس، وسكت الناس عنه، وشُغِلوا بما هو أعظم منه، وما تزال المنكراتُ تفشو، حتى يَكْثُرَ الخبَثُ، ويصير أمراً عاديّاً مستساغاً؛ تألَفُه النفوس، وتتربَّى عليه.

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

ولابد ان نشير إِلَى الشروط الواجب توفرها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

١ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر نفسه عارفاً بالمعروف وبالمنكر. عن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمة جميعاً «قال عليه السلام: لا، فقيل: ولم؟ قال: إنَّما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الَّذين لا يهتدون سبيلاً، إِلَى أيّ من أيّ، يقول إِلَى الحق أم إِلَى الباطل، والدليل على ذلك من كتاب الله قول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾»[1].

٢ـ ان يحتمل التأثير على الأقل، فإذا علم أن فلاناً الذي يأمر بالمعروف لا يعمل بقوله وأمره لم يجب عليه الأمر.

٣ـ أن يكون مرتكب المنكر أو تارك المعروف مصراً على عمله، فإذا ارتكب أحد منكراً ولكنه ندم على فعله وعزم على تركه للأبد لم يجب نهيه عن المنكر.

٤ـ أن لا يتوجه إِلَى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ضرر بسبب أمره أو نهيه.

كذلك وجوب معرفة مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي على مراتب:-

(١) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ٣ – ص ١٩٤٨.

١- الإنكارُ القلبيّ وهو واجبٌ عيني، فالمكلف في هذه المرحلة ينزعج من فعل المنكر قلبيّاً، و يبدي نفوره.

٢- إظهارُ الكراهة عن المنكِر وهوكذلك واجبٌ عيني، كتقطيب الوجه في وجه فاعله وان علم عدم تأثيره فيه.

٣- الإنكارُ باللسان وإظهار الكراهة بالوعظ والإرشاد.

٤- الإنكارُ باليد، مثل أن يضرب مرتكب الحرام.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم): «لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنْهُنَّ عن المنكر أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[١].

وعن الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم): «من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسول الله وخليفة كتابه»[٢].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي- ج ١٦، ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – ص ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٨٩.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزَّه الله ومن خذلهما خذله الله»[1].

آثار الأمر والنهي على الفرد

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من كانت فيه ثلاث سلمت له الدنيا والآخرة: يأمر بالمعروف ويأتمر به، وينهى عن المنكر وينتهي عنه، ويحافظ على حدود الله عزَّ وجلَّ»[2].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجلٍ ولا يقطعان من رزق»[3].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنَّ للجنة باباً يقال له باب المعروف، فلا يدخله إلا أهل المعروف، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[4].

آثار الأمر والنهي العامة

عن الإمام الباقر (عليه السلام): «إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض

---

(١) وسائل الشيعة – الحر العاملي – ط مؤسسة أهل البيت(عليهم السلام) – ج ١٦ ص ١٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤٢٢.

(٣) نهج البلاغة: ج٢، ص ٤٩.

(٤) الكافي: ج ٤، ص ٣٠.

وتأمن المذاهب، وتُحلّ المكاسب، وتُردّ المظالم، وتعمر الأرض ويُنتصف من الظالِم ويستقيم الأمر»[1].

وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر»[2].

وعن الإمام علي (عليه السلام): «فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر أبهذا تريدون أن تجاوروا (الله) في دار قدسه؟، وتكونوا أعز أوليائه عنده، هيهات لا يخدع الله عن جنته، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته»[3].

من لا يأمر ولا ينهى

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء»[4].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «ويل لقومٍ لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[5].

وعن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٢٣.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٢.

(٤) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٥١.

(٥) الكافي: ج ٥، ص ٥٧.

دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر»[1].

لماذا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟

وعن الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّ المعصية إذا عمل بها العبد سراً لم تضر إلا عاملها وإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه أضرت بالعامة»[2].

آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن الإمام علي (عليه السلام): «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الله أمركم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[3].

وعن الرسول الأكرم (صلى صّلى الله عليه وآله وسلم): «لتأمُرن بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليعمَّكم عذاب الله»[4].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أيُّما ناشئ نشأ في قوم ثم لم يؤدّب على معصيته؛ فإنَّ الله أول ما يعاقبهم فيه، أن ينقص في أرزاقهم»[5].

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦، ص ١٣٦.

(٣) الكافي: ج ٧، ص ٥٢.

(٤) جواهر الكلام – الشيخ الجواهري – ط دار الكتبة الإسلامية – ج ٢١ ص ٣٥٩.

(٥) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ١٣٣.

مسؤولية الأمة جميعاً في الأمر والنهي

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قومٌ مراؤون يتقرّؤون ويتنسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا آمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ويتبعون زلات العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلفهم في نفس ولا مال، ولو أخرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها»[1].

وعن الحارث بن المغيرة قال، لقيني أبو عبد الله (عليه السلام) في طريق المدينة فقال: «من ذا أحارث؟ قلت: » نعم: قال: أما لأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، ثم مضى فأتيته فاستأذنت عليه فدخلت فقلت: لقيتني فقلت لأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمر عظيم، قال: نعم ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم مما تكرهون وما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً؟ فقلت له: جعلت فداك إذاً لا يطيعوننا ولا يقبلون منا فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»[2].

وفي موعظة بليغة لنبي الله عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام) يقول: «إن الحريق ليقع في البيت الواحد فلا يزال ينتقل من بيت إِلَى بيت حتى تحترق بيوت كثيرة، إلا أن يستدرك البيت الأول فيهدم قواعده، فلا

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٦.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٨ – ص ١٦٢.

تجد فيه النار معملاً، وكذلك الظالم الأول لو يؤخذ على يديه لم يوجد من بعده أمام ظالم فيأتون به، كما لو لم تجد النار في البيت الأول خشباً وألواحاً لم تحرق شيئاً. من نظر إِلَى الأفعى تؤم أخاه لتلدغه ولم يحذره حتى قتلته، فلا يأمن أن يكون قد شرك في دمه أيضاً. من نظر إِلَى أخيه يعمل بالمعاصي ولم يحذره حتى أحاطت به فلا يأمن أن يكون قد شرك في إثمه، ومن استطاع أن يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم، لا ينتهي ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه؟ فمن أين يقصر الظالمون أم كيف لا يفترون؟ أفحسب أن يقول أحدكم: لا أظلم ومن شاء فليظلم، ويرى الظلم فلا يغيره فلو كان الأمر على ما تقولون لم تعاقبوا مع الظالمين الذين لم تعملوا بأعمالهم، حتى تنزل بهم العثرة في الدنيا»[1].

قدر الأَمر والنهي

قال بعضهم للنبي (صل صّلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّنا لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كلّه ولا ننهى عن المنكر حتى ننتهي عنه كله فقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): لا بل مروا بالمعروف؛ وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كلّه»[2].

(١) بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣٠٨.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٩٥٠.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنَّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عامل بما يأمر به وتارك لما ينهى عنه، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى، رفيق فيما يأمر ورفيق فيما ينهى»[1].

قاعدتان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

القاعدة الأولى الْمُؤْمِنُونَ: قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

القاعدة الثانية الْمُنَافِقُونَ: قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١-٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧-٦٨.

إيقاظ وتذكير

تنويهٌ هامٌ جداً: قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1]. أن توبيخَ الناس في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، وهذا يوجب علينا ان ننتبه أكثر ونعمل أكثر من اجل هداية أنفسنا قبل هداية الناس، وهذا الكلام ليس بحجة لأحد أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أن احتسابه لا يفيد بسبب تقصيره فلربما يفيد المقصرّ حيث لا يفيد فيه من هو أحسن منه حالاً.

لا يُفهم بما ذُكر بأننا نقول بترك المعروف وفعل المنكر للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، بل نؤكد أنه يجبُ على الآمر فعل المعروف، والناهي ترك المنكر، أنه يعرض نفسه لغضب الله تعالى عند التساهل في هذا، ونقرر أيضاً بأنه ينبغي أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه كما كان رسولنا محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم).

غاية ما في الآمر أن فعل المعروف وترك المنكر ليس شرطاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُقال لمن أمر بالمعروف ولم يفعله أو نهى عن المنكر وفعله: لا تأمر بالمعروف ولا تنه عن المنكر، بل نقول له: استمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتق الله تعالى في نفسك فمرها بالمعروف وانهها عن المنكر.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

الحلفُ بالله في الأَسواق

فُشوُّ الأيمان الكاذبة في الأسواق، فتجد الكثير من الباعة هان عندهم الحلف بالله، بل جرَّه ذلك للحلف كذبًا ومكرا، فيدعي أنه اشترى السلعة بكذا وكذا وهي رخيصة، وأنه لا يملك في صندوقه شيئًا، أو أنهُ لم يبع شيئًا هذا اليوم، أو يحلف إنها قد بيعت بأغلى من ذلك وأنه تسامح معك، إِلَى غير ذلك مما تلحظون وتشاهدون.

إنَّ الحلفَ بالله تعالى كذبًا من كبائر الذنوب، فإن كنت تريد أن تجني الاموال من هذا اليمين فقد أتعبت نفسك وأغضبت ربك، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد نهى عن ذلك، فقال عزّ وجلّ : وَلاَ تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ...»[1].

و أُوكّدُ في الحلف في البيع والشراء على اليمين الغموس قالوا في تحديد اليمين الغموس أنّها الحلف بالله تعالى كذباً على وقوع أمر، والحلف على استحلال مال الغير ظلماً وعدواناً، أو الحلف لمنع حقّ الغير ظلماً، وروي عن الائمّة (عليهم السلام) في سبب تسميتها بالغموس أنّها (تغمس صاحبها في الاثم ثمّ في النار) وليس فيها كفارة لعظم الذنب كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤. الوسائل

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

واليمين الغموس الكاذبة يعني: أنّها تغمس صاحبها في المعصية، أو في جهنّم، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من حَلَفَ على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله عزّ وجلّ».

وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها وتثقل في الرحم» يعني: انقطاع النسل.

عدم إتقان العبادات

ومن مظاهر الانحراف هو شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار، فيقرؤها بطريقة رتيبة مملة هذا إذا حافظ عليها، ولو اعتاد أن يدعو بدعاء معين في وقت معين أتت به السنة الشريفة فإنه لا يفكر في معاني هذا الدعاء.

التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾[1]. ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر، فقد يؤخر الحج وهو قادر ويتفارط الغزو وهو قاعد، ويتأخر عن صلاة الجماعة. ومثل هذا لا يشعر بتأنيب الضمير إذا نام عن الصلاة المكتوبة، وكذا لو فاتته نافلة أو وِرْد من أوراده، فإنه لا يرغب في قضائه ولا

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

تعويض ما فاته، وكذا يتعمد تفويت كل ما هو سنة أو من فروض الكفاية، فربما لا يصلي الكسوف والخسوف، ولا يهتم بحضور مجالس العلم والذكر، فهو راغبٌ عن الأجر، مستغن عنه على النقيض ممن وصفهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1].

ومن مظاهر التكاسل في الطاعات، التكاسل عن المستحبات الأكيدة، من قيام الليل، وسائر النوافل فمثلاً صلاة الغفيلة لا تخطر له ببال.

التكاسل عن الصلاة في وقت العمل

كم هذه الحالة تثير الحزن، وتوضح حالة الانحراف عند المسلمين، إذا حانت الصلاة تثاقل وتكاسل وفضل العمل على الصلاة مع فراغة، وربما صلى لوحده على عجل وسرعة خوفاً على وقت العمل، عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصليها»[2].

و هناك نسبةٌ غير قليلةٍ من الباعة يصلون في محلاتهم ومتاجرهم ويهجر جماعة المسلمين في الواجبات والمستحبات من العبادات الجماعية لتفضيل مصالح النفس، وهناك فئة لا تصلي بالكلية نذكرهم بما جاء عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) يسأله أحدهم قال: قلت له يقصد

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج٢، ص١٨١.

الامام: «أيُّ الأعمال هو أفضل بعد المعرفة؟ قال: ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة»[1]، وأخرى تغلق الدكاكين ومحال تجارتهم على نفسها ويختبئون ويظهرون للناس أنهم ذهبوا للصلاة من أجل كسب ثقة الناس لهم، مع علم اكثرهم بصفات أهل الإيمان هي بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2].

فهؤلاء إن ستروا مابينهم وبين أعين الناس بالأبواب والجدران، فكيف يسترون مابينهم وبين الله وهو عليم بهم لاتخفى عليه خافيه.

الربا والمكر والبخس

لقد أمَّ أقوام السوق لا يطلبون الحلال بل سعيهم الحرام، واختلفت قلوبهم وشاهَت وجوههم عن الحق، ولا يبالون أحلالاً أكلوا أم حرامًا، بل شرارهم مارس العمليات المحرمة، واستطعم قاذورات الربا والمكر والبخس والاختلاس والغش، رضي بحرب الله تعالى؛ وبأذية عباده التي تورث بغضه ولعنته ومنابذته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المِسِّ﴾[3].

(١) ميزان الحكمة، مج٥، ص٣٦٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

لقد بُنيت أجساد هؤلاء من نار حامية، وزُيّنت من لظى العاتية، إذ أكلوا الربا واستطعموا الردى، يخشون الفقر وقلة المال، ولم يبالوا بنارٍ تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.

من صور احتيال هؤلاء القرض بفائدة، وبيع ما لا يملك، وإخفاء رداءة السلعة، وبخس العمال حقوقهم، وتلقّي الركبان، والزيادة في السلعة وهو لا يريد شراءها كما يحصل في المزادات والمعارض، وهو ما يسمى بالنجش، فيتواطأ عصبة من أهل المكر على رجل مسكين والسلعة لهم، فيوهمون شراءها حتى يرتفع ثمنها، وهي أقل من ذلك وأهون.

التعلّقُ بغير الله

ومن الانحرفات الخطيرة تعلق الامة الاسلامية بغير الله، وتعلق أبنائها بالشهوات، ودخولهم سجون التعلق بغير الله، فإن الواجب الأول على الفئة المؤمنة التي تحررت من القيود، أن تبذل غاية جهدها في تحرير الأمة من الداخل، وإعادتها إِلَى صحتها مرة ثانية، فهذا هو الهدف الجماعي الأول الذي يسير جنبًا إِلَى جنب مع الهدف الفردي وهو إصلاح المرء الدائم لنفسه.

إن البشرية الآن تدفع ثمن غياب أمة الإسلام عن القيام بواجبها نحوها، فما نشاهده من ضياع وتخبط، واستعلاء الشهوات، وعبادة الذات، والانكفاء نحو الطين... كل ذلك وغيره نتيجة لغياب الدور المؤثر لأمة الإسلام والتي عليها أن تقود البشرية نحو منهج الله.

ولأن الأمة الآن مريضة، فإن الهدف الأول لكل المؤمنين الاقوياء الايمان أن ينتفضوا ويبذلوا غاية جهدهم في عودتها للصحة مرة ثانية لتقوم بعد ذلك بأداء واجبها نحو البشرية .

أنَّ جوهر الإصلاح الذي ننشده في أنفسنا وفي الآخرين هو التحرر من العبودية لغير الله.. هو التعلق به وحده، والتحرر من أسر قيود التعلق بغيره.

فالحرية الحقيقية هي التحرر من كل سجن ومن كل قيد يقيد الإنسان، والذي يتعلق بالدنيا أو بالشمس أو بكوكب أو بميت أو بمذهب من أهل الاهواء فهو سجنه، والذي يتعلق بشهوة فهو أسير لها، والذي يتعلق بنفسه فهو عبد لها، والذي يتعلق بمنصب فهو مسجون فيه، مقيد به.

والذي يتعلق بماله أو ولده فهو مقيد ومعذَّب بهم ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. ﴾[1].

أما العبودية لله عز وجل فهي الحرية الحقيقية، لأن الإنسان إنما خُلق ليكون عبدًا لله فقط، وكل شيء حوله فهو خادم له، مُسخَّر من أجله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[2].

فإذا ما أدرك المرء هذه الحقيقة، وتجلبب بجلباب العبودية لله، فإن رؤيته للأشياء من حوله ستختلف عن ذي قبل. سيراها على حقيقتها من حيث

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

كونها مسخرة له، تعمل من أجله بلا أجرة، وأنها لا تملك له نفعًا ولا ضرًّا، فيزهد فيها، وتنصرف رغبته عنها، وطمعه فيها، فيتعامل معها بهدوء وسكينة، ويستخدمها كأدوات خادمة له، أتاحها له ربه كأسباب تتيسر من خلالها الحياة على الأرض.

إن العبودية لله تعالى تحمل معها السعادة الحقيقية، والشعور بالحرية مما سواه، والعز في الاستغناء عن غيره.

أي لذلك فإن الدعوة التي ينبغي حملها للعالمين هي التحرر من كل عبودية سوى الله، أو بعبارة أخرى: فك قيود التعلق بغيره.

إنَّ الدنيا مليئة بالسجون المعنوية التي تكتظ بالبشر، وتحُول بينهم وبين الحرية الحقيقية، أما خارج تلك السجون حيث الحرية والسعادة والسكينة فلا يوجد فيها إلا قليلون.

لذلك فإن الواجب يُحتم على كل من ذاق طعم الحرية، وتخلص من قيود التعلق بغير الله تعالى أن يجتهد في تحرير الآخرين، وهذا هو الواجب الأول على أمة الإسلام: أن تُنقذ البشرية المعذبة الحائرة التائهة السجينة، التي تتخبط في الظلام.

انت صاحب التغير

التغيير على صعيد النفس والمجتمع يحتاج إِلَى شجاعة كبيرة خصوصاً إذا اصطدم بموانع اجتماعية وعادات راسخة في النفس فالتغيير هو (الجهاد الأكبر) هو (النجاة) فالتغير وظيفة باتخاذ قرار نحو تغيير أمر ما مشحوذًا

بإرادةٍ وعزمٍ حقيقْيَّين، فقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قوله: « إنما هي عزمة»[1]، فأيّ إنسان عزم عزماً أكيداً على أن يكون خلوقاً فإنّه يوفّق لذلك إذا كان صاحب قرار للتغير.

العمل على تحقيق التغيير لإصلاح النفس، ومِنْ ثمَّ انتظار التوفيق الإلهي. وإلا فالبعض قد يتغير من الجيد إِلَى السيء، بل حتى من السيء إِلَى الأسوء، بإدراك وربما دون إدراك لما يفعل، وهذه مشكلة بحد ذاتها تحتاج إِلَى حل، فمن الضروري أن تكون خلفيات اتخاذ قرار التغيير صائبة، فإن كانت غير صائبة وغير سليمة فمن المحتمل جدًا أن تكون النتائج سيئة إن لم نقل بحتمية سؤئها.

الحل هو في بناء أساس فكري وعقائدي قوي جداً، فإنَّ كون الأساس قويًا يعني تشخيصًا جيدًا للعيوب والنواقص، وما نحتاج لتغييره وتطويره بشكل عام، فعندما ينطلق الإنسان عقائدياً من الإسلام، فإنَّ اعتقاده بربوبية الله ووحدانيته سيجعله عاكفًا على التقرّب إِليه، كما سيجعله عبدًا أمام الله حراً أمام غيره، وهكذا نستطيع التأكيد على أهمية الأساس الذي سنبني عليه أفكارنا وأفعالنا، وإلا فإن كان أساسك مبنيا حسب زعم أحدهم بأنه لا يوجد شيء حرام، فكل شيء حلال حتى السرقة والقتل، فإنَّ وقوف أحدهم في وجهك يعني أنك تقتله، وعدم توفر الأموال يعني السرقة، وهلمّ جرا.

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج٦٨ ص٢٥٩ باب٧٣ رقم ٣، والعزمة(بفتح العين) هي صيغة مبالغة ومعناها: العزم الأكيد.

حقيقةً إنَّ التغيير لايحتاج إِلَى ظروف معينة بكل الأحوال انت تستطيع أن تغير وتقول كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفه « اِلهى أُطْلُبْنى بِرَحْمَتِكَ حَتّى اَصِلَ اِلَيْكَ، وَاجْذِبْنى بِمَنِّكَ حَتّى اُقْبِلَ عَلَيْكَ، اِلهى اِنَّ رَجآئى لا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَاِنْ عَصَيْتُكَ»، فإنَّك في الكثير من الأحيان تحتاج لتهيئة ظروف التغيير، لا إحداث ذات التغيير بنفسك، لذلك لا تقف متفرجاً قائلاً بأنَّ هذا مستحيل لهذا السبب أو هذا صعب لذاك السبب، بل تحرك من أجل تهيئة الظروف المناسبة، فقط عندما تكون مقتنعًا بما تريد.

واعلم أنَّ الله معك؟

إذًا الواقعية والظروف تقول بأنَّ النصر أمامك، لكنَّك مَن وقفت بوجه التغيير الذي تريده، ولم تعمل باتجاه ما تريد.

واليك هذا المثال القرآني الذي هو دواء لدائك مثالا ابن نوح الذي قرر ان لايتغير و بالمقابل امرأة فرعون آسية بنت مزاحم التي قررت التغير قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾[1]. أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله سبحانه وتعالى. والمعنى: أنه لا يسلب قوماً نعمة أنعمها عليهم حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وبين هذا المعنى في مواضع أخر

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

كقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[2]. وقد بين في هذه الآية أيضاً: أنه إذا أراد قوما بسوء فلا مرد له، وبين ذلك في مواضع أخر كقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[3]. ونحوها من الآيات. وقوله ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] يصدق بأن يكون التغيير من بعضهم كما في ابن نوح إن ابن نوح كان ابناً نسبياً حقيقةً لنبيِّ الله نوح (عليه السلام) إلا انَّ ذلك لا يستلزم ان يكون من أهل الإيمان فإنَّ الله عز وجل منح الانسان العقل وبيَّن له الهدى والرشاد ثم منحه الاختيار فمَن اختار الايمان بالله تعالى وبرسله فقد اختار الهدى والرشاد ومَن اتخذ طريق الكفر بالله تعالى فقد وقع في الضلال بسوء اختياره، وهذا الشأن ينسحب على كلِّ بني الإنسان حتى أولاد الأنبياء، فانحراف ابن نوح ليس مستغرباً بعد ان كان مختاراً غير مقسورٍ على الإيمان، وقد سبقه إِلَى ذلك ابنُ آدم قابيل الذي أطاع الشيطان فقتل أخاه هابيل حسداً منه وعدواناً، وقد أخبر القرآن عما فعله اخوةُ يوسف بأخيهم فقد ألقوه في الجب وكذبوا على أبيهم قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٧.

(٤) سورة الرعد، الآية : ١١.

فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞ وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1].

فلولا ان تداركتهم رحمةُ الله لكانوا من الهالكين: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

ولعلَّ منشأ انحراف ابن نوح (عليه السلام) انَّه وقع تحت تأثير التربية الخاطئة لأمه حيث أنّ زوجة نوح (عليه السلام) لم تكن من الصالحات والظاهر انَّها امٌ لابن نوح (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[3].

فامرأة نوح لم تكن مؤمنةً بنوح (عليه السلام) بل كانت في من تَظاهرَ عليه وفي من عانده وضادَّه، فقد ورد أَّها كانت تقول لقومه انَّه مجنون، فمن المحتمل قوياً انَّها كانت تُلقِّن ابنه ذلك؛ وتحرِّضه على عدم الإيمان بأبيه فكان ذلك مقتضياً لانحرافه؛ والله أعلم بحقائق الأمور.

وبالمقابل اليك آسيا بنت مزاحم المرأة المجاهدة التي غيرت نفسها وأعمالها وأفعالها حيث نشأتْ ملكة فى القصور، واعتادتْ حياة الملوك،

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧-١٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٧-٩٨.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١٠.

ورأَتْ بطش القوة، وجبروت السلطان، وطاعة الأتباع والرعية، غير أن الإيمان أضاء فؤادها، ونوَّر بصيرتها، فسئمتْ حياة الضلال، واستظلتْ بظلال الإيمان، ودعتْ ربها أن ينقذها من هذه الحياة، فاستجاب ربها دعاءها، وجعلها مثلاً للذين آمنوا، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

إنها آسية بنت مزاحم -امرأة فرعون- التى كانت نموذجًا للمرأة المجاهدة وللمؤمنة الصادقة مع ربها، فهى عندما عرفت طريق الحق اتبعتْه دون خوف من الباطل، وظلم أهله، فلقد آمنت باللَّه إيمانًا لا يتزعزع ولايلين، ولم تفلح تهديدات فرعون ولا وعيده فى ثنيها عن إيمانها، أو إبعادها عن طريق الحق والهدي. لقد تاجرتْ مع اللَّه، فربحَتْ تجارتها أما ابن نوح لم يغير ولم يسع إِلَى التغير بل أصر على الباطل.نعم انت صاحب القرار بالتغير لاتنتظر أحداً فتوكل على الله سبحانه وتعالى وأصلح نفسك.

وفي مثال آخر عن قرار التغير واختيار القرار من قبل الشخص نفسه ينقل لنا السيد ابن طاووس والسيد المقرم في مقتله يقول: ثم خرج عمرو بن قرظة الأنصاري فاستأذن الحسين (عليه السلام)، فأذن له، فقاتل قتال المشتاقين إِلَىالجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعا ًكثيراً من حزب ابن زياد؛ وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إِلَى الحسين (عليه السلام) سهم إلا اتقاه بيده ، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته، فلم يكن يصل

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

إِلَى الحسين (عليه السلام) سوء، حتى أثخن بالجراح، فالتفت إِلَى الحسين وقال: يا ابن رسول الله، أوفيت؟!

قال: نعم، أنت أمامي في الجنة، فاقرأ رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) عني السلام، وأعلمه أني في الأثر، فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

ويقول الطبري: وكان أخوه[أي أخو عمرو] علي بن قرظة مع عمر بن سعد ، فنادى : يا حسين ! يا كذاب ابن الكذاب! أضللت أخي وغررته حتى قتلته؟!

قال الحسين (عليه السلام): إن الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضلك ! قال: قتلني الله إن لم أقتلك، أو أموت دونك ! وحمل عليه[أي على الإمام عليه السلام]، فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه.

فنلاحظ الأول اختار طريق السعادة الأبدية اختار صحبة الإمام الحسين (عليه السلام) الذين قال في حقهم :«إني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً»[1].

و علي بن قرظة اختار طريق الشقاء والنار أختار طريق يزيد بن معاوية و عبيدالله بن زياد وعمر بن سعد؛ فانظر في أمرك وطريق من تختار في حياتك.

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٣١٥، الإرشاد: ٢٣١، الكامل في التأريخ: ٢ / ٥٥٩.

في الختام أود أن أوضح بأنَّ كل تغيير يحتاج إِلَى جهود وتضحيات حسب قيمته، جهاد النفس يتطلب ترك ومخالفة الهوى والرقي بالنفس إِلَى مراتب الكمال وعلى مستوى آخر إصلاح الدين في زمن ما استدعى تقدُّم النفس كما هو حال الإمام الحسين (عليه السلام) قدم نفسه للشهادة، وهكذا يكون حجم الجهد والتضحيات المبذولة بِقَدر قيمة الشيء وأهميته، ومدى توفره، وإمكانية تحقيقه.

السَّعْيُ في قضاء حوائج الناس

من المواضيع المهامّة التي غفل اغلب الناس عنها السعي في قضاء حوائج الناس؛ إنَّ السعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق الإسلامية والأكيدة التي ندب إِليها الإسلام وحث المسلمين عليها والتي تكون واجبا شرعيا في بعض الأحيان؛ إنَّ قضاء الحوائج واصطناع المعروف بابٌ واسعٌ يشمل كل الأمور المعنوية والحسية التي حثنا القرآن العظيم والسنة الشريفة عليها، ولا يقتصر على السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان.

قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «..أصلح الناس أصلحهم للناس، وخير الناس من انتفع به الناس»[1]، وقال الإمام أمير

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٩٤ ومن ألفاظ رسول الله (صلى عليه وآله وسلم) الموجزة ح٥٨٤٠.

المؤمنين (عليه السلام): «من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائجُ الناس إِليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء»[1].

وروي أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل مكة وهو في بعض حوائجه، فوجد أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكفه مكان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم، قال ـ الراوي ـ: فتقدم إِليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: «ما تقول يا أعرابي؟»، فقال الأعرابي: من أنت؟ فقال: «أنا علي بن أبي طالب»، قال: أنت والله حاجتي، قال (عليه السلام): «سل يا أعرابي»، قال: أريد ألف درهم للصداق، وألف درهم أقضي بها ديني، وألف درهم أشتري بها داراً، وألف درهم أتعيش بها، قال له (عليه السلام): «أنصفت يا أعرابي، إذا خرجت من مكة، فسل عن داري بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)»، فأقام الأعرابي أسبوعا بمكة وخرج في طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) إِلَى المدينة، ونادى: من يدلني على دار أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ فلقيه الحسن (عليه السلام) فقال: «أنا أدلك على دار أمير المؤمنين» فقال الأعرابي: من أبوك؟

قال: «أمير المؤمنين (عليه السلام)» قال: من أمك؟

قال: «فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام)» قال: من جدك؟

قال: «رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صّلى الله عليه وآله

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٧٢ قال (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري.

وسلم)» قال: من جدتك؟ قال: «خديجة بنت خويلد» قال: من أخوك؟ قال: «حسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)» قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها امش إِلَى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقل له: إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب، فدخل الحسين (عليه السلام) وقال: «يا أبة، أعرابي بالباب يزعم أنه صاحب ضمان بمكة».

قال: فخرج إِليه (عليه السلام) وطلب سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وقال له: «يا سلمان، أعرض الحديقة التي غرسها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على التجار» فدخل سلمان إِلَى السوق وعرض الحديقة فباعها باثني عشر ألف درهم، وأحضر المال، وأحضر الأعرابي فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهما لنفقته، فرفع الخبر إِلَى فقراء المدينة، فاجتمعوا إِليه والدراهم مصبوبة بين يديه فجعل (عليه السلام) يقبض قبضة ويعطي رجلاً رجلاً حتى لم يبق له درهم واحد منها ودخل منزله، فقالت فاطمة: «يا ابن عم، بعت الحديقة التي غرسها رسول الله والدي؟» فقال: «نعم بخير منها عاجلاً وآجلا» قالت له: «جزاك الله في ممشاك» ثم قالت: «أنا جائعة وابناي جائعان ولا شك أنك مثلنا» فخرج (عليه السلام) ليقترض شيئا ليصرفه على عياله فجاء رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «يا فاطمة، أين ابن عمي؟» فقالت له: «خرج يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «هاك هذه الدراهم فإذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاما» وخرج رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) فجاء علي (عليه السلام) وقال: «جاء ابن عمي فإني أجد رائحة طيبة؟»

قالت: «نعم» وناولته الدراهم وكانت سبعة دراهم سود هجرية وذكرت له ما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «يا حسن، قم معي» فأتيا السوق وإذا هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليّ الوفي؟

فقال: «يا بني نعطيه الدراهم؟» قال: «بلى والله يا أبة» فأعطاه (عليه السلام) الدراهم ومضى إِلَى باب رجل ليقترض منه شيئا، فلقيه أعرابي ومعه ناقة فقال: اشتر مني هذه الناقة، قال: «ليس معي ثمنها» قال: فإني أنظرك به قال: «أبكم يا أعرابي؟» قال: بمائة درهم قال (عليه السلام): «خذها يا حسن» ومضى، فلقيه أعرابي آخر فقال: يا علي أ تبيع الناقة؟ قال له (عليه السلام): «وما تصنع بها؟» قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال (عليه السلام): «إن قبلتها فهي لك بلا ثمن» قال: معي ثمنها فبكم اشتريتها؟ قال: «بمائة درهم» فقال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم فقال (عليه السلام): «خذها يا حسن وسلم الناقة إِليه، والمائة للأعرابي الذي باعنا الناقة، والسبعون لنا نأخذ بها شيئا» فأخذ الحسن (عليه السلام) الدراهم وسلم الناقة، قال (عليه السلام): «فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة؛ لأعطيه الثمن فرأيت رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) في مكان لم أره فيه قبل ذلك على قارعة الطريق، فلما نظر إلي رسول الله تبسم وقال: يا أبا الحسن، أتطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه ثمنها؟ فقلت: إي والله فداك أبي وأمي، فقال: يا أبا الحسن الذي باعك الناقة جبرائيل، والذي اشتراها منك

ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين الملي الوفي»[1].

سُئل أحدُ العلماء الربانيين: كيف استطعت الوصول إِلَى مستوى من العرفان؟.

قال: والله، ما وصلت إِلَى ما وصلت إِليه، إلا من خلال قضاء حوائج الناس.

قال أحدُ العلماء الصالحين بعد أن قضى سنين طويلة في إقامة صلاة الجماعة في أحد المساجد: إني نادم ومقصّر، إذ كان يسأل نفسه: لماذا قبل هذه السنين الطوال لم أكن إماماً للجماعة ولم أسع للقيام بالأمور الاجتماعية؟

لإدراكه أن صلاة الجماعة لها ثوابٌ عظيم، بالإضافة إِلَى أنها طريق صالح يستطيع العالم من خلالها خدمة الآخرين سواء الذين يأتون إِلَى المسجد والذين لا يأتون.

لذا فإن السعي في قضاء حوائج الآخرين والحركة في وسط المجتمع توصل الإنسان إِلَى درجة عالية من السمو والكمال وهو الهدف المطلوب، وبنفس الوقت يدفع عجلة المجتمع إِلَى الأمام.

ومن هنا نجد أن رسول الله والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا جميعاً يسعون في قضاء حوائج الناس بكل ما أوتوا من قدرة وإمكان، حيث كان أمير المؤمنين الإمام علي

(١) إرشاد القلوب: ج٢ ص٢٢١ في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام).

بن أبي طالب (عليه السلام)، قد جعل في وسط الكوفة بيتا سمّاه (بيت القفص) حتى إذا عجز إنسان ما عن الوصول إِلَى الإمام (عليه السلام)، أو يستحي من مواجهته، كان يكتب حاجته في ورقة ويقذف بتلك الورقة في بيت القفص من أجل قضاء حاجته، والكل يعلم أن علياً (عليه السلام) كان قريباً إِلَى قلوب كل الناس، ولم يكن بعيداً عنهم مستبداً يجتنب الناس ويتجنبونه. كم نحن بحاجة إِلَى الوقف إِلَى جانب الناس حتى يقف الله معنا.

ومن اللفتات النورانية التي تساعد الإنسان في معرفة إمامه الحجة ابن الحسن قوله (عليه السلام): «لو أنّ أشياعَنا وفَّقهم الله لطاعته على اجتماعٍ من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخّر عنهم اليُمنُ بلقائِنا، ولتعَجّلَت لهمُ السعادة بمشاهدتنا» تأمل في الرواية فهي على معاني عالية الفهم:

(١) خدمة الناس والإجتماع.

(٢) التقوى وهي عدم المعصية وعدم ترك الواجب.

(٣) عرفوا شيعتهم معنى الساعة بالتمسك بمحمد وآل محمد وحض بالقرب منهم.

نعم أن أقصر الطرق إِلَى الله سبحانه وتعالى، هو من خلال السعي في قضاء حوائج الناس، إنَّ الكثيرَ من المستحبات التي يؤديها الإنسان في ساعات خلواته، لها دورٌ مهامٌ في إعداد وتربية النفس. ولكن السعي في قضاء حوائج الناس؛ مضمون الإجابة وأجره أكبر وأجزل ودليل على حسن الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى.

شربُ الخمر لايزيدُ شاربه إلاّ كلّ شر

لقد كرم الله الإنسان عن سائر الحيوانات بعقله ولا يخفى على أحد أنَّ غياب العقل يجعل الإنسان أقرب إِلَى الحيوان، وهذا ما يفعله الخمر تماماً؛ لذلك فقد حرَّم الإسلام الخمر بالكامل، وشرب الخمر من جملة الكبائر التي نهى الله عزّ وجل عنها في كتابه المجيد وعلى لسان نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1].

وذكره الإمام الجواد (عليه السلام) في جملة الكبائر التي وردت في القرآن الكريم وذلك في الحديث الذي رواه العلامة الكليني في الكافي بسند صحيح فقال: (عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدثني أبو جعفر صلوات الله عليه قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر (عليهم السلام) يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله (عليه السلام) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾[2]، ثم أمسك، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام) : ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل، فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠ – ٩١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

الله: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[1]، وبعده الإياس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2]، ثم الأمن من مكر الله، لأن الله عز وجل يقول : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3]، ومنها عقوق الوالدين لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبارا شقياً، وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا. . . إِلَى آخر الآية﴾[4]، وقذف المحصنة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5]، وأكل مال اليتيم، لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[6]، والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[7]، وأكل الربا لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[8]، والسحر، لأنّ الله عز وجل يقول:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1]، والزنا، لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[2]، واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ ﴾[3]، والغلول لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4]، ومنع الزكاة المفروضة، لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ ...﴾[5]، وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ﴾[6]، وشرب الخمر لأنّ الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله، لأن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله، ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[7].

قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم)[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨-٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٧) سورة الرّعد، الآية: ٢٥.

(٨) الكافي٢ / ٢٦٨– ٢٨٧.

وكانت معاقرة الخمر في الجاهلية قبل مجيء الإسلام أمراً مألوفاً ومنشراً انتشاراً واسعاً جداً أشبه ما يكون بالوباء العام، فجاء الإسلام وحرّمها متخذاً أسلوباً تدريجيّاً في تحريمها، فبدأ بالتنفير منها وأنّها شراب غير طيب وذلك عندما جعلها في قبال الرّزق الطيّب الحسن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

ونظراً لتأصل هذه العادة لم تكن لتجدي هذه الإشارات في الإقلاع عنها من قبل الكثيرين، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قلْ فيهِمَا إثْمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ وإثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾(٢).

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله عزّ جل أن الأضرار الناتجة عن الخمر والميسر أكبر بكثير من المنافع الموجودة فيهما، ثم نزلت آيةٌ أخرى ينهاهم فيها سبحانه وتعالى عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يدركوا ويعلموا ما يقولونه أمامه سبحانه وتعالى، فقال عزّ من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٣)، إلى أن جاءت المرحلة الأخيرة من هذا التدرّج في التحريم بالتحريم الصريح للخمر، فأنزل الله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

(١) سورة النحل، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1].

قال الشيخ الصدوق رحمة الله عليه: أبي رحمه الله، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «مدمن الخمر يلقى الله عزّ وجل كعابد وثن، ومن شرب منه شربة لم يقبل الله عزّ وجل صلاته أربعين يوما» [2].

علة تحريم الخمر : وحرّمت الشريعة الإسلامية الخمر لما لها من أضرارٍ خطيرة وتأثير سلبي على الفرد والمجتمع، فهي مفتاح كل شر، تؤثر على عقل الإنسان فتسلبه إيّاه وعندها لا يرتدع عن فعل أيّ جريمة مهما كان عظمها ونوعها كالقتل والزّنا حتى بالمحارم، والاعتداء على الآخرين بالضرب والسّب وغيره وترك الفراءض وغيرها من الأضرار الكثيرة.

فعن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : « لم حرّم الله الخمر؟

قال: حرّم الله الخمر لفعلها وفسادها لأنّ مدمن الخمر تورثه الارتعاش وتذهب بنوره وتهدم مروّته وتحمله على ارتكاب المحارم وسفك الدّماء

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠ – ٩١.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال صفحة: ٢٤٢- ٢٤٣.

وركوب الزّنا ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على حرمه ولا يعقل ذلك ولا يزيد شاربها إلاّ كلّ شر»[1].

وروي أنّ زنديقاً قال للإمام الصادق (عليه السلام): فلم حرّم الله الخمر ولا لذّة أفضل منها؟

قال: «حرّمها لأنّها أم الخبائث ورأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبّه فلا يعرف ربّه ولا يترك معصية إلاّ ركبها ولا حرمة إلاّ انتهكها، ولا رحماً ماسة إلاّ قطعها، ولا فاحشة إلاّ أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان إنْ أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيثما قاده»[2].

أثر المسكرات على الأسرة: إنّ من أهم أسباب انهيار الأسرة وتفككها وعدم استمرار العلاقة الزوجيّة بين الرجل والمرأة هو تعوّد رب الأسرة على شربه للمسكر لأنّه من غير الممكن لأمرأة أن تعيش مع رجلٍ سكير لا يهتم بشؤونها شؤون أولادها غير ملتزم بما عليه من حقوق وواجبات تجاههم، هذا فضلاً عمَّا قد يصدر منه من اعتداء –كما يحصل عادة – عليها وعلى أولادها بالضرب والشتم الأمر الذي يجعل هذه المرأة ترفع أمرها إِلَى الحاكم الشرعي مطالبة بالطلاق والانفصال عن هذا الزوج الّذي حوّل حياتها وحياة أبنائها إِلَى شقاء وجحيم لا يطاق.

كذلك لا يمكن للأبناء أن يتربوا تربية صحيحة في ظلِّ أبٍ سكّير غير مراع للآداب الإسلامية والأعراف الإجتماعية منحلاً من جميع القيم

(١) بحار الأنوار: ٧٩ / ١٣٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٧ / ٢٨٢.

والمثل والأخلاقيات الحسنة، فهو من جهة لا يقوم بواجب التربية ومن جهة أخرى هو قدوة سيئة لهم، وإذا ما فقد الأولاد التربية والقدوة الصالحة في حياتهم فبلاشك سيكون الانحراف نصيبهم، والواقع شاهد على ذلك، إذ عادة ما يكون أبناء شاربي الخمور مثل آبائهم منحرفين غير مستقيمين لديهم نزعة إجرامية ونزوعاً إِلَى الذنب والمعصية.

والأمر أدهى وأمر إذا كانت الزوجة هي المدمنة على شرب المسكر إذ الداعي إِلَى انهيار الأسرة وتفككها يكون أكبر، فعادة ما تتهم المرأة السكيرة بالخيانة والزنا.

يقول الدكتور (فرانل س كايربو): (إنّ الإدمان على تناول المسكر مما يوجب انهيار الأسرة، فالمرأة السكيرة كثيراً ما تتهم بالزنا وكذلك الرجل)[1].

ويقول صاحب كتاب الخمر وحرمتها وتأثيرها على الإنسان صفحة (٩٠) :(ولذا نلاحظ أنّ الكحول تؤثر بشكل مباشر على الأسرة أيضاً فلقد بيّنت دراسات نفسيّة أجريت على أسر المدمنين أشارت إِلَى أنّ معظم هذه الأسر تعيش حالات مضطربة نتيجة تعاطي الآباء والأمّهات للخمور، بل ساعدت في تفكيك النظام الأسري عبر الطلاق والهجر والوفاة أحياناً، ولقد تبيّن في دراسات أخرى أنّ (٩٧%) من الشباب المدمن ينتمي إِلَى أسر مضطربة وتتعاطى الإدمان على الكحول) .

الآثار الأخروية لشرب الخمر: وللخمر في عالم ما بعد الدنيا أضرار كثيرة وخطيرة، أدع هنا روايات أهل البيت (عليهم السلام) تتحدث

(١) نظام الأسرة في الإسلام صفحة: ١٢٠.

عن جملة من هذه الآثار: فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن أهل الري في الدنيا من المسكرات يموتون عطاشاً ويحشرون عطاشاً ويدخلون النار عطاشاً)[1].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): (يجيء مدمن الخمر يوم القيامة مزرقّة عيناه، مسودّاً وجهه، مائلاً شفتيه، يسيل لعابه، مشدودة ناصيته إِلَى إبهام قدميه، خارجة يده من صلبه، فيفزع منه أهل الجمع إذا رأوه مقبلاً للحساب)[2].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): (من شرب الخمر في الدّنيا سقاه الله من سم الأفاعي ومن سم العقارب شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها يفسخ لحمه وجلده كالجيفة يتأذى به أهل الجمع حتى يؤمر به إِلَى النار، وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إِليه وآكل ثمنها سواء، ألا ومن باعها أو اشتراها لغيره لم يقبل الله تعالى منه صلاة وصياماً ولا حجاً ولا اعتماراً حتى يتوب منها، وإن مات قبل أن يتوب كان حقّاً على الله تعالى أن يسقيه بكل جرعة شراب منها في الدنيا شربة من صديد جهنم»[3].

وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): (والذي بعثني بالحق إنَّ شارب الخمر يموت عطشاناً، وهو في القبر عطشان، ويبعث يوم القيامة وهو

---

(١) الكافي: ٤ /٤١٢.

(٢) ثواب الأعمال وعقابها صفحة: ٩٣٥.

(٣) ثواب الأعمال وعقابها صفحة: ٥٤٠.

عطشان وينادي واعطشاه ألف سنة، فيؤتى بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فينضج وجهه ويتناثر أسنانه وعيناه في ذلك الإناء فليس له بد من أن يشرب فيصهر ما في بطنه)[1].

وعن عمرو بن أبان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من شرب مسكراً كان حقّاً على الله عزّ وجل أن يسقيه من طينة خبال، قلت: وما طينة خبال؟ فقال: صديد فروج البغايا)[2].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته ولا يرد عليّ الحوض لا والله لا ينال شفاعتي من شرب المسكر ولا يرد عليّ الحوض لا والله»[3].

وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «إنّه لما احتضر أبي عليه السلام قال لي : يا بني إنّه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة، ولا يرد علينا الحوض من أدمن هذه الأشربة، فقلت: يا أبه وأي الأشربة؟ فقال: كل مسكر»[4].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «مدمن الخمر يلقى الله عزّ وجل كعابد وثن»[5].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر، ولا عاق والديه ولا منان»[1].

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها صفحة: ٥٤٠.

(٢) الكافي: ٤ /٤١١.

(٣) الكافي: ٤ /٤١٢.

(٤) الكافي: ٤/ ٤١٤.

(٥) الكافي: ٤/ ٤١٦.

وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «شارب الخمر يعذّبه الله بستين وثلاثمائة نوع من العذاب»[٢].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «أقسم ربّي جلّ جلاله فقال: لا يشرب عبدٌ لي خمراً في الدنيا إلاّ سقيته يوم القيامة مثل ما شرب منها من الحميم، معذباً بعد أو مغفوراً له»[٣].

وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): « والذي بعثني بالحق من كان في قلبه آية من القرآن ثم صبّ عليه الخمر يأتي كل حرف يوم القيامة فيخاصمه بين يدي الله عزّ وجل، ومن كان له القرآن خصماً كان الله له خصماً، ومن كان الله له خصماً كان هو في النار»[٤].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ في جهنم لوادياً يستغيث منه أهل النّار كلّ يوم سبعين مرة، وفي ذلك الوادي بيت من نار، وفي ذلك البيت جب من نار، وفي ذلك الجب تابوت من نار، وفي ذلك التابوت حيّة لها ألف رأس وفي كل رأس ألف فم، وفي كل فم عشرة آلاف ناب وكل ناب ألف ذراع.

قال أنس: قلت يا رسول الله، لمن يكون هذا العذاب؟ قال: لشارب الخمر من حملة القرآن»[٥].

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها صفحة: ٦١٥.

(٢) الحكم الزاهرة صفحة: ٣٠٠.

(٣) ثواب الأعمال وعقابها صفحة: ٥٤٠.

(٤) جامع الأخبار صفحة: ٤٢٢.

(٥) جامع الأخبار صفحة: ٤٢٢.

وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم «من مات سكراناً عاين ملك الموت سكراناً، ودخل القبر سكراناً، ويوقف بين يدي الله سكراناً، فيقول الله عزّ وجل له: مالك؟ فيقول: أنا سكران، فيقول الله: بهذا أمرتك؟ اذهبوا به إِلَى سكران، فيذهب به إِلَى جبل في وسط جهنم فيه عين تجري مِدّة ودما لا يكون طعامه وشرابه إلاّ منه»[1].

وعنه (صّلى الله عليه وآله وسلم): «العبد إذا شرب شربة من الخمر ابتلاه الله بخمسة أشياء:

الأول: قسى قلبه.

والثاني: تبرأ منه جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجميع الملائكة.

والثالث: تبرأ منه جميع الأنبياء والأئمة.

والرابع: تبرأ منه الجبار جلّ جلاله.

والخامس: قوله عزّ وجل: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾»[2].

كل مسكر خمر: ومهما اختلفت أسماء الخمر وتعددت أنواعها فهي حرام، فكل ما فعل فعل الخمر فهو حرام لا يجوز تعاطيه، يقول الإمام

(١) جامع الأخبار صفحة: ٤٢٤.

(٢) جامع الأخبار صفحة: ٤٢٥.

الكاظم (عليه السلام): «إنّ الله عزّ وجل لم يحرّم الخمر لاسمها ولكن حرّمها لعاقبتها فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر»[1].

وعن الفضيل بن يسار قال: «ابتدأني أبو عبد الله عليه السلام يوماً من غير أن أسأله فقال: قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): كل مسكر حرام، قال: قلت: أصلحك الله كلّه حرام؟ فقال: نعم الجرعة منه حرام»[2].

الملعونون في الخمر: وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لعن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) في الخمر عشرة؛ غارسها وحارسها وعاصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها»[3].

يحرم الجلوس على مائدة يشرب عليها خمر: ومن جملة الأحكام الفقهيّة الخاصة بمسألة شرب الخمر هو أنّه يحرم الجلوس وتناول الطعام على مائدة يشرب عليها الآخرون خمراً، وإنْ امتنع الشخص نفسه عن شربها، فعن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ملعون ملعون من جلس طائعاً على مائدة يشرب عليها الخمر»[4].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ١٦٦.

(٢) الكافي٦/ ٤٢١

(٣) الحكم الزاهرة صفحة: ٢٩٩.

(٤) ميزان الحكمة: ٣ /١٦٢.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأكل على مائدة يشرب عليها الخمر»[1].

الأضرار الصحية للخمر: ولتعاطي المشروبات الكحولية أضرار خطيرة جداً على صحّة الإنسان، فهي تؤثر على جميع أجهزة الجسم وأعضائه وتصيبها بأمراض مختلفة. جميع الدراسات العلمية تؤكد الأضرار الكبيرة للخمر، وحتى الآن لا توجد دراسة واحدة تقول بفائدة الخمر، إلا بعض الدراسات الشاذة التي أُعدت للدعاية فقط ولأسباب تجارية. وكلما تطور علم الطب كشف قائمة جديدة بالأمراض التي يسببها تعاطي الخمور بأنواعها. فقد حذرت دراسة طبية من أن شرب الكحول قد يؤدي إِلَى العديد من الوفيات وحالات الإعاقة، تماماً كالتدخين وارتفاع ضغط الدم. وقال الفريق الذي أعد الدراسة ونشرتها مجلة (لانسيت) الطبية البريطانية، إن الكحول يتسبب في نحو (٦٠) مرضاً مختلفاً. وتناولت الدراسة العديد من الأمراض منها سرطانات الفم والكبد والثدي وأمراض القلب والسكتة الدماغية، إضافة إِلَى دور الكحول في حوادث السير والغرق والسقوط والتسمم وأيضا عمليات القتل.

فالواجب على من ابتلي بشيء من ذلك أن يبادر التوبة إِلَى الله، وشرط التوبة الصحيحة : الإقلاع عن الذنب. والندم على ما فات. والعزم على عدم العودة.

---

(١) الحكم الزاهرة صفحة: ٣٠١.

لماذا يعصي الناس ربهم؟

لا شك أن هناك أسبابًا كثيرة تجعل العبد يجترئ على معصية ربه عز وجل، وينسى ما أمره به سبحانه وتعالى، وهذه الأسباب تتنوع، فمنها ما هو نابع من الشخص نفسه، ومنها ما هو نابع من المجتمع من حوله، ومنها ما هو مشترك ما بين الشخص والمجتمع.

وفي هذا المقال نسلط الضوء على بعض هذه الأسباب لنكشفها، حتى نحاول بعد ذلك مقاومتها والتغلب عليها، فالعلاج الناجع يبدأ بالتشخيص الصحيح للمرض، ومعرفة دواعيه وأسبابه ومقاومتها، ثم بعد ذلك تناول الدواء الشافي الذي يطهر العبد من المرض نهائيًّا، ويطرد منه العلل إن شاء الله.

١ – الغفلة عن الهدف:

إن من أشد أسباب الجرأة على المعصية: عدم إدراك المرء للهدف الذي خلقه الله عز وجل من أجله، والغاية التي ينبغي أن يعيش من أجلها.

وكثير من الناس تجد أهدافهم محصورة وقاصرة على الدنيا وعلائقها، كل همهم في الحياة إشباع شهواتهم، وإرضاء نزواتهم، والبعض لا يعلم له هدفًا أصلاً، وإنما يعيش في هذه الحياة هملاً كما يعيش الحيوان، لا يعلم لِمَ خُلق، ولا لِمَ يعيش.

وقد حدد الخالق سبحانه وتعالى للإنسان هدفه وغايته، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُون﴾[1].

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

إذن، فهدف الإنسان وغايته التي ينبغي أن يعيش من أجلها، هي عبادة الله عز وجل وحده، بالمفهوم الشامل، وبكل ما تحمله كلمة العبادة من معانٍ صحيحة، وهي التي عرَّفها لنا العلماء بقولهم: (إن العبادة هي كل ما يرضاه الله عز وجل من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة).

فكل قول باللسان، وكل فعل بالجوارح، وكل شعور وإحساس ظاهر أو باطن، ينبغي أن يُوجَّه لله عز وجل، ويتحول إِلَى عبادة له سبحانه وتعالى، ويعني ذلك دمج كل الأهداف والغايات المحصورة والقاصرة في هذا الهدف الأكبر، وهذا الدمج يعطي لها امتدادًا ورفعة وسموًّا، يربط الإنسان بخالقه عز وجل، ويجعله ينفلت من جاذبية الطين والماء، ويحلق مع الملأ الأعلى.

٢ – ضعف الإيمان:

لا شك في أن ضعف الإيمان بالله عز وجل وباليوم الآخر سبب كبير للإقدام على المعصية، فالعبد يعصي لأنه يحب شيئًا لا يحبه الله أو يبغض شيئًا يحبه الله، أما الإيمان الكامل فيجعل العبد يحب ما يحبه الله عز وجل ويبغض ما يبغضه الله عز وجل، ووردت أحاديث كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تعكس التصور الإِيماني الصحيح وفق نظرة شمولية ترى أنّ الإِيمان هو عقد بالقلب وقول باللِّسان وعمل بالاركان.

سُئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الإِيمان، فقال: «الإِيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالاَركان»[1].

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح : ٥٠٨/حكم ٢٢٧.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في معرض تفريقه بين الإسلام والإيمان: «الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل»[1].

ويؤكد الإمام الصادق (عليه السلام) على قاعدة التلازم بين القول والعمل في تحقق مفهوم الإيمان، فيقول: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأعمال»[2]. وعن سلام الجعفي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الإيمان فقال: «الإيمان أن يطاع الله فلا يعصى»[3].

ويتضح من خلال تلك الأحاديث ونظائرها أنّ أهل البيت (عليهم السلام) قد رفضوا كون الإيمان مجرد إقرار باللسان، أو اعتقاد بالقلب، أو بهما معاً ؛ لأنه فهم سطحي قاصر، إذ هكذا إيمان لا روح فيه ولا حياة، ما لم يقترن بالطاعة المطلقة لله وتنفيذ ما أمر والنهي عما زجر كل ذلك في دائرة الوعي والسلوك والعمل.

والإنسان ساعة المعصية لا يرى الله عز وجل، ولا يرى ثواب المطيعين ولا عقاب العاصين، إنه لا يرى إلا لذة الذنب وتزيين الشيطان له، فهو كالعصفور الذي يرى الحب في الفخ، ولا يرى الفخ الذي فيه هلاكه، فيقتحم مُسرعًا فيهلك والعياذ بالله.

٣ – الجهل بالله عز وجل وأمره ونهيه وثوابه وعقابه:

---

(١) تحف العقول : ٢٩٧.

(٢) تحف العقول : ٣٧٠.

(٣) أُصول الكافي ٢ : ٣/٣٣ كتاب الإيمان والكفر.

إن الجهل هو السمة المميزة للمجترئين على معصية الله عز وجل؛ لأنهم لو عرفوا ربهم معرفة صحيحة لأحبوه وعظموه وأطاعوا أمره، وعلموا أنه سبحانه وتعالى أهل لأن يُتَّقَى، ولو تعلموا دينهم وشرعهم لوجدوا بغيتهم وسعادتهم فيه، ولو علموا ثواب الله عز وجل وعقابه لرغبوا في الثواب وخافوا من العقاب.

وأصبح أكثر المسلمين مصداقاً للجاهل الذي ورد وصفه في كلام النبي محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم) عندما سُئِلَ عن علامات الجاهل قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «ان صحبته عناك وان اعتزلته شتمك، وان أعطاك من عليك، وإن أعطيته كفرك، وإن أسررت إِليه خانك، وإن أسر إليك اتهمك، وإن استغنى بطر وكان فظا غليظا، وان افتقر جحد نعمة الله ولم يتحرج وان فرح أسرف وطغى وإن حزن آيس وإن ضحك فهق وإن بكى خار، يقع في الأبرار ولا يحب الله ولا يراقبه ولا يستحيي من الله ولا يذكره، إن أرضيته مدحك وقال فيك من الحسنة ما ليس فيك، وإن سخط عليك ذهبت مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك فهذا مجرى الجاهل...»[1].

٤ – وسوسة الشيطان:

إن الشيطان هو العدو الأول للإنسان، فهو لا يهنأ ولا يهدأ له بال حتى يستدرج الإنسان إِلَى المعصية، وهو كما أخبر (صّلى الله عليه وآله وسلم): «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم في العروق».

(١) بحار الأنوار: ١ / ١١٩.

والشيطان الرجيم يسير معك ويستدرجك خطوة خطوة، ويقتحم بك عقبة عقبة، لا يكل ولا يمل، فقد قطع العهد على نفسه بذلك.

٥ – الاغترار بعفو الله:

كثير من الناس يقضي عمره يجمع المعاصي والسيئات، ومع ذلك يتعلق بحبال الأماني، وعنده أمل في أن يدخل الجنة بغير حساب، أو لا تمسه النار إلا أيامًا معدودة.

وتجد هؤلاء يتعلقون بأن الله عز وجل غفور رحيم، وأنه يتجاوز عن السيئات ويعفو ويصفح ويغفر، وينسون أن الله عز وجل كما أنه غفور رحيم لمن تاب وأناب، فهو سبحانه وتعالى منتقم جبار لمن عصى واستكبر. وقد قال عز وجل في سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾[1].

٦ – القنوط من رحمة الله:

إن بعض العصاة يستعظمون ذنوبهم، ويأسون من إمكانية غفران الله عز وجل لهم؛ وذلك لأنهم أفنوا سنوات طويلة من أعمارهم غارقين في الرذيلة، لا يتورعون عن حُرمة، مضيعين للفرائض، متبعين للشهوات، متعدين للحدود!!. فيظن الواحد من هؤلاء أنه هالك لا محالة، وأنه سيدخل النار حتماً، فيجعله هذا الاعتقاد يستمر في عصيانه، ويترك قياده للشيطان يجره حيث شاء!.

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٩ – ٥٠.

ولقد نسي هذا وأمثاله أن مغفرة الله عز وجل أوسع وأكبر من ذنوبهم وإن كثرت، وأن رحمته سبحانه وتعالى لا تضيق يومًا بخطاياهم وإن تفاقمت، فقد قال عز وجل في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم﴾[1]. إن الخوف من الله عز وجل مطلوب، ولكن المبالغة فيه قد تنتهي بالإنسان إِلَى اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته.

٧ – طول الأمل:

طول الأمل معناه أن يعتبر الإنسان أن الحياة ستمتد معه وتطول، وأن الموت لا يزال بعيدًا، وأن في العمر متسعاً لمزيد من اللهو والغفلة، والسير في ركاب الشيطان.

وطول الأمل يجعل الإنسان غافلاً عن حقائق كثيرة، وغفلته عن هذه الحقائق لا يجعلها أوهام، ولا يعفيه من التعرض لها، فإنها ستظل حقائق سواء صدَّق بها أو كذَّب، تذكرها أم غفل عنها. فمن هذه الحقائق: حقيقة الموت، وحقيقة الحياة في القبر في عذاب أو في نعيم، وحقيقة البعث يوم النشور، وحقيقة العرض على الملك الجبار، والسؤال عن القليل والكثير، وحقيقة المرور على الصراط، وحقيقة الخلود، إما في جنة عرضها السموات والأرض، وإما في نار وقودها الناس والحجارة. ومن هذه الحقائق أيضًا: حقيقة ضمان الرزق والأجل، وحقيقة حقارة الدنيا وهوانها على الله عز وجل.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

٨ – حب الدنيا:

سئل علي بن الحسين (عليه السلام): «أي الأعمال أفضل، قال: ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من بغض الدنيا، فإن لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر ـ إِلَى أن قال: ـ ثم الحرص، ثم الحسد، وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياوان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»[١].

والمراد من (دنيا بلاغ) هو: أن الإنسان يبلغ بسببها إِلَى الآخرة المحمودة، والدنيا الملعونة ما ليست هكذا وإنما ما تتخذ لنفسها كبراً وعلواً.

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٢].

وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «من أحب دنياه أضر بآخرته»[٣].

٩ – اتباع الهوى:

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، ص٣٠٨، ب٦١، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج،١١ ص٣٠٩، ب٦١، ح٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج،١١ ص٣٠٩، ب٦١، ح٥.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «إنّ أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان: إتّباع الهوى وطول الأمل، فأمّا إتّباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحق، وأمّا طول الأمل فإنّه الحبّ للدنيا»[1] إتباع الهوى يصد عن الحق، وكيف؟ فإنه من اتبع هواه كان الهوى قائده، ولم ينظر إِلَى الحق، انه يتبع هواه في تحصيل المال، فيغضب ويرابي ويحتكر، ويظلم الفقراء والأيتام والضعفاء في سلبهم لقمة العيش هكذا، ويتبع هواه في تحصيل الجاه، فيقتل الناس بغير الحق، ويضرب، ويحبس، ويبعد، وهكذا، أما من كان الحق رائده، فإنه مقيد بالحق، إن أباح له الحق تبع، وإن خطر عليه الحق اجتنب.

وأمّا طول الأمل، فإنه الحب للدنيا فقط، وهذا ميزان مائل فإن أحب يجب أن يقسم بين الدنيا والآخرة، فيجعل للدنيا من الحب: مقدار العبور والانتقال، وللآخرة من الحب: مقدار البقاء والاستقرار، كمن يريد أن يعبر قنطرة إِلَى روضة، إنّه يحب القنطرة ويصلحها، وإلا كيف يمكن العبور عليها وكفى حبه لها حب عرضي مرحلي، لا حب ذاتي أصلي، أما حبه للروضة التي يقصدها، فهو حب بالذات، وهذا هو الميزان العادل.

وقد قال الإمام المرتضى هذا الكلام مع اختلاف يسير في اللفظ والاحتفاظ بجوهر المعنى، قال (عليه السلام): «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى: فإنه يصد عن الحق، واما طول الأمل: فإنه ينسي الآخرة»[2].

---

(١) جامع السعادات: ٣/٣٦.

(٢) أصول الكافي: ٢/٣٣٦ . جامع السعادات: ٣/٣٦، الهامش.

إنما سُمِّي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار. والهوى يدعو إِلَى تحصيل اللذة الحاضرة من غير تفكير في العاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل، ومنع اللذات في الآجل.

١٠ – اقتحام الشبهات:

والشبهات هي الأمور المختلطة التي لا يعلم كثير من الناس، أحلال هي أم حرام، وقد قيل: الشبهة أخت الحرام. عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ من صرّحت له العِبَرُ عمّا بين يديه من المِثُلات، حجزته التّقوى عن تَقحُّم الشّبهات»[1].

وجاء في صحيحة مسعدة بن زياد عن أبي جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا تجامعوا في النكاح على الشبهة وقفوا عند الشبهة»[2] يقول: إذا بلغك أنك قد رضعت من لبنها وأنها لك محرم وما أشبه ذلك، فإن الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة. دلت على أن الحكم هو التوقف والكف النفساني عند الشك في جواز النكاح من ناحية إحتمال الرضاع، وما أشبه ذلك من الشبهات المتعلقة بالفروج والدماء، وعلل الحكم في الذيل بالكبرى التي هي نفس القاعدة، فيمكن أن يقال: أن هذه الصحيحة تفيد مفاد القاعدة بتمامها وكمالها.

١١ – الكِبْر:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦.

(٢) التهذيب ٧: ٤٧٤، ١٩٠٤.

يقول عز وجل في سورة البقرة: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولَبِئْسَ المِهَادُ﴾[1]، إن هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوًا واختيالاً، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، شكا إِلَى الله عزّ وجلّ شدة حره وسأله عزّ وجلّ أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم»[2].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ما من عبد إلا وفي رأسه حَكَمة، وملك يمسكها، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعه الله عزّ وجلّ ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس»[3].

١٢ – مخالطة أهل المعاصي وقرناء السوء:

ليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إِلَى أفعالهم. وقُل لي من صاحبك، أقول لك من أنت.

ومخالطة العصاة تجعل القلب يألف المعصية ويجترئ عليها، فينساق وراء العصاة وهو لا يدري. والرفيق السيئ قاطع طريق بينك وبين الله، فكلما سلكت درب الله عز وجل حاول أن يصرفك عنه إِلَى طريق الغواية، وعندما يأتي يوم القيامة سيتبرئ منك، ويلقي باللوم كله عليك، وساعتها

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

(٢) الكافي: ج٢، ص٣١٠، ح١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١، ص٣٠٠، ب٥٨، ح٨.

تتمنى لو أعطيت لك الفرصة لتتبرأ منه كما تبرأ هو منك، ولكن لا تجد سوى الحسرة والندم، يقول ربِّ العزة سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا ويْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾(١).

١٣ – شيوع الفتن وفساد المجتمع:

من الناس من يعرض عن دينه، وينهمك في المعاصي، ويقول: أكثر الناس يفعلون هكذا، لماذا أخالف الكثرة؟ ولماذا أشذ عن المجتمع؟ إني أفعل كما يفعل الناس!! وهل معقول أن هذه الكثرة الغالبة على خطأ؟ وهل سيعذب الله عز وجل كل هؤلاء الناس؟.

أما سمع من يقول ذلك ويغتر بهذه الشبهة الفاسدة، آيات القرآن الكريم التي نزلت تتْرى لتحذر الناس من الاغترار بالكثرة العاصية الهالكة؟؟

يقول عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وإن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢)، ويقول في سورة يوسف: ﴿ومَا أَكْثَرُ النَّاسِ ولَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، ويقول في سورة الأعراف: ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧ – ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٨ .

كما أن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) أوضح لنا أن الله عز وجل لا يبالي بكثرة العاصين وقلة الطائعين، ولا يضره سبحانه وتعالى أن يعذب أهل الأرض جميعًا إن عصوه، والدليل على ذلك أن نسبة من يدخل الجنة إِلَى من يدخل النار هي واحد في الألف!.

فينبغي للمسلم أن يأنف لنفسه من أن ينعق مع الناعقين، ويسدر مع السادرين، ويحمل المباخر للعصاة الظالمين، ويسير في ركابهم، متخلياً عن دينه وعقيدته، تائهاً في زحامهم، بل ينبغي له أن يقاوم الذوبان في هذه اللجة، مستعينًا بالله عز وجل، وبالرفقة الصالحة والغرباء من أمثاله.

وليس الضعف وكثرة العصاة بعذر مقبول عند الله عز وجل للمُضِي في طريق المعصية، فأرض الله واسعة، وفي الهجرة مندوحة للمستضعفين، إن لم يستطيعوا حماية دينهم وعقيدتهم، يقول عز وجل في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1]. فلا تستوحش الطريق أخي الحبيب، لقلة سالكيه، ولكن اطمئن لوعد الله ووعد رسوله، واعلم أنك على الحق المبين.

١٤ – اختلاط المفاهيم والمصطلحات:

أحيانًا ما يطلق الناس –بحُسْن نية أو بسوء نية– بعض المصطلحات والمفاهيم، ويسمون الأشياء بأسماء معينة، فتكتسب الأسماء أو

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.

المسميات معانٍ أخرى تخالف الحقيقة، فتجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً والمكروه مستحباً وهكذا.

وتشيع تلك الأسماء والمصطلحات والمفاهيم، فيحدث نتيجة لذلك سوء الفهم، وتنشأ الشبهات، وتشتد الخصومات.

وشاع (الغجر بلابس الفن)، و(الغيبة بالنقد)، و(التعصب)، و(التطرف)، و(الإرهاب السفياني)، و(المجاملة على حساب الدين) و(الاسلام السياسي المصلحي) و و ...

ولو نحينا تلك المصطلحات المحدثة، والمفاهيم المغلوطة في ذاتها، أو المغلوطة في فهم معانيها، ورجعنا عن هذه الأسماء العرفية، ورجعنا إِلَى الأصول الصحيحة لها، لتبين لنا وجه الحق.

١٥ – سلطان العادة:

وهذا السبب وإن كان أضعف الأسباب فهو أغلبها على الناس، فدين العادة هو الغالب على أكثر الناس، والانتقال عنه كالانتقال من طبيعة إِلَى طبيعة ثانية. ولذا قيل: (خير عادة ألا تكون لك عادة).

تسلب عقول الناس في أخر الزمان

عن حدّث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال، حتّى لا يكاد يرى رجلاً عاقلاً»، وذكر ذلك في الفتنة الثالثة[1] وذكر (صلى الله عليه و آله و سلم)

(١) الملاحم والفتن: ٧٠، ح١٠، عن الفتن لابن حماد، كنز العمّال: ١٧٩/١١، رقم٣١١٢٦.

هرجاً بين الناس، يقتل الرجل جاره وأخاه وابن عمّه . قالوا: ومعهم عقولهم، قال: تُنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف هباء من الناس، يحسب أحدهم أنّه على شيء، وليسوا على شيء[1].

مصيبةٌ كبيرةٌ بل أم المصائب عندما تسلب وتعطل عقول البشر عند اغلب الناس وهذا ما نراه في هذا الزمان وكأنما الناس نزعت عقولها نعم سلبت هذه العقول لانها ابتعدت عن الحق، لأنّ سبب انحراف الإنسان وانحراف الجماعة وانحراف البشريّة عند تعطيل عقولها، والنتيجة الشّقاء في الدّنيا والآخرة.

وان الجهل الذي يواجهه الامام المهدي (عليه السلام) من الناس في آخر الزمان بسبب جهلهم اشد من العداء والحرب الذي واجهه جده النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من جهال الجاهلية فالحذر الحذر من الجهل ومعاداة الامام المعصوم (عليه السلام) ويشهد لهذا العداء ما ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) (إن قائمنا اذا قام استقبل من جهل الناس اشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من جهال الجاهلية. قال الراوي: قلت وكيف ذاك؟ قال (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وإن قائمنا إذا قام اتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به).

(١) الملاحم والفتن: ٧١، ح١١، عن الفتن لابن حماد، مسند أحمد: ٤/٤٠٦.

ان السبب الرئيسي في جهل الناس في اخر الزمان ومعاداتهم الشديدة للإمام (عليه السلام) هو ائمة الضلالة وهم اشد واخطر من الدجال على الأمة ومن هؤلاء الضالين المضلين الفقهاء والعلماء الذين وصفهم النبي واعل بيته باشر خلق الله وبالمنافقين وفقهاء الضلالة، ويشهد لهذا ما ورد عن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم): (لغير الدجال أخوفني على أُمّتي، لغير الدجال أخوفني على امتي، لغير الدجال أخوفني على امتي قال أبو ذر: يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال اخوفك على امتك. قال (صلى الله عليه واله وسلم): «الأئمة المضلين».

وورد عن النبي الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) في حديث طويل نأخذ منه موضع الشاهد «... قلت يا الهي وسيدي متى يكون ذلك... فأوحى الله عز وجل يكون ذلك ... إذا رفع العلم وظهر الجهل وكثر القراء وقل العمل وكثر القتل ... وقل الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة».

وعن الصادق (عليه السلام) عن جده المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم): « سياتي على أُمتي زمانٌ، ... فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة واليهم تعود».

وقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): «أيها السائل عن الساعة: تكون عند خبث الأُمراء ومداهنة القراء ونفاق العلماء... ».

وعن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : «يأتي على الناس زمان بطونهم الهتهم، ونساؤهم قبلتهم، ودنانيرهم دينهم، مساجدهم معمورة،

وقلوبهم خراب من الهدى... علماؤهم أشر خلق الله على وجه الارض... كل درهم عندهم صنم... »

وبعد هذا الاستعراض ارجوا ان يكون الامر واضحا والجواب مستحضراً فإننا نحتاج في مرحلة التمهيد إِلَى تزكية النفوس وتطهير القلوب من النجاسات والقاذورات المادية والمعنوية فتكون مستعدة لتقبل الأفكار السليمة والصحيحة وأخذ العظة والعبرة ومحاسبة النفس دائماً حتى تحصل الحصانة المانعة من الوقوع في الشبهات والانحرافات فيتم الاستعداد والتكامل لتقبل أطروحة المعصوم (عليه السلام) وعجل الله فرجه الشريف.

وهنا أقول نحن إذن في مأزق، عندما يكون عقل النخب ممن يدعي العلم من فقهاء و مثقفين وسياسيين و اقتصاديين وغيرهم على شاكلة أهل العلم، غير قادر على ممارسة دوره في رسم إشارات التقدم، حين السؤال الدائم هو ضرورة معرفة ما نريد فعلينا ان نقرر في نفس الوقت كيف نحقق ما نريد والسبل إِلَى ذلك ميسورة بنسب شتى وبإمكانيات متوافرة والمطلوب عقل شجاع يمتلك الرؤية والحس العلمي لكي يتقدم بنا خطوات إِلَى الإمام.

قيل لأحد الفلاسفة أي العقول أفضل فقال: العقل الذي اذا حاورته وجدته عليما وإذا خبرته وجدته حكيما وإذا اعترض كان حليما، وإذا وعد كان الموعد حقا وعظيما.

ومن المعلوم كيف أنَّ الإسلام حرص من خلال تشريعاته وتوجيهاته على تحريم كلّ ما يسيء إِلَى العقل، فكان التّحريم للخمر وللمخدّرات ولكلّ ما هو مُسكر، إن تحريم بعض الأطعمة والأشربة يهدف إِلَى الحفاظ

على العقل الذي به تتم عبادة الله وعمارة الأرض، وقد حرم الإسلام كل ما يعطل هذا العقل كالخمر والمخدرات، كما أكد الحفاظ على النفس بما يستدعي تحريم كل ما يحدث الضرر بها، كالأمراض التي تشكل خطراً على حياة الإنسان إذا أكل لحم الخنزير وغيره من الأطعمة الضارة .

إلا أنّه لم يكتف بهذا، وإنما شدّد على إزالة كلّ ما يعيق العقل عن تأدية دوره كاملاً في حياة الإنسان والمجتمع، فالعقل نعمة عظيمة منحها الله للبشر، وأكرمه وميزه على سائر المخلوقات، فأعطاه المفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت، ويدخل ساحة الإيمان بالله الذي سخر للإنسان كل ما في السماوات والأرض . ولذلك امتن الله تعالى على الناس بهذا العقل، وجعله موضوع المسئولية، فقال سبحانه : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1]. وقال تعالى:﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[2].

ولذلك جعل الله تعالى العقل مناط التكليف وسببا له، فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل، لأن العقل أداة الفهم والإدراك، وبه تتوجه الإرادة إِلَى الامتثال.

ويحث الإسلام العقل على العمل فيما خلق له، وفي المجال الذي يستطيعه، فلا يجوز إهماله ولا تعطيله، فهو يحث على النظر والتدبر والتأمل

(١) سورة الملك، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

والتفكر في آيات الله تعالى المقرؤة، والمنظورة في الأنفس والآفاق وفي مجال عالم الشهادة . والآيات في ذلك كثيرة تعز على الحصر.

ويرسم الإسلام للعقل المنهج الصحيح للعمل والتفكير، ويرفع من أمامه العوائق والموانع التي تعطله عن وظيفته كاتباع الظن وحب الدنيا والتعلق فيها والحسد والحقد والغرور والتكبر والعجب واتباع الأوهام والخرافة، أو الخضوع لسيطرة العادات والتقاليد المنحرفة عن جادة الإسلام.

عندما يعمل العقل و يتحرر العقل حرية حقيقية كاملة من معرقلات التفكير الصحيح، يقوم بعملية التثبت والتبين قبل الإقدام أو الاعتقاد والتصديق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾(٣). و قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٦.

اللهُ حبيبُ قُلُوبِ الصّادِقينَ

القلبُ السليمُ هو القلب الذي سلم من حبّ الدُّنيا، لأن الحب في الله والبغض في الله يراد به وجه الله، والله تعالى هو الباقي سبحانه الدائم، فلهذا ما كان لله يبقى، أما ما لم يكن لله فهو يضمحل، فالشخص الذي يحب آخر من أجل الدنيا والتعلق من أجل ذاته وملذاته هذه الرابطة تنتهي وتفني وتتقطع وتجد أن هؤلاء يتعادون وينتهون بحب حطام الدنيا.

وأن الحبّ في الله تعالى والبغض في الله متفرع عن حب الله تعالى، فهو من لوازمه ومقتضياته، فلا يمكن أن يتحقق هذا الأصل إلا بتحقيق عبادة الله تعالى وحبّه، فكلما ازداد الشخص عبادة لله تعالى وحده ازداد تحقيقاً للحبّ في الله، والبغض في الله، ولذلك فإنّ شرّ العمى عمى القلوب، بل إنّما الأعمى أعمى القلب في تركه حب الله.

فالقلب نافذة مُشرعة إمّا تطلّ بصاحبها على الملكوت والساحة المقدّسة الأسمائية والصفاتية في أثاره و القرب الذي يكون فيه العبد في مقام العبد الضَّعيفُ الذَّليلُ الْحَقيرُ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ، إن تفرّد القلب بحبّ الله تعالى من نتائج الفوز والسعادة فأنت يااللهُ غايَةَ آمالِ الْعارِفينَ، يا حَبيبَ قُلُوبِ الصّادِقينَ.

وبذلك نكون قد عرفنا أنّ المعرفة الإلهية هي الأصل الأصيل المورث للحبّ، وأنّ الحبّ بدوره يُورث الإخلاص في قلب المحبّ لمحبوبه.

فحب كل شيء في الإسلام غايته الحب في الله . وحينما يؤكد الإسلام على هذا الجانب، فإنه يهدف إِلَى تجاوز المادي إِلَى الروحاني .. و الأرضي إِلَى العلوي السماوي.

فالإسلام يثمنُ عالياً الحب لأن غايته الله سبحانه، و ينعي على الفرد تطلعه للأنواع الأخرى: من حب زائل مصيره إِلَى الفناء : المال يفنى، والجسد يبلى، والزوجة والاولاد يموتون والمكانة الاجتماعية تزول.

فمن يقاوم عوامل الفناء، وكل شيء يتجدد باستمرار.. إنه يستمد حياته من الذات العليا، التي هي مصدر الخلود .

انظر إِلَى حسن التعامل، الأدب، الأخلاق، الرحمة، التعاون. ألسنا إذا ما وجدناها في إنسان تعلقنا به، و كلما ازداد تمثلاً لهذه الخصال، زاد تمسكنا به، الإسلام تعامل مع هذين النوعين.. المادي و الروحاني، على أساس من قدرة كل نوع على منح السعادة، لأكبر عدد ممكن من الناس ولأطول مدة ممكنة.

الجمال مثلاً، يمكن أن يمنح السعادة والمتعة لشخص واحد فقط، هو ذلك الذي يباشر الجمال.. بطبيعته المحسوسة، بشكل أولى، ولمدة محدودة، هي الفترة الزمنية التي يكون فيها محتويا على عنصر الحياة والحيوية، قبل أن تأتي على نضارته عوامل الزمن. بل إن الطبيعة المادية المحسوسة له، تجعل الاستمتاع به مرهوناً بلحظة المباشرة أو اللذة الآنية.

فلغة الحب بين الناس، والتواصل الروحي اختارها الله، لحكمة يعلمها هو سبحانه فلا تتمسك بالمخلوق وتترك الخالق.

فالحب على أساس من الروح يفتح المجال واسعاً للترقي في مدارج الكمال، فارتباط النفس بالله تعالى، يمنحها القدرة على الرقي والتسامي.

وعلم إن حب الله للإنسان ليس كحب الإنسان لله، فهناك دائماً الجانب الأقوى في هذا الحب وهو الله تعالى، وهناك الجانب الأضعف وهو الإنسان، ولايمكن تحت أي ظرف عقد مقارنة بين هذين الحبيّن، فالله هو الخالق وهو المنعم بيده القوّة والملك، وليس كمثله شيء فحب غير الله زائل.

وما يمكن أن ينطبق على أنماط السلوك البشري ضمن الحدود البشريّة لايمكن أن ينطبق على الله تعالى، لأنّه أكبر من أن يوصف بصفات وضعها الناس للتفاهم في ما بينهم، وبالتالي فإن الحب من جانب الله للبشر ليس هو نفسه حب الإنسان لله، وإن اتفقا باللفظ.

كثير من الناس من يدَّعي محبّة الله؛ وما أسهل دعوى اللسان. فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بخداع النفس، بل عليه أن يعلم أن للحب علامات تدل عليه، وثماراً تظهر في القلب واللسان والجوارح، فإذا أراد ألا يغش نفسه فليضعها في موازيين الحب، وعلاماته كثيرة منها : حب لقاء الحبيب، فعليه أن يكون محباً للموت غير فار منه، لأن الموت مفتاح اللقاء. وأن يلزم طاعة الله، ويجتنب الكسل والفتور وإتباع الهوى، ومن أحب الله لا يعصيه. وأن يكون مكثراً لذكر الله تعالى، لا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه جنانه. وأن يكون أُنسه بالحبيب والتنعم بمناجاته. وأن يعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت من ذكر الله وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات، بالاستعطاف والتوبة.

خطر الغيبة على الأمة من أكلة لحوم البشر

الغيبةُ في اللغه: هي أَن يتكلمَ خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمى غيبه وان كان كذبا سمى بهتانا).

واما اصطلاحاً: (هو ذكر الانسان حال غيبته بما يكره نسبته إِليه مما يعد نقصانا في العرف بقصد الانتقاص والذم وغيره).

اعلم أنَّ الفقهاء (رضوان الله عليهم اجمعين) ذكروا تعاريف كثيرة للغيبة، لا يتناسب عرضها ومناقشة كل واحد منها من ناحية الجامعية . الشمول لكل أفراد الغيبة . والمانعية . عدم الاستيعاب لما ليس من الغيبة . مع حجم هذا الكتاب، إلا إذا اقتصرنا على ذكر التعاريف اجمالا.

يقول الشيخ المحقق السعيد الشهيد في (كشف الريبة) واما في الاصطلاح فلها تعريفان : احدهما مشهور: «هو ذكر الانسان حال غيبته بما يكره نسبته إِليه مما يُعد نقصاناً في العرف بقصد الانتقاص والذم».

وثانيهما: «التنبيه على ما يَكره نسبته إِليه وهو اعم من الاول»[1].

وحاصل المعنى الاول: ان الغيبة عبارة عن ذكر انسان في غيبته بما يكره نسبته إِليه، مما يُعد نقصاً وذما لدى الناس، وكون هذا الذكر بقصد الانتقاص والطعن. وحاصل المعنى الثاني هو التنبيه إِلَى ما هو كذلك . ثم ان التعريف الثاني يكون أعم من الاول فيما اذا كان الذكر . في الاول . بمعنى القول كما هو المتفاهم العرفي، فيكون التنبيه . في الثاني . أعم من القول والكتابة والحكاية وغيرها من سائر طرق التفهيم. وإذا كان الذكر أعمّ من

(١) بحار الانوار، المجلد ٧٥، ص ٢٢١.

القول كما هو الموافق للّغة، كان مرجع التعريفين واحدا. والمستفاد من الاخبار ايضا يدل على هذين التعريفين.

مثل ما في مجالس الشيخ في حديث أَبي بصير في وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر ـ رضوان الله عليه ـ وفيه «قلت: يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : ذِكرك اخاك بما هو فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيته فقد بهتّه»[1].

وورد في الحديث النبوي الشريف: «هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره... الخ»[2].

ويرجع هذا المعنى الاول حسب المتفاهم العرفي إِلَى معنى الذكر، أو إِلَى المعنى الثاني بناء على ان الذكر اشمل من القول . ولم يذكر الحديث غياب الاخ، لأنه مفهوم من معنى الغيبة فلا حاجة لذكره . ومن الواضح ايضا ان المقصود من الاخ هو الاخ في الايمان لا في النسب. و(ما يَكره) تعبير عن كل ما فيه نقص عرفاً . وارادة الإنتقاص والطعن وان لم تذكر في الحديثين الشريفين: لأبي ذر، والنبوي المشهور، ولكنها مستفادة من فحوى الكلام. بل ان صدر رواية ابي ذر يدل على ذلك، فكان مستغنيا عن ذكره. لأن في صدر الرواية «الغيبة اشد من الزنا. قلت: ولِم ذاك يا رسول الله ؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب إِلَى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تُغفر حتى يغفرها صاحبها ثم قال: ...وأكل لحمه من معاصي الله»[3] ويفهم من

---

(١) وسائل الشيعة، المجلد الثامن، الباب ١٥٢ من ابواب الأحكام العشرة، ح ٩.

(٢) المحجة البيضاء، المجلد ٥، ص ٢٥٦.

(٣) وسائل الشيعة، المجلد ٨، ح ١٦٣١٢.

هاتين الجملتين إن الذكر مع قصد الانتقاص يكون غيبة، وإن كان ذكر الغير بقصد الشفقة عليه لما كانت غيبة حتى يحتاج إِلَى طلب المغفرة. ولما كانت من أكل لحمه. ويستفاد من رواية عائشة أَنَّ الغيبةَ اعم من الذكر القولي: «قالت: دخلت علينا امرأة فلما ولّت أومأتُ بيدي انها قصيرةٌ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اغتَبتيها»[1] بل العرف لا يفهم من اخبار الغيبة، خصوصية للفظ، وانما تعرض له من جهة انه اسلوب من اساليب التفهيم، بمعنى أن الغيبةَ غالبا تكون باللفظ، لا من جهة ان للّفظ خصوصية مميزة.

يبقى مطلب واحد وهو ان المستفاد من أخبار الغيبة ان كشف ستر المؤمنين حرام بمعنى أَنه يحرم اظهار عيوب المؤمنين المستورة، من دون فرق بين ان تكون هذه العيوب خَلقية او خُلقية او سلوكية، سواء كان الشخص المتصف بالعيب راضيا بكشف عيبه أم لا. وسواء أكان هناك قصد انتقاص ام لا. ولكن يستفاد من مراجعة عدة روايات في المقام ان لقصد الانتقاص والطعن دور في حرمة الغيبة، الا اذا كان العمل بنفسه من الامور التي يحرم شرعاً ذكرها واشاعتها . بأن يكون معصيةً وتعدّياً على حقوقه سبحانه حيث لا يجوز لصاحب المعصية إظهارها للآخرين، وانها من اشاعة الفاحشة. وهذا لا يكون مرتبطا بحرمة الغيبة. ولا يبعد أن يكون اظهار المستور من عيوب المؤمنين عند عدم رضاهم بذلك محرّما، حتى وان لم يكن

(١) جامع السعادات، المجلد ٢، ص ٢٩٤.

هناك قصد للانتقاص منهم. وعلى اي حال إن التفصيل في هذا الموضوع أكثر مما ذكرنا، يكون خارجا عن المطلوب.

عندما يُمسخ الباطن، ويموت الضمير، ويتحول الإنسان إِلَى شيء آخر أقرب للحيوان بل أضل، وتُفتح الأبواب أمام قوى الإنسان الضالة لتعيث في الأرض فساداً، قد يقصد الإنسان إحدى المقابر والتي دفن فيها أخيه، ويذهب نحو قبره، لا لزيارته والترحم عليه، بل لاستخراج جثته، ونهش لحمه وعظمه، فيستقبح الناس فعله، وهو إما غافل لفظاعة ما يفعله أو قاصد لذلك عن رغبة وتلذذ، وذلك لفطرته المنحرفة السقيمة.

قد نسمع عن أكلة لحوم البشر، وقد نصدق ذلك أو لا نصدق، وقد يكون هذا الأمر مستبعد في النظرة الأولى، وهو أن ينهش الإنسان لحم الإنسان، ولكن أحكم الحاكمين وأصدق الصادقين أخبرنا عن مثل هذا الأمر في القرآن الكريم : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

إنها الغيبة وليست شيء آخر، فالغيبة في حقيقتها وملكوتها هي ما ذكره القرآن وإن بدا للإنسان الغافل أن الغيبة مجرد كلمات تخرج من بين شفتين لتدخل في أذن آخر.

قال النبي (صلى صلى الله عليه واله وسلم): « إياكم والغيبة!.. فإن الغيبة أشدّ من الزنا، إنّ الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

يكفي هذا الحديث في بيان قبح هذا الذنب، فالزنا والعياذ بالله مستقبح في المجتمع، والغيبة ليست كذلك، ولكن بمقاييس الإسلام فإن الغيبة أشد من الزنا..

وقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): « ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد».

وللغيبة أسباب و بعض هذه الأسباب، وذلك للتركيز على العلاج العملي لها : خبث النفس: فالمغتاب قد يتكلم دون مراقبة لما يقول، ولأنه أعطى العنان لنفسه الأمارة لتتحدث بما تشاء، فما يخرج من الخبيث يكون خبيثاً، فيصدر منه هذا الذنب.

استماع الغيبة:

قال النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) : « ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب من الدين، فنزّهوا أسماعكم من استماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم».

علاجها : العلاج يبدأ من الالتفات إِلَى قبح هذا الذنب، ووجود إرادة التغيير في النفس..

ومن الخطوات العملية في العلاج :

* التوبة الصادقة على هذا الذنب الذي يعد من الكبائر، ومن شروط التوبة الصادقة : الندامة والعزم على عدم العود، وإن أمكن الاستحلال ممن استغابه، والدعاء والاستغفار له..

سئل النبيَّ (صلى الله عليه واله وسلم): ما كفّارة الاغتياب؟.. قال: «تستغفر الله لمن اغتبته كلمّا ذكرته».

قال النبي (صلى صلى الله عليه واله وسلم): « ترك الغيبة أحب إِلَى الله عز وجل من عشرة آلاف ركعة تطوعا».

* التحرز من الحديث عن الغير حتى بما ليس في غيبة، حتى تعتاد النفس على تركها وتمتلك جهازاً حساساً يكشف عن الغيبة كلما سمعها، حتى قد يصل الحال إِلَى أنه لو سمع الغيبة من التلفاز في مشهد تمثيلي مثلاً – يلتقط جهازه الرقابي أن هذه غيبة، وإن كانت ليست كذلك، حيث أن الأمر مجرد تمثيل لا واقع له.

عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «يا أبا ذر.. إن المتقين الذين يتقون الله عز وجل من الشيء الذي لا يُتقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة».

* موعظةُ اللسان: إنَّ اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرْمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان. واللسان رحب الميدان ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إِلَى شفا جرف هار إِلَى أن يضطره إِلَى البوار، ولا يكب الناس في شر اللسان إلا من قيَّده بلجام الشرع، فلا يُطلقه إلا فيما يَنفعه في الدنيا والآخرة.

الأسباب الباعثة على الغيبة

من الأسباب الباعثة على الغيبة:

١ـ قلة الخوف من الله والوقوع في محارمه، فإن من استشعر عظمة الله ـ تعالى ـ وأنه مُطَّلع على أفعاله وأقواله تجنب ما يسخط الله ويغضبه.

٢ـ تشفي الغيظ.. بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يوجب غيظه فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.

٣ـ موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء، ومساعدتهم، فإنهم إذا كانوا يتفكهون في الأعراض رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا منه، فيساعدهم ويجاريهم ويرى أنَّ ذلك من حُسن المعاشرة.

٤ ـ إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك، ونحو ذلك، غرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضْل نفسه، ويريهم أنه أعلم منه.

٥ـ الحسد.. فإن ثناء الناس على شخص وحبهم له وإكرامهم يدفع المغتاب إِلَى القدح فيه ليقصد زوال ذلك.

٦ـ اللعب والهزل.. فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة حتى أن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

٧ـ إرادة التصنع والمباهاة والمعرفة بالأحوال.. وهناك أسباب أخرى غير هذه..

بيان ما يُباح من الغيبة: تُباح الغيبة لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إِليه إلا بها وهي ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم عند السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إِلَى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره، ويكون مقصوده التوصل إِلَى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، وهذا جائز ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا وكذا.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من عدة وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب لما فيه من إظهار المصلحة.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته، ويجب على المشاورَ أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساويء التي فيه بنية النصيحة.

الخامس: أن يكون مُجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجواز سبب آخر.

السادس: التعريف فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك لكان أولى.

فتنة المال

إن عناصر الفتنة في دنيا الابتلاء والاختبار كثيرة، والمال أعظمها اختباراً وأشدها فتنةً للإنسان؛ لما أودع الله فيه من سحر الجاذبية والإغراء ؛ فبوجوده ووفرته قد يحصل الغرور والطغيان، وذلك طريق الهلاك و الخسران﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[1]، وبفقده أو قلته يحصل الفقر والحرمان و(كاد الفقر أن يكون كفرا).

فكم كانت فتنة المال وراء ضياع الدين وفساد الأخلاق، وانتشار الانحرافات والمنكرات، وضياع الأخوة، واندثار أسر، واشتعال نيران العداوة والشقاق والافتراق، بل كانت من أسباب الحروب والدمار و إبادة الأمن والاستقرار .وإنما يفتن بالمال من لا يعلم حقيقته، ولا يدرك نعمته، ولا يلتزم حدوده الشرعية وضوابطه العقلية والخلقية في الكسب والتدبير والإنفاق.

كان معاوية بن سفيان يدفع بأمواله لتزداد رقعة الفتنة و طابور النفاق الطويل الذي ورث انحرافات البشرية منذ أيام قابيل، يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أصاب ديناراً أو درهماً في فتنة طبع على قلبه بطابع النفاق»[2].

إنَّ من رحمة الله بهذه الأمة أنه أخبرها بما سوف تلقاه من الفتن، ودلها على سبل الوقاية والحماية منها، جاءنا الخبر في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد

---

(١) سورة العلق، الآية: ٦- ٧.

(٢) رواه الديلمي(كنز العمال ١٨٧ / ١٧) وقال : لكل أمة عجل يعبدونه وعجل أمتي الدرهم والدينار »، الديلمي (كنز : ٢٢٣ / ٣).

(صّلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الأطهار (عليهم السلام)، وإنَّ من الفتن التي أخبر عنها ووقعت فيها هذه الأمة هي فتنة المال، وما أدراك ما المال، المال أذلّ أعناق الرجال، والمال غيّر المبادئ، والمال أنطق الرويبضة في أمر العامة، والمال أفسد أمور الدين والدنيا إذا أخذ بغير حق، والله سبحانه قد أخبر بأن المال مما فطر الناس على محبته وأنه شهوة من شهوات الدنيا، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[1]، وقال جل وعلا عن حال الإنسان مع المال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[2].

وربنا قد أخبر عن هذه الحقيقة بأن المال فتنة: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]، والله سبحانه قرر حقيقة باقية وسنة ماضية إِلَى أن يرث الأرض ومن عليها، وهي كذلك ميزان الله في الآخرة، أن المال ليس بمقياس على علو منزلة الإنسان عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا من عدل الله ورحمته بالأمة مصداق ذلك ما جاء في التنزيل: ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[4].

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

بل إنَّ الله سبحانه بيّن أن المال الذي قد يعطاه من لاخلاق لهم من الكفار لن يكون نافعاً لهم ولا حائلاً عن العذاب الذي يصيبهم، وهي رسالة لكل من بهرته الدينا التي يعيش فيها من حاد عن دين الله وعن شرعه ولم ينعم بهذه الشريعة، إذ يقول جل شأنه: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾(١)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾(٢).

واعلموا رحمكم الله أن الفتنة بالمال أخذت صوراً شتى في كل العصور، وبرزت في عصرنا هذا، فوجب التنبيه ولفت الأنظار لها، فرُبَّ مفتون لاهٍ ساهٍ غافلٍ يظن أنه على طريق صحيح وهو في طريق هلكة -والعياذ بالله-.

وهذه الصور على سبيل الإجمال كما يلي:

الصورة الأولى: الاشتغال بالمال- ولو كان حلالاً- عن طاعة الله وعن ذكره وشكره، كما قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٢) آل عمران، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١١.

فكم من رجل كان يحافظ على الصلوات ومجالس العلم وعلى قراءة القرآن وغيرها من أعمال البر، ومن إن شغلته الدنيا وجرى المال بين يديه حتى أصبح يمر عليه شهر رمضان وجالس العلم والمواسم الفاضلة فلا يقرأ كتاب الله، ولا يصلي، ولا يحضر مجالس الذكر، ويقطع أعمال البر فضلاً عن غيرها من الأيام، فليحذر المؤمن وليعلم أن الذي رزقه المال هو الله.

وحتى نعدل في قولنا ونكون دقيقين في تصويرالواقع إنَّ الإنسان ليقف وقفة إكبار واحترام لأناس يملكون الدنيا بأيديهم، وتجدهم من أحرص الناس على الطاعات وحضور الجماعات ومجالس العلم – ومنها مجالس عشوراء وشهر رمضان- وكل ما يقربهم إِلَى رب الأرض والسموات، فهنيئاً لهؤلاء الذين حازوا خير الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم الذين تنزل عليهم البركات، وتحل عليهم المكرمات.

الصورة الثانية: كراهية الانفاق في سبيل الله: وعلى رأسها الخمس والزكاة، والصدقات، فبعض الناس ينفق الأموال الطائلة في الولائم والعزائم وفي أمور اللهو والترف، وحينما يُدعى للإنفاق فيما يعتق رقبته وينجيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، رأيت الكراهية في وجهه، فيعرض و ينسى قول الله جل وعلا في حق المنافقين: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

ولا ننسى أولئك الأخفياء الأتقياء الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخير، فنقول لهم أبشروا فوالله إنه عند ربنا في كتاب لا يضلّ ربنا ولا ينسى،

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

فإن جهِلَكُم الناس فلكم موعد عند رب الأرض والسموات، يبيض الله فيه وجوهكم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويخلف عليكم خيراً فيما أنفقتموه.

الصورة الثالثة: عدم التحري في المعاملات المالية وعدم السؤال عن ما يدخل إليه أمن حرام أم حلال، والتساهل في ذلك وعدم سؤال أهل العلم عما يشكل عليه من المعاملات، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات»، وإن من أعظم الفتن التي وقع فيها بعض الناس أن يتتبع الرخص ومن يجيز له المعاملات الربوية والمحرمة، وليتذكر الإنسان يوم العرض على الله ويتذكر قول النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم): «أيما جسد نبت على السحت فالنار أولى به».

لقد طاشت عقول الناس مع الأسهم والمساهمات مع وجود البدائل المباحة والحمد لله. وكذلك من جوانب الفتنة بالمال، إقبال الناس على المسابقات المحرمة التي هي من الميسر، كمن يشترط للحصول على الجائزة أن تشتري من بضاعته أو أن تتصل بمال عن طريق بطاقة مسبقة الدفع للمشاركة في مسابقة كل هذا من القمار المحرم، وحتى لا نعمم قولنا، فإن من مظاهر الخير في هذه الأمة سؤال الناس وبإلحاح عن كثير من المساهمات المطروحة عبر وسائل الإعلام المختلفة مما يدل على تعظيم حرمات الله في قلوبهم نسأل الله أن يثبتهم وأن يرزقنا وإياهم الرزق الحلال المبارك.

الصورة الرابعة: أكل أموال الناس بالباطل، والتحايل على أكلها بشتى الوسائل والحيل الملتوية، فهذا يماطل في صرف مستحقات أو بدلات لبعض

الأجراء أوبعض الموظفين، وهذا يطلب الرشوة لكي يمرر المعاملات خاصة في مجال الصكوك والأراضي أو أخذ التراخيص للأنشطة التجارية، أو ترسية المناقصات والعقود، أو جحد الدائن مَنْ ديَّنهُ إذا لم يكن لديه بينة، أو من كتب عقاراً أو مؤسسة باسم شخص ثم جحده ماله وما كسبه، كل هذا من أكل أموال الناس بالباطل كما قال جل وعلا: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[2].

وليتذكر أولئك النفر الذين وقعوا في هذه الفتنة، قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله الراشي والمرتشي»، فلا تخسر دينك ودنياك فينزع الله البركة من المال الذي تأخذه بالباطل، فكم تعطّلت مصالح لأناس وكم حرم أناس من حقوقهم بسبب هؤلاء المرتشين، فاللهم أصلح أحوال المسلمين في كل الميادين يارب العالمين.

الصورة الخامسة: أكل مال اليتيم. يقول جل وعلا : ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾[3]، ويقول سبحانه مهدداً ومتوعداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢.

الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[1]، فليتق الله أناس أخذوا أموال اليتامى بغير حق أو حرموهم نصيبهم من الإرث أو نحو ذلك، وليتذكروا أن هناك موعداً يلتقي فيه الخصوم عند ملك الملوك وعلام الغيوب. يامن أخذتم أموال اليتامى ظلماً؛ اليوم عمل ولا حساب، فاغتنموا الفرصة وتوبوا إِلَى الله قبل فوات الأوان، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، وإنّ أخذ المال بغير حقه ممحقة للبركة، وقد يلحق نزع البركة أبناءكم ومن تعولون إما في حياتكم أو بعد مماتكم، فاللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا.

الصورة السادسة: عدم إعطاء الأجير أجره، من خادم أو خادمة أو سائق أو عامل أو من بنى لك داراً، أو كان يعمل لديك في عمل، أو من كان له سعي في صفقة، أو عقد؛ كل هؤلاء سوف يخاصمون من ظلموهم ولم يعطوهم حقوقهم، وقد كثر هذا في الآونة الأخيرة، وللأسف وهو من صور الفتنة بالمال والهلع على الدنيا.

وإن عجبك لا ينقضي من أناس يجحدون رواتب العمال المساكين -الذين يصل راتب البعض إِلَى قيمة وجبة غداء أو عشاء عند بعض المترفين.

الصورة السابعة: سؤال الناس من غير حاجة: كمن يرفع للموسرين بأنه مستحق للخمس والزكاة والصدقات وهو يكذب في ذلك، أو من يسأل الناس في المساجد وهو غير صادق، وأبشر يامن أصبت بالفاقة والحاجة ولم تسأل الناس بأن الله سوف يسدّ عنك حاجتك.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

الصورة الثامنة: إنفاق المال للصد عن سبيل الله، وإغواء عباد الله بأنواع من الفتن، كمن يطلق قنوات فضائية غنائية و الفحش والتعري، والفتنه والطائفية أو فيها الدعوة إِلَى تقليد أعداء الاسلام والسير في ركابها، وفيها تخدير العقول وتعطيل الطاقات، والإعجاب بالأعداء وبعاداتهم وتقاليدهم، ونزع الآداب والأخلاق والعادات الحسنة التي أكّد عليها الرسول الأعظم وأهل بيته (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(١). نزلت هذه الآية في قريش لما وافاهم ضَمضَم، وأخبرهم بخروج رسول اللّه (صّلى الله عليه وآله وسلم) في طلب العِير، فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا، وخرجوا الى محاربة رسول اللّه (صّلى الله عليه وآله وسلم) ببدر، فقتلوا وصاروا الى النار، وكان ما أنفقوا حسرة عليهم.

الصورة التاسعة: المراءاة والمباهاة بالمال والمنّ به –وخاصة إذا كانت نفقة شرعية مثل الخمس والصدقات–. وهو نوع من المنّ والأذى، كما قال جل وعلا: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(٢).

الصورة العاشرة: التقصير في النفقة الواجبة على الأهل والعيال. إنّ من صور الرحمة بالأمة ومن صور التكافل الاجتماعي، أن أوجب الله على الرجل

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

القادر أن ينفق ويطلب المال لكي يعيل أهله ويوفر لهم سبل الراحة والاستقرار، فإن المال عصب الحياة: ﴿وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1].

وقد جاءت النصوص الشرعية ببيان وجوب النفقة على العيال والزوجة ومن يعول من والد أو ولد، والتحذير من التفريط في ذلك، بل رغبت في الانفاق على الأهل والعيال وأنها من الإنفاق في سبيل الله، ومن أعظم وجوه الخير التي ينفق فيها.

وإنه لمن المؤسف أن تجد بعض الأبناء يتمنى أن يموت والدهم من شدة تقتيرهم وبخله وعدم الإنفاق عليهم، وليعلم الرجال أن النفقة واجبة عليهم ولو كانت المرأة غنية فهو حق لها أعطاها الله.

الخشوع في الصلاة

الخشوع لغة : قال ابن منظور في لسان العرب : خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعاً و اخْتَشَعَ و تَخَشَّعَ رمى ببصره نحو الأَرض وغَضَّه وخَفَضَ صَوته. وقوم خُشَّع: مُتَخَشِّعُون. و خَشَع بصرُه: انكسر، ولا يقال اخْتَشَع.

وقال صاحب القاموس :الخُشوعُ: الخُضوعُ، كالاِخْتِشَاعِ، والفعْلُ: كمنَع، أو- : قَريبٌ من الخُضوعِ، أو هو في البَدَنِ، والخُشُوعُ في الصوتِ والبَصَرِ، و- : السُّكونُ والتَّذَلُّلُ. وقال في الصحاح: الخُشُوعُ: الخُضوعُ، يقال: خَشَعَ واخْتَشَعَ ؛ وخَشَعَ ببصره، أي غَضّهُ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

وبلدةٌ خَاشِعَةٌ، أي مُغْبَرَّةٌ لا منزِل بها، ومكانٌ خَاشِعٌ.

والخُشْعَةُ، مثال الصُبْرَةِ: أكَمةٌ متواضِعةٌ، وفي الحديث: «كانت الأرض خُشْعَةً على الماء ثم دُحِيَتْ» .والتَخَشُّعُ: تكلُّفُ الخُشوع .

وقال صاحب المفردات في غريب القرآن :الخُشوعُ الضّرَاعَةُ وأكْثَرُ ما يُسْتَعْملُ الْخُشوعُ فيما يُوجَدُ عَلَى الجَوَارِحِ. والضّرَاعَةُ أكثرُ مَا تُسْتَعْمَلُ فيما يُوجَدُ في القَلْبِ ولذلك قيلَ فِيما رُوِيَ: إذا ضَرَعَ الْقَلْبُ خَشَعَتِ الجَوَارِحُ، وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب إذا لم يكن الرجل مرائيا يظهر ما ليس في قلبه كما روى تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، وهو أن يرى الجسد خاشعاً، والقلب خالياً لاهياً. فهو سبحانه استبطأ المؤمنين بقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[1]، فدعاهم إِلَى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه. ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وهؤلاء هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا. وكذلك قال في الآية الأخرى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[2]، والذين يخشون ربهم ، هم الذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم.

(١) الحديد، الآية: ١٦-١٧.

(٢) الزمر: الآية ٢٣.

تعريف الخشوع في الشرع: خشية من الله تكون في القلب فتظهر على الجوارح. وهوالسكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته .وهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]، أي خائفون ساكنون.

عن الإمام علي (عليه السلام): «يا كميل! ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، إنما الشأن أن تكون الصلاة فُعلت بقلب نقي، وعمل عند الله مرضي، وخشوع سوي» [2].

ماذا نقول عن اكثر المصلين – إلا من رحم ربي – تذهب به أحوال الدنيا كل مذهب، فهو يصلي ببدنه ولكنه يذهب بفكره إِلَى الدنيا وأسواقها؛ يبيع ويشتري، ويزيد وينقص... وما ذاك إلا من الغفلة.

لله أقوام امتثلوا ما أمروا، وزجروا عن الزلل فانزجروا، جنَّ عليهم الليل فسهروا، وطالعوا صحف الذنوب فانكسروا، وطرقوا باب المحبوب واعتذروا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[3].

روى الحافظ الحسكاني (الحنفي) قال: أخبرنا عقيل (بإسناده المذكور) عن عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى: (إني جزيتهم اليوم بما صبروا).

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١-٢.

(٢) بشارة المصطفى، الآية: ٢٨.

(٣) المؤمنون: ١١١.

يعني: جزيتهم بالجنة اليوم بصبر علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين في الدنيا على الطاعات، وعلى الجوع والفقر، وصبروا على البلاء لله في الدنيا. (أنهم هم الفائزون) والناجون من الحساب.

ولكن !! كيف السبيل إِلَى الخشوع في الصلاة؟ وما هي الوسائل التي تعين على ذلك؟ هناك أسبابٌ يرجى لمن فعلها أن يرزق الخشوع في الصلاة وهي على قسمين:

أولاً: أسباب قبل الصلاة وهي:

١- تعظيم الله تبارك وتعالى والإخلاص له ومراقبته في السر والعلانية.

٢- تقوى الله تبارك وتعالى بفعل المأمورات وترك المحظورات.

٣- أكل الحلال والبعد عن الحرام وتجنب الشبهات والعمل بالاحتياط.

٤- الدعاء والتضرع والبكاء إِلَى الله عز وجل بأن يرزقك الخشوع.

ثانياً: تتعلق بالصلاة... منها:

١-اجمع نفسك وأحضر قلبك قبل الدخول في الصلاة وَبَعْدَهَا عن الشواغل الدنيوية .

٢-استشعار عظمة من ستقف أمامه وهو الله عز وجل.

٣- الرجاء في الحصول على ثواب الصلاة كاملاً.

٤- إحسان الوضوء وعدم الإسراف وترك الأعقاب.

٥- تهيأ قبل الدخول في الصلاة، وليكن المكان مهيأً للصلاة.

٦- الحذر من التهاون في أداء الصلاة في أوقاتها والسعي لها مع الأذان.

٧- لا تدع النوافل، كالوتر و نافلة الفجر وعليك بصلاة الليل فيها فلاحك.

٨- تفكر في معاني الآيات والأذكار التي تقرأها وترددها.

٩- لا تتعجل في صلاتك ولا تكن الصلاة أهون شيء عندك تؤديها كيفما كان.

١٠- التأدب في الصلاة بعدم الحركة أو الالتفات أو العبث المنهي عنه.

١١- التزم بأحكام الصلاة وآدابها، وعليك مراجعة كتب الفقه والاخلاق لمراجعة تلك الآداب.

١٢- تجنب الصلاة في الأماكن التي فيها آلات اللهو أو التصاوير أو تشويش أو أصوات ولغط.

١٣- صلِّ صلاة مودع فكل من نعرفهم رحلوا بعد صلاة مكتوبة وأنت لا بد منهم.

نماذج لمدرسة الخشوع في العبادة

خشوع النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) في الصلاة

عن جعفر بن علي القمي أنه قال: كان النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) إذا قام إِلَى الصلاة تربد وجهه خوفا من الله تعالى[1].

أي تلون وتغير من الخوف من الله فقد جاء في معنى تربد وجه الرجل: أي تلون تراه أحمر مرة ومرة أخضر ومرة أصفر. وتربد وجهه أي تغير من الغضب..

(١) فلاح السائل: ١٦١.

وعن عائشة: كان رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[1].

وعن جعفر بن علي القمي أن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا قام إِلَى الصلاة كأنه ثوب ملقى[2].

وروي أن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي وقلبه كالمرجل يغلي من خشية الله تعالى[3].

خشوع الإمام علي (عليه السلام):

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : «كان علي إذا قام إِلَى الصلاة فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[4]. تغير لونه، حتى يعرف ذلك في وجهه» [5].

في تفسير القشيري: أنه – أي علي (عليه السلام) —كان (عليه السلام) إذا حضر وقت الصلاة تلون وتزلزل، فقيل له: ما لك؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن

---

(١) البحار: ٨١/ ٢٥٨/ ٥٦.

(٢) فلاح السائل: ١٦١.

(٣) البحار: ج٦٧، ص ٣٩٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٥) فلاح السائل: ١٠١.

يحملنها وحملها الإنسان في ضعفي[1]، فلا أدري أُحسن إذا ما حملت أم لا[2].

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله تعالى[3].

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا دخل الصلاة كان كأنه بناء ثابت أو عمود قائم لا يتحرك، وكان ربما ركع أو سجد فيقع الطير عليه، ولم يطق أحد أن يحكي صلاة رسول الله إلا علي ابن أبي طالب وعلي بن الحسين (عليهما السلام)[4].

خشوع فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله):

كانت فاطمة (عليها السلام) تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى[5]. والنَّهَج: تتابع النفس بشدة . ونهج الرجل نهجاً، وأنهج إذا انبهر وأنهجه غيره يقال فلان ينهج في النفس إذا تتابع فيه مع الانبهار.

– رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) – أخبر عما يقع من الظلم على أهل البيت (عليهم السلام) – : أما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين – إلَى أن قال: – متى قامت في محرابها بين يدي ربها

---

(١) وفي بعض النسخ: في ضعفه.

(٢) البحار: ٤١ / ١٧ / ١٥.

(٣) البحار: ج ٦٧ / ٤٠٠ / ٧٢.

(٤) دعائم الإسلام: ١ / ١٥٩.

(٥) البحار: ٦٧ / ٤٠٠ / ٧٢.

(جل جلاله) زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إِلَى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار[1].

خشوع الإمام الحسن (عليه السلام):

عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «إن الحسن بن علي (عليهما السلام) كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عز وجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم»[2].

كان الحسن (عليه السلام)... إذا فرغ من وضوئه يتغيرُ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: «حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيرَ لونه»[3].

وفي كتاب اللؤلؤيات: كان الحسن (عليه السلام): «... إذا توضأ تغير لونه، وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك، فقال : حق لمن وقف بين يدي ذي العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله»[4].

خشوع الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام):

وعن – محمد بن طاووس أنه قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا شرع في طهارة الصلوات اصفر وجهه وظهر عليه الخوف[1].

---

(١) البحار: ج ٤٣ / ١٧٢ / ١٣.

(٢) البحار: ٨١ / ٢٥٨ / ٥٦.

(٣) البحار: ج ٦٧ / ٤٠٠ / ٧٢.

(٤) البحار: ج ٦٧ / ٣٤٦ / ٣٠.

وكان (عليه السلام) إذا توضأ للصلاة وأخذ في الدخول فيها اصفر وجهه وتغير لونه، فقيل له مرة في ذلك، فقال: «إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم»[٢].

وفي الصحيح عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا»[٣].

وعنه (عليه السلام): «كان ...(عليه السلام) إذا حضرت الصلاة اقشعر جلده، واصفر لونه، وارتعد كالسعفة»[٤].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شئ إلا ما حركه الريح منه»[٥].

ومن كتاب الأنوار أيضا: أنه (عليه السلام) كان قائما يصلي حتى وقف ابنه محمد (عليه السلام) وهو طفل إِلَى بئر في داره بالمدينة بعيدة القعر، فسقط فيها، فنظرت إِليه أمه فصرخت وأقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث وتقول: يابن رسول الله غرق ولدك محمد، وهو

---

(١) فلاح السائل: ٥١.

(٢) دعائم الإسلام: ١ / ١٥٨.

(٣) الكافي: الشيخ الكليني ج ٣، ص ٣٠٠.

(٤) فلاح السائل: ص ١٠١.

(٥) الكافي: ج ٣ / ٣٠٠ / ٤.

لا ينثني عن صلاته وهو يسمع اضطراب ابنه في قعر البئر، فلما طال عليها ذلك قالت حزناً على ولدها، ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت رسول الله!.

فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها إلا عن كمالها وإتمامها، ثم أقبل عليها، وجلس على أرجاء البئر، ومد يده إِلَى قعرها - وكانت لا تنال إلا برشا طويل - فأخرج ابنه محمدا على يديه يناغي ويضحك لم يبتل به ثوب ولا جسد بالماء! فقال: هاك! ضعيفة اليقين بالله، فضحكت لسلامة ولدها وبكت لقوله: يا ضعيفة اليقين بالله، فقال: لا تثريب عليك اليوم، لو علمت أني كنت بين يدي جبار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني، أفمن يرى راحم بعده؟[1].

خشوع الإمامين الصادقين (عليهما السلام):

عن جابر الجعفي: ولقد صلى أبو جعفر (عليه السلام) ذات يوم فوقع على رأسه شئ فلم ينزعه من رأسه حتى قام إِليه جعفر فنزعه من رأسه، تعظيماً لله وإقبالاً على صلاته، وهو قول الله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾[2].

وروي أن مولانا جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) كان يتلو القرآن في صلاته فغشى عليه، فلما أفاق سئل ما الذي أوجب ما انتهت حالك إِليه؟ فقال - ما معناه - : ما زلت اكرر آيات القرآن حتى بلغت إِلَى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها[3].

---

(١) البحار: ج ٨١ / ٢٤٥ / ٣٦.

(٢) سورة الروم،الآية: ٣٠.

(٣) فلاح السائل: ص ١٠٧.

وقال أبو أيوب : كان أبو جعفر وأبو عبد الله (عليهما السلام) إذا قاما إِلَى الصلاة تغيرت ألوانهما حمرة ومرة صفرة، وكأنما يناجيان شيئا يريانه[1].

فُشوُّ الرذائل

ومن أسباب معاناة المسلمين ما نراه اليوم من تفش المحرمات والرذائل فإنها توجب هلاك المجتمع.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «وجدنا في كتاب رسول اللّه (صلى الله عليه واله وسلم) إذا ظهر الزّنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم اللّه بالسّنين والنّقص، وإذا منعوا الزّكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع والثّمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظّلم و العدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط اللّه عليهم عدوّهم، وإذا قطّعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط اللّه عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم»[2].

نعم، إذا اتصف أبناء المجتمع بالرذائل والصفات غير الأخلاقية فإن هذه الصفات نفسها تكون كافية لإهلاكهم وتسليط الجبابرة عليهم، لأن طبيعة الإنسان العاصي أن يكون مستغرقاً في الملذّات والهوى، ولا يعلم

(١) فلاح السائل: ص ١٦١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح٢.

كيف تجري الأمور السياسية والاقتصادية أو غيرها، فهو يجهل حتى هدفه في الحياة، فمثلاً عندما تستشري ظاهرة الزنا ـ والعياذ بالله في المجتمع ـ فالزنا فعل لابدّ له من نتائج، ومن نتائجه المعنوية قصر العمر، ومن نتائجه الماديّة شيوع الأمراض الجنسية الزهرية الخطيرة وهكذا الإيدز وغيره، وتفشي الانحلال الأخلاقي.

ثم إن بعض هذه الذنوب تكون نتائجها السيئة سريعة، أي أن ما يتبعها من مساوي تظهر مباشرة فتنعكس سلبياتها في المجتمع.

فمثلاً، الزنا ينشر الأمراض، وفساد السوق والميزان يوجب الجدب والقحط. وإذا منع الناس الزكاة أو الخمس منعت السماء ماءها.

وهكذا في المقابل، فإن الله قد جعل لكل صفةٍ أخلاقية حسنة نتائج معنوية إيجابية، ونتائج مادية إيجابية ينتفع الناس منها.

كما جعل الله لكل صفة لا أخلاقية، ولكل ذنب أو معصية نتائج سلبية تنعكس على روح الإنسان، فتضعف إيمانه، ونتائج سلبية مادية تنعكس أضرارها في المجتمع، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): « خمس إن أدركتموهنَّ فتعوذوا بالله منهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلاّ مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله (عز وجل) إلاّ

جعل الله عز وجل بأسهم بينهم»[1].

وهذا الحديث الشريف يكشف لنا عن نظام العليّة وقانون الأسباب والمسببات وبعض أسرار تسلط الظلمة على الناس، لكنه يؤكد على أن ذلك التسليط ليس من قبل الله (والعياذ بالله)، بل هو من جزاء أيدي الناس وأعمالهم.قال عزوجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

لماذا طول الحياة الدنيا ؟

في هذا البحث نكشف شئ من الحكمة الإلهية والعدل الإلهي من طول هذه الحياة لملاين السنين ولماذا هذا الوقت الطويل من يوم خلق آدم (عليه السلام) إِلَى يوم البعث؟ وماهي الحكمة من طول البقاء في القبر وماهي الفائدة من ذلك؟ أكيد الفائدة هي من اجل الإنسان حيث جعل الله الليالي والأيام ظرفا لأعمال العباد، وكل عامل يجد ثمرة عمله أمامه قال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3]، حتى لايضع عمل عامل مهما كان في أي زمان ومكان كان هو له فيه، قولاً أو فعلاً، نما أو قل ولو كان أثراً من أثر أو حرفاً من بين ألف حرف.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٧٣ باب في عقوبات المعاصي ح١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) سورة الزَّلزلة، الآية: ٧-٨.

فقد ورد عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لأصحابه: أهدوا لموتاكم. فسألوا يا رسول الله، وما هدية الأموات؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) الصدقة والدعاء، وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): إن أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة إِلَى السماء الدنيا بحذاء دورهم وبيوتهم، ينادي كل واحد منهم بصوت حزين: يا أهلي، ويا ولدي، ويا أبي، ويا أمي، وأقربائي، أعطفوا علينا يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا، والويل والحساب علينا، والمنفعة لغيرنا، وينادي كل واحد منهم إِلَى أقربائه: اعطفوا علينا بدرهم، برغيف، أو بكسوة، يكسكم الله من لباس الجنة.

ثم بكى النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم)، وبكى أصحابه، فلم يستطع أن يتكلم من كثرة بكائه، ثم قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «أولئك إخوانكم في الدين فصاروا تراباً رميماً بعد السرور والنعيم، فينادون بالويل والثبور على أنفسهم، يقولون: يا ويلنا، لو أنفقنا ما في أيدينا في طاعة الله ورضائه، ما كنا نحتاج إليكم، فيرجعون بحسرة وندامة وينادون: أسرعوا صدقة الأموات».

في قانون الحياة الدنيا يجد كل عامل أثر عمله، ويجني ثمرة كده وسعيه، والذي لا يعمل لا يجني شيئا، والذي يرتزق بالجريمة يعاقب بجرمه، والذي يحسن في عمله يفرح بكسبه، ويجد لذة عيشه قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

وكما أن الله تعالى جعل قانون النجاح في الحياة الدنيا معلقا بأسباب العمل والإنتاج فإنه سبحانه جعل الفلاح في الآخرة معلقا بأسباب الإيمان والعمل الصالح، فلا فوز في الآخرة بلا إيمان وعمل، بل هو الخسران المبين، والعذاب الأليم قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1].

إنَّ القرآن مليء بالآيات الكريمة التي فيها ترتيب الجزاء على الأعمال، وأن عمل العبد سبب لربحه أو خسارته، وإنه إنما يجني يوم القيامة ما كسبت يده ﴿فَاليَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وفي آية أخرى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3]. فيوم الحساب لاتظلم نفس لأنها أخذت من الدنيا زرعها أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، كما ورد في الأخبار، عن الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم): «الدنيا مزرعة الآخرة» فلو اننا لم نزرع في هذه الأيام المعدودة ، ولم نعمل عملاً صالحا، لفاتتنا الفرصة والفرص في الكمال ورضا الله، فالقلب بمنزلة الأرض، والإيمان وسائر الفضائل النفسية بمنزلة البذر فيها، والتخلّي عن الرذائل والمعاصي كتنقيتها عن الشوك والأحجار وغيرها، والطاعات بمنزلة

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٥٤.

(٣) سورة المدَّثر، الآية: ٣٨.

سقيها، ويوم القيامة يوم حصادها، ويستمر هذا الزرع بعد موت الإنسان حتى ينتهي بكل تفاصيله من الآثار.

وفي القرآن تصريح بالجزاء على الأعمال سواء في حق أهل الجنة أم في حق أهل النار: ففي أصحاب الجنة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]، وفي آية أخرى ﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ المحْسِنِينَ﴾[2].

إنهم قوم زكوا قلوبهم بالإيمان والعمل الصالح، فكانت الجنة جزاء تزكيتهم ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[3].

وجزاؤهم على العمل الصالح جزاء كبير عظيم، لم تره عين من قبل، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

وقد يغتر المستغنون بأموالهم، المستقوون بأولادهم أن ذلك ينفعهم يوم القيامة فنفى الله تعالى ذلك، وأثبت أنه لا ينفع إلا الإيمان والعمل، وأن صاحبه يجازى بأضعاف ما كان يعمل؛ فضلا من الله تعالى وكرما ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٧٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٧.

فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ﴾[1] ثم زادهم فأعطاهم أكثر مما عملوا ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[2].

والنية الصالحة مع العمل هي السبب لبلوغ هذا الأمل، وهو الأمل في رضا الله تعالى.

وفي آيات أخرى يُجعل الصبر سببا للجزاء؛ لأن فعل الطاعة والكف عن المعصية يحتاج إِلَى صبر ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[4]. فإحسانهم لا يضيعه الله تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[5]، ويجرى فيهم قانون المجازاة على الإحسان ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[6].

والجزاء على الأعمال ثابت أيضا في أصحاب النار، فلم يظلمهم الله تعالى حين عذبهم، بل عاملهم بعدله وهو الحكم العدل سبحانه وتعالى، وجازاهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآَخِرَةِ

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

(٢) سورة النَّبأ، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ١٢.

(٥) سورة الزُّمر، الآية: ٣٤

(٦) سورة الرَّحمن، الآية: ٦٠.

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وبين سبحانه أن جزاءهم مقابل لكفرهم ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[2] أَيْ: جَزَيْنَاهُمْ جَزَاءً وَافَقَ أَعْمَالَهُمْ، وقال سبحانه وتعالى في المنافقين ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

ولما قال الشيطان في آدم وذريته ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4]، قال الله تعالى له ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾[5].

وكما جزي أهل الإحسان بإحسانهم فكذلك جزي أهل السوء بإساءاتهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٧.

(٢) سورة النَّبأ، الآية: ٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٣.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢٧.

وفي الجمع بين الفريقين في آية واحدة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى﴾[1].

ومن قانون جزاء الله تعالى أنه يكون كريماً مع عباده المؤمنين فيجزيهم بأحسن أعمالهم، وأحسن أعمالهم هو توحيده سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

ومن عدله مع الكافرين أنَّه لا يجزيهم إلا بأعمالهم، ولكن لشدة مقته سبحانه لهم يجزيهم بأسوأ أعمالهم وهو الكفر به سبحانه ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وليس جزاؤه لعباده بالجنة ثمنا لأعمالهم في الدنيا؛ لأن الجنة لا ثمن لها؛ ولأن الله تعالى قد أنعم على العباد في الدنيا نعما تربو على أعمالهم مهما بلغت، ولكن حكمته سبحانه اقتضت أن تكون الأعمال الصالحة سبباً لرضوانه وجنته، التي ينالها أهلها برحمته سبحانه وتعالى لهم، ولا ينالونها بمجرد أعمالهم.

وإليك بعض الأعمال التي تفيد الحي والميت بعد موته ولها اثر لعشرات السنين يتنعم بها الإنسان في قبره وربما إِلَى يوم القيامة، جاء في الكافي في الصحيح عن هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام) قال:

---

(١) سورة النَّجم، الآية: ٣١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٧.

(٣) سورة فصِّلت، الآية: ٢٧.

«ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يدعو له »[1].

الصدقة الجارية كالمسجد يساهم في بنائه.

وسنة الهدى كحديث فيه فائدة أو علم كالكتاب الذي يتركه ينتفع به الآخرون يقطف أجره ولو بعد آلاف السنين.

أما الولد الصالح فهو كذلك الولد الذي غيّر مصير والده في عالم البرزخ، كما ورد في قصة نبي الله عيسى (عليه السلام) الذي مرَّ بقبر يعذب صاحبه، ثم مرَّ به من قابل فإذا ليس يعذب فقال: «يا رب مررت بهذا القبر عام الأول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب، فأوحى الله إليه: يا روح الله، أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فغفرت له بما فعله ابنه».

وقد ورد في الأحاديث أن الولد العاقّ بوالديه يمكن أن يتحول إِلَى بارٍّ بهما من خلال الأعمال التي يقوم بها لأجلهما بعد موتهما فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «يكون الرجل عاقاً لوالديه في حياتهما، فيصوم عنهما بعد موتهما، ويصلي عنهما، ويقضي عنهما الدين، فلا يزال كذلك حتى يكتب باراً بهما، وإنه ليكون باراً بهما في حياتهما، فإذا ماتا لا يقضي دينهما، ولا يبرهما بوجهٍ من وجوه البر، فلا يزال كذلك حتى يكتب عاقاً».

(١) رواه في الوسائل في الباب: ٨٧ من كتاب الوقوف.

وحول نفس مضمون الحديث النبوي السابق ورد عن معاوية بن عمار أنه قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما يلحق الرجل بعد موته؟ فقال: «سنّة يعمل بها بعد موته فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، والصدقة الجارية تجري من بعده، والولد الطيّب يدعو لوالديه بعد موتهما، ويحجّ ويتصدّق ويعتق عنهما ويصلّي ويصوم عنهما، فقلت: أُشركهما في حجّتي؟ قال: نعم».

وكذلك ينفع الميت هدايا المؤمنين: من رحمة الله سبحانه وتعالى وعدله للميت أنه فتح له رافداً من خلال الأعمال التي عملها في حياته أو من يهديها له من أهله أو أصدقائه أو بعنوان المؤمنين والمؤمنات أو المسلمين والمسلمات أو بعنوان من ليس له ذاكر.

جاء في كتاب (لب اللباب) للرواندي: إن الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان فيقفون وينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكياً: يا أهلاه، ويا ولداه، ويا قرابتاه، إعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله، واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء، وارحموا علينا، وعلى غربتنا، فإنا قد بقينا في سجن ضيق، وغمٍّ طويل وشدة، فارحمونا، ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا، لعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا مثلنا، فواحسرتاه قد كنا قادرين مثل ما أنتم قادرون، فيا عباد الله، اسمعوا كلامنا ولا تنسونا، فإنكم ستعلمون غداً فإن الفضول التي في أيديكم كانت في أيدينا، فكنا لا ننفق في طاعة الله، ومنعنا عن الحق، فصار وبالاً علينا، ومنفعة لغيرنا، فاعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسوة،

ثم ينادون: ما أسرع ما تبكون على أنفسكم، ولا ينفعكم كما نحن نبكي، ولا ينفعنا فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا.

قال العلامة المجلسي في زاد المعاد: يجب أن لا يُنسى الأموات لأنهم عاجزون عن القيام بأعمال الخير.. وهم يأملون أن يصلهم شيء من أولادهم وأقاربهم وإخوانهم المؤمنين، وينتظرون ذلك بفارغ الصبر، خصوصاً في الدعاء في صلاة الليل، وبعد صلاة الفريضة، وفي المشاهد المشرفة، وينبغي تخصيص الأب والأم والاهتمام بالدعاء لهما والأعمال الصالحة عنهما أكثر من غيرهما.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن أحدهم سأله: يصلَّى عن الميت؟ فقال، نعم حتى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك، ثم سأله: فأشركُ بين رجلين في ركعتين؟ فقال (عليه السلام)، نعم، ثم قال: «إن الميت ليفرح بالترحم عليه، والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدى إليه».

وعن الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم): «ما تصدقت لميت فيأخذها ملك الموت في طبق من نور ساطع، ضوؤها يبلغ سبع سماوات، ثم يقوم على شفير الخندق (أي القبر)، فينادي: السلام عليكم يا أهل القبور، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية، فيأخذها ويدخل به في قبره، فتوسع عليه مضاجعه».

وفي الحديث النبوي الشريف: «إذا تصدق الرجل بنية الميت أمر الله جبرئيل أن يحمل إِلَى قبره سبعين ألف ملك، في يد كل ملك طبق فيحملون إِلَى قبره ويقول: السلام عليك يا ولي الله، هذه هدية فلان بن فلان إليك، فيتلألأ قبره».

إضافة إِلَى تلك البركات والرحمات الربانية على الميت، فإن من يهدي الموتى بأعمال الخير يثيبه الله تعالى ويجزيه بأفضل جزاء.

فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت».

في حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له أجره، ونفع الله به الميت».

وعن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم): «ألا من عطف لميت بصدقة فله عند الله من الأجر ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظل العرش...».

وفي ختام الموضوع نلاحظ كيف يطالب المؤمن بعمله بالاتمام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾[1]، فهم يحضرونه بما كسبوه في الدنيا من النور وهيّئوه في البرزخ ثم يسألونه يوم القيامة إتمام نورهم و إذهاب ما معهم من بقايا عالم اللهو واللعب.

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

في دولة الإسلام الإعلام فاسدٌ

إن للإعلام تأثيراً سلبياً على عقول الناس جميعًا كبيرهم وصغيرهم وقد تنوع الإعلام بين مرئي ومسموع كلها تقصف العقول قصفاً وتخاطب غرائز الشباب خطابا مشبوبا، أججت معه العواطف وأثارت مكنونات النفوس وعرضت نماذج للقدوات غير صالحة مما أثر في شخصية الشباب، حتى أخذ كثير من الشباب يشكل ثقافته وشخصيته بالطريقة التي يحبها ويهواها.

والإعلام بشكل عام سلاحٌ ذو حدين من الممكن أن يكون نافعاً للشاب، ومن الممكن أن يكون عاملاً من عوامل الانحراف، ولكن المشاهد في الواقع هو أن ماتعرضه وسائل إعلامنا في بعض الدول الاسلامية بدايةً من أفلام الكارتون إِلَى الأفلام والمسلسلات الأجنبية البوليسية، أو الإثارة أو الرعب، مع التفصيل في مواطن الانحراف كالرقص والزنا وشرب المخدرات وجرائم السرقة، كل هذا ما هو إلا طريق للانحراف الفكري والسلوكي لدى شبابنا.

أضرار التدخين من منظورات متعددة

الناظر في الشريعة الإسلامية يجدها تعالج جميع القضايا، وتلبي جميع الحاجات . وليس هناك مسألة إلا ولها حكم، ولا تجد حكمين لمسألة واحدة . إنَّ من صلاحية هذه الشريعة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ أنَّ لها في كل واقعةٍ حكماً، وفي كل نازلةٍ بياناً، وفي قواعدها وأصولها بيانٌ لكل المشكلات، وحلٌّ لكل المعضلات. والناس بحاجةٍ ماسَّةٍ لبيان الحكم

الشرعي لكل الوقائع والمستجدات الحادثة. ومن ضمن القضايا الفقهية في العصر الحاضر، التدخين الذي وقع فيه الخلاف مع ضرره الواضح.

والذي يستقرئ نصوص الشريعة يجد أن الأدلة عامّة، وخاصة.

فكثير من الواجبات، وكثير من المحرمات وردت الأدلة بخصوصها.

وهناك أمور واجبة ومندوبة، وأمور حرام ومكروهة لم يرد نص بخصوصها، وإنما استفيد حكمها من كليات الشريعة من أصولها وقواعدها الكلية وعموماتها.

ولا نفاجيء حين لا نجد نص بخصوص الدخان لا في الكتاب الكريم، ولا في السنة المطهرة من أقوال الرسول الاكرم والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) ؛ لأن التدخين لم يكن موجودا ولا معروفا زمن نزول القرآن ولا في الأعصار الفاضلة التي تبعته.

وإذ لم نجد دليلا خاصاً من الكتاب والسنة في التدخين، فلا نسارع إِلَى القول بإباحته وحلّه أخذاً من قاعدة قال بها جمهور الأصوليين (الأصل في الأشياء الإباحة). لأن من شروط هذا الشيء أن لا يتعارض وقواعد الشريعة ومقاصدها .

وإذا نظرنا إِلَى التدخين من هذه الوجهة؛ وجدناه يتعارض مع الصحة . بشهادة الأطباء وهم أهل اختصاص . وهي ضرورية لحفظ النفس.

ونجده كذلك يتعارض مع ضرورة حفظ المال، والإنسان مستخلف في مال الله، ومأمور أن يضع هذا المال في ما يعود عليه بالنفع ؛ من غذاء أو شراب أو دواء أو تعليم أو نحوه . والتدخين ليس بغذاء ولا دواء، ولا

يجني المدخن من سيجارته إلا أبخرتها، أو رمادها الذي تبقيه بين أصابعه، ليت الأمر يقف هنا، بل والسموم التي يدخلها إِلَى جوفه، فالتدخين لا يسمن ولا يغني من جوع، وليس هو دواء، وإنما هو داء بشهادة الأطباء.

لقد ظهر التدخين في القرن السادس عشر الميلادي حين أدخل المكتشفون الأسبان لأمريكا عادة التدخين إِلَى بلادهم ومنها إِلَى فرنسا، ثم بقية بلدان العالم.

ومنذ عرف المسلمون التدخين في أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر ؛ اجتهد الفقهاء في الحكم الشرعي له، ولكنهم اختلفوا، فذهب معظمهم إِلَى أنه حرام، وذهب آخرون إلي أنه مكروه، وقال غيرهم إنه مباح، وتوقف في الحكم آخرون.

وانصبّ نظر الفقهاء في تلك الفترة على قدر ما نمّي إِليهم من معلومات عنه، وكان قصارى ما يفعلون أن يلجؤوا إِلَى الإباحة أو إذا وقع الضرر قالو بالحرمة أو الاحتياط الترك، والبعض الذي قال بالإباحة لم يثبت لديهم أن في التدخين ضرراً صحيا، فكان نظرهم إِلَى متعاطيه أكثر من نظرهم إِلَى المادة التي تدخن. وقد قيل لهم إنه لا ضرر فيه، فاعتبر مشروبا من المشروبات الأخرى المباحة في حد ذاتها.

وإذا رجعنا في التدخين إِلَى أهل الاختصاص وهم الأطباء فيما يتعلّق بشأن الصحة، وعلماء الاجتماع فيما يتعلق بالمدخن والبيئة التي من حوله، وعلماء الاقتصاد في ما يتعلق بإيرادات التدخين إنتاجاً وتسويقاً وتصديراً ورسوما ضريبية في مقابل ما ينفق من الميزانيات في علاج مرضى التدخين

وتوفير الأدوية اللازمة لهم، ثم يأتي دور علماء الدّين ليكشفوا عن حكمه على ضوء ما ينمّى إليهم من حقائق.

وهذا من تظافر العلوم وخدمتها لبعضها البعض.

وما لم يرد فيه نص أو حكم صريح أعمل فيه فكره ونظر في حيثياته وملابساته، ثم أظهر الحكم الذي يغلب على ظنّه، أو يرجحه.

وهو في كلا الحالتين يكشف عن الحكم ويظهره، لا أنه يقرره ابتداء ؛ لأن تشريع الأحكام استقلالاً وابتداءً إنما هو لله وحده، ووظيفة الرسل(عليهم السلام) التبليغ، ومهمّة العلماء الاستنباط والتبيين.

ثبت يقينا تسبب التدخين في أمراض: سرطان الرئة والشفة واللسان والبلعوم والمريء والمثانة، والتهاب الشعب الهوائية، وأمراض الأوعية الدموية والقلب، والشرايين، ومن (٨٠%) ترجع وفاتهم إِلَى هذه العلل وبخاصة في الدول النامية، وأثر شرب المرأة له على جنينها. وها هي ذي أقوال الأطباء في أضراره.

و طبقا لما ورد بتقرير لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية عن التدخين. وهو مؤتمر ضم نخبة من أساتذة الطب ومؤسسات الأبحاث العلمية والتثقيف الصحي وهي تضم ممثلين عن مؤسسة القلب الهولندية بلاهاي، وجامعة كامبردج بإنجلترا، ووزارة الصحة في الاتحاد السوفيتي، وجامعة القاهرة، وفرنسا، والولايات المتحدة، وممثلين للمنظمات الدولية لمشكلات الكحول والإدمان بسويسرا، والاتحاد الدولي لمكافحة السرطان والمؤتمر العالمي الثالث عن التدخين والصحة، والجمعية الأمريكية للسرطان بنيويورك،

والجمعية الدولية لأمراض القلب، والاتحاد الدولي لرعاية الطفولة، والاتحاد الدولي للتثقيف الصحي. ومنظمة العمل الدولية، وقسم الصحة المهنية والإدمان بجنيف سويسرا، والجمعية الدولية لطب الأطفال، والاتحاد الدولي للفارماكولوجى ومعهد الكيمياء الإكلينيكية، والمركز الألماني للقلب بميونخ ألمانيا الاتحادية.

وانتهى هذا المؤتمر إِلَى أن التدخين يعتبر من أهم العوامل المسببة لسرطان الرئة والالتهابات الشعبية (القصبية) المزمنة وانتفاخ الرئة (الإمفيزيما) وقصور الدورة الدموية للقلب، وانسداد الأوعية الدموية في الأطراف.

وأوضح التقرير أيضا أن التدخين يلعب دورا في التسبب في حدوث سرطان اللسان والحنجرة والبلعوم والبنكرياس والمثانة. ويسبب الإجهاض، وولادة الأجنة ميتة، والوفاة المبكرة، وقرحة المعدة والإثني عشري. وقد أكدت التجارب على وجود مواد سرطانية ومواد مهيجة في القطران المتصاعد من دخان السجائر.

وقد أوضحت الدراسات الباثولوجية وجود التغيرات التي تسبق السرطان في الخلايا الغشائية للشعب الهوائية فيمن يدخنون، وان مكونات الدخان المعروفة، الضارة تشمل القطران والنيكوتين وأول أكسيد الكربون.

سرطان الرئة: إن الوفيات من السرطان في شتى أنحاء العالم وفي البلدان التي ينتشر بها التدخين مستمرة بلا انقطاع. وحدوث سرطان الرئة قي أي دولة وزيادته يتوقف على كثرة، تدخين السجائر، وكذلك على الزمن الذي بدأت فيه هذه العادة. وبالامتناع عن التدخين، فان الخلايا الغشائية

المبطنة للشعب الهوائية لدى المدخنين، والتي لا تخلو من ظواهر غير عادية- تعود إِلَى حالتها الطبيعية وتختفي فيها هذه التغيرات غير العادية في الخلايا الشاذة (والتي يفترض أنها بداية سرطانية) وهذا يعطى تأكيدا هستولوجيا للدليل الوبائي على أن إيقاف التدخين يقلل من احتمال الإصابة بالسرطان إذا قورن بمن يداومون على ممارسة التدخين.

الإلتهابات الشعبية (القصبية) وانتفاخ الرئتين (إمفيزيما) : تؤيد الدراسات أن كفاءة الرئة عند مدخن السجائر، تقل عنها عند غير المدخنين. وقد وجد أن أمراض القنوات الهوائية الصغيرة التي تسبب ذلك قد تتطور إِلَى درجة العجز، بسبب انسداد مزمن في القنوات الهوائية، وان هذا الانسداد في القنوات الهوائية يتكون ببطء، قبل أن يصل بعد عدة سنوات إِلَى درجة من العجز الشديد. ومثل هذا المريض لا يموت في العادة قبل مضى عشر سنوات على الأقل من العذاب الدائم، وهو يستميت في استنشاق الهواء وإخراجه.

مرض قصور الدورة الدموية التاجية للقلب: إن أهم تقدم حديث في المعرفة، قد نشأ من تركم أدلة تثبت أن أول أكسيد الكربون يلعب دورا هاما في الأسباب التي تجعل من التدخين عاملا مؤثرا في زيادة حالات قصور الدورة التاجية (الإكليلية للقلب) ويوجد أول أكسيد الكربون في الغازات المتصاعدة من تدخين السيجارة بنسبة الخمس.

ولأول أكسيد الكربون قدرة على الاتحاد بالهيموجلوبين أكثر من الأوكسجين، وهو لذلك يعيق نقل الأوكسجين للأنسجة.

وبتحليل التغيرات في وظائف القلب في حالات مرض الذبحة الصدرية، تبين أن ارتفاع ضغط الدم الإنبساطي وزيادة سرعة ضربات القلب تنتج عن التأثير بالنيكوتين، وأن الهبوط في وظيفة عضلة القلب مع انخفاض نسبة الضربات، ينتج من تأثير أول أكسيد الكربون.

أمراض الأوعية الدموية المخية: هناك أدلة متضاربة عن إمكان أن يكون التدخين سبباً في زيادة خطر الإصابة بأمراض الأوعية الدموية المخية. وقد أظهرت الدراسات التي أجريت على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية، زيادة ذات مغزى في معدل الوفاة من أمراض الأوعية الدموية المخية بين المدخنين.

قرحة المعدة: أشير في دراسات حديثة إِلَى أن التدخين يغير من التوازن بين الإفرازات الحمضية والقلوية، ويؤدى إِلَى ارتباك حركة فتحة البواب، مما يزيد من الارتجاع من المعدة والأثنى عشري. ويعتبر ما يحمله الدخان من النيكوتين سببا في هذه الآثار.

التدخين والجلد: تسبب المواد السامة الموجودة في الدخان ترهلاً وتبدلاً في لون الجلد الطبيعي، وقد تسبب تجعد الجلد وربما تشقق بعض اجزاء الجلد، كما يؤثر في تأخر شفاء جروح الجلد وتقرحاته.

التدخين والحمل: ثبت من الدراسات الواسعة التي أجريت عن معدل وفيات، الأطفال حديثي الولادة في بريطانيا ان أهم آثار التدخين أثناء الحمل هي بطء نمو الجنين وزيادة فرص حدوث الوفاة حول الولادة.

التعرض غير الإرادي للدخان: الثابت أن أثر التدخين يقتصر بالدرجة الأولى على المدخن نفسه بالنسبة للأمراض ذات الخطورة على الحياة. ولكن غير المدخن الذي يتعرض لتيارات مختلفة من الدخان المتصاعد من المدخنين في شتى الاتجاهات. والموجودون في مساحات مغلقة، يتعرضون لتركيزات ضارة من الدخان، وعلى الأخص عندما يتعرضون لأول أكسيد الكربون، فضلا عن خطورة الغازات المتصاعدة على مرضى الربو ومرضي الحساسية.

التدخين السلبي: استنشاق دخان السجائر و إن كان عن طريق التدخين السلبي والذي يتسبب في موت الآلاف كل عام بأمراض القلب يكون له تأثير كبير علي القلب والأوعية الدموية و يمكن أن يؤدي إلي نتائج خطيرة مثل الذبحة الصدرية.و ذلك لان النيكوتين في السجائر يرفع ضغط الدم لدي المدخنين أو غير المدخن الذي يستنشق دخان السجائر ويؤدي إلي زيادة معدل ضربات القلب وغيرها من الامراض.

التدخين والخدمات الصحيّة العامّة: إن الأمراض التي تنتج عن التدخين أو يزداد خطرها بسببه، تشكل عبئا ثقيلا على خدمات الرعاية الصحية التي تقدمها الدولة. وقد أثبتت بعض التحليلات أنّ ما ينفق على الأضرار الناتجة من التدخين، يفوق العائد الاقتصادي من التبغ و منتجاته.

التدخين والإدمان: إن النيكوتين هو المادة التي تسبب الإدمان قي التمباك (التبغ) وله تأثيرات متباينة علي الجهاز العصبي، وذلك يعتمد على الشخص ذاته وعلى حالته النفسية،كما يعتمد على الكمية التي يتعاطاها.

وللتدخين أثر مهدىء على المخ عندما يكون الشخص منفعلا ولكن له تأثيرا منبها أيضاً وهذا لايعني فيه فائدة بل الضرر أكبر.

أما بالنسبة للجهاز العصبي الطرفي (المحيطي)، فإن النيكوتين يؤثر فيه أول الأمر، ويسبب الرعشة في الأطراف، ويزيد من إفراز الخلايا العصبية اللاإرادية، كما ينبه نهايات الأعصاب إِلَى العضلات أو الغدد، ولكن هذا التنبيه يعقبه همود وخمول في أغلب الأحيان. أما إذا كانت الكمية المتعاطاة كبيرة أو لأول مرة، فان الهمود قد يأتي مباشرة دون أن يسبقه تنبيه، وسرعان ما يعتاد المخ والجهاز العصبي على وجود النيكوتين، وتنقلب العادة إِلَى إدمان باستمرار. ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة الصادر في عام ١٩٧٧، إن كمية النيكوتين الموجودة في سيجارة واحدة، كفيلة بقتل إنسان في أوج صحته لو أعطيت له هذه الكمية من النيكوتين بواسطة إبرة في الوريد. ولا شك أن تدخين النيكوتين يقوم بنفس الأثر المدمر على الصحة وعلى الحياة على مدى عشرين أو ثلاثين سنة.

وهنا لابد أن نوضح مقاصد الشريعة العامة، فمن مقاصد الشريعة: تحقيق العبودية لله أولا، ثم تحقيق المصلحة والمنفعة للمخلوقين، فكانت الشريعة في أوامرها وواجباتها جالبة لنفع الناس محققة لمصلحتهم، وفي نواهيها دافعة للشر نافية للضر عنهم . وقد تقرر في القواعد الفقهية أن الشريعة تعود إِلَى قاعدة كلية مفادها (جلب المصالح ودفع المفاسد) بل كلها تعود إِلَى جلب المصالح ؛ لأن دفع المفسدة هو في الحقيقة : تحقيق مصلحة.

وإذا نظرنا في مقاصد الشريعة فإننا نجد عناية الإسلام الوافرة بصحة الأبدان: فتراه يوجِهُ إِلَى ما فيه سلامة البدن وعافيته. كما دعا الإسلام إِلَى الوقاية من الأمراض، والبعد عن أسباب العدوى التي يترتب عليها المرض وتدهور الصحة.

كما أرشد الإسلام أتباعه إذا وقع المرض أن يتداووا، وأن يأخذوا في الأسباب من أجل العلاج.

ومن أجل أن لا تستبد العادات الضارة بصحة الإنسان، من جراء بعض الظواهر التي قد تتفشى في بيئة من البيئات أو مجتمع من المجتمعات، فقد قاوم الإسلام ظاهرة (الإدمان) في كثير من العادات الضارة.

ماذا تعمل قبل الموت

١- موالاة الله سبحانه وتعالى والأنبياء (عليهم السلام) والأئمة (عليهم السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وأولياء الله، والتبري من أعدائهم.

٢- وضع البرامج العبادية المركزة والمتكاملة.

٣- أن يَجتهِد المكلف في حفظِ قَلبه مِن الوَساوِس والآفات والخواطِر الرَّدِيَّة، وليُقِم على بابِ قَلبه حاجِباً مِن المراقبة يمنعُها مِن الدخولِ إليه فإنها إن دَخَلته أفسَدتهُ، ويَعسُر بعد ذلك إخراجها مِنه.

وَليُبالِغ في تَنقِية قَلبه الذي هو مَوضِعُ نَظَر ربِّه سبحانه مِن الميل إِلَى شَهوات الدنيا، ومِن الحِقد والغِلِّ والغِشِّ لأحدٍ مِن المسلمين، ومِن الظّنّ

السوء بأحدٍ منهم، وليكُن ناصحاً لهم رحيماً بهم مُشفقاً عليهم، مُعتقداً الخيرَ فيهم، يُحبُّ لهم ما يُحبُّ لنفسه مِن الخير، ويكرهُ لهم ما يكرهُ لِنفسه من الشر.

٤- وفاء الديون التي حان وقت وفائها أو حلّ ولم يطالبه الديَّان، أو لم يكن قادراً على وفائها، فتجب عليه الوصية بها والإشهاد عليها اذا لم تكن معلومة عند الناس.

٥-الوصية: وهي واجبة فى حق من عليه حقوق للناس وله فى ذمم الناس حقوق فهذا واجب عليه ان يكتب وصيته ويسجلها ويتعهدها حتى اذا فاجاه اجله فان حقوقه لا تضيع وحقوق الآخرين وتكون الوصية محفوظة.

٦- على العبد الصالح اذا أراد ان يوصى أن يعرف ما عليه قبل و بعد موته وان يتقى الله سبحانه وتعالى ويسأل أهل العلم حتى تكون الوصية على الأصول الشرعية ليسلم أهله من الشقاق والخلاف والنزاع.

٧-التوبة:وللتوبة الصحيحة شروطاً لابد من توفرها وتعتبر أركاناً أساسية تعتمد التوبة على كمالها وصحتها وليست هي مجرد كلام محض بل لابد من تطبيقه في الواقع العملي الملموس ولا يتحقق ذلك إلا بتحقق شروط التوبة النصوح وتطبيقها لكي تؤثر التوبة أثرها على الإنسان وتغلق الباب أمام الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وتفتح صفحة بيضاء أمام الخالق جل شأنه بعدم العودة إِلَى ارتكاب المعصية واقتراف الذنوب والأوزار وهذه التوبة تجعل للتائب حصانة وملكة وقابلية ومنعة أمام مغريات النفس وما تشتهيه من ارتكاب الأعمال المحرمة ولا شك أن طريق الحق سهل بسيط، ولكنه يحتاج

إِلَى انتباه وعدم التسويف وارتكاب المعاصي والعزم على إصلاح السلوك والنفس لكي يقرب الطريق ويسهل العمل ومن تلك الشروط التي ينبغي على التائب أن يلتزم بها هي ما يلي:

أولاً: الندم على ما مضى.

ثانياً: العزم على ترك العود إِليه نهائياً.

ثالثاً: أن يؤدي إِلَى المخلوقين حقوقهم.

رابعاً: أن يعمد إِلَى كل فريضة عليه فيؤدي حقها.

خامساً: أن يعمد إِلَى اللحم الذي نبت من السحت فيذيبه.

سادساً: أن يذيق الجسم أ لم الطاعة كما أذاقه حلاوة المعصية.

ورد في نهج البلاغة أن قائلاً قال بحضرة الإمام علي (عليه السلام): أستغفر الله، فقال له: أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ست معانٍ: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إِليه أبداً، والثالث أن تؤدي إِلَى المخلوقين حقوقهم حتى تلقي الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة، الرابع أن تعمد إِلَى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إِلَى اللحم الذي ينبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم أ لم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله.

٨- إرجاع الأمانات إِلَى أهلها أو إعلام أصحابها بأماناتهم عنده أو الايصاء بإرجاعها.

٩- أداء الخمس والزكاة والمظالم فوراً إن كان في رقبته شيء منها وكان قادراً على الأداء.

١٠- الوصية بالصلاة والصيام وغيرها من العبادات بالنيابة عنه إن كان في ذمته شيء منها.

١١- حِفظِ اللّسانِ فإنّ جِرمَهُ صَغيرٌ وَجُرمُهُ كبيرٌ، فَلْيكُفَّهُ عنِ الكذبِ والغيبةِ وسائرِ الكلامِ المحظورِ، وَلْيحتَرِز مِن الكلامِ الفاحِشِ، ومِنَ الخَوضِ فيما لا يعنيهِ، وإن لم يَكُن مُحَرَّماً فإنّه يُقسّي القلبَ.

١٢- طلب إبراء الذمة ممن ظلمته أو إغتبته وبعد التوبة من الغيبةِ، تستغفر الله له متى ماذكرته تقول: (اللهم اغفر لفلان).

نصيحتي لصديقي المؤمن

١ – الواجبُ من المقدار على المكلف معرفتة لله سبحانة وتعالى ما يقنع به ليقطع طريق الحياة الدنيا بأمان وسلوك حسن وفق شرع القران الكريم والسنة الشريفة والإجماع الذي لا يخرج عنه الإمام المعصوم (عليه السلام) والعقل ومن غير أي خروج عن ذلك، هذا في الواجب العيني، وأما الواجب الكفائي بأن يكون أشخاص يتمكنون من إثبات العقائد الحقّة بالأدلة المزبوره في مقام المخاصمات، فيجب على جماعة من المؤمنين القيام بذلك، ولو توقف ذلك على تحصيل العلم سنوات.

والعبادة الصحيحة والكاملة لاتتيسر إلابعد أن تتحقق المعرفة المستطاعة بالمعبود . ويكفي في تعين هذا الطريق ما ورد في أوائل سورة

الحديد من الآيات الست ونذكرها تبركا وهي قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]. وهل يظن عاقل أن الآيات الواردة في آخر سورة الحشر إنما أنزلها الله تعالى لمجرد القراءة والتلاوة، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ْبِ﴾[2]. ومع ذلك فما معنى التدبر في الآيات القرآنية؟.

وبذلك تقف على مدى وهن ما أثر عن بعض علماء السلف حيث يقول: (إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية فمن شغل ما أعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١- ٦.

(٢) من ٢٢ الى ٢٤.

إن إقامة العبودية الكاملة رهن معرفة المعبود بما في إمكان العبد. وإلا فإن العالم بجميع ذراته يسبح الله سبحانه ويحمده ويقيم العبودية له بما أعطي من الشعور والإدراك المناسب لوجوده، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1]. فلو كانت وظيفة الإنسان إقامة العبودية مجرداً عن المعرفة التفصيلية للمعبود، تكون عبوديته أشبه بعبودية سائر الموجودات بل أنزل منها بكثير، إذ في وسع الإنسان معرفة معبوده تفصيلاً بمقدار ما أعطي من المقدرة الفكرية التي لم يعطها غيره. فإن أريد من إدراك الربوبية إدراك كنه الذات فهو أمر محال، ولم يدعه أحد. وإن أريد معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله حسب المقدرة الإنسانية في ضوء الاقيسة المنطقية والكتاب والسنة الصحيحة القطعية فهذه وظيفة العقل . وجميعنا نرى أنه سبحانه يذم المشركين الذين لم يعرفوه حق معرفته بما في وسع الإنسان إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[2]. وباختصار: لو كان الهدف هو معرفة كنه الذات الالهية وحقيقة الصفات والاسماء، كان ترك البحث متجها، وإما إذا كان المقصود هو التعرف على ما هناك من الجمال والكمال ونفي ما ربما يتصور في الذات الالهية من النقص والعجز، فلا شك أن للعقل أن يطرق هذا المجال، وفي مقدورة أن يصل إليه. الطرق الصحيحة إِلَى معرفة الله إن ذاته سبحانه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٤.

وأسماءه وصفاته وأفعاله، وإن كانت غير مسانخة لمدركات العالم المحسوس، لكنها ليست على نحو يستحيل التعرف عليها بوجه من الوجوه.

ومن هنا نجد أن الحكماء والمتكلمين يسلكون طرقاً مختلفة للتعرف على ملامح العالم الربوبي، وهم يرون أن ذلك العالم ليس على وجه لايقع في أفق الادراك مطلقاً، بل هناك نوافذ على الغيب عقلية ونقلية، يرى منها ذلك العالم الفسيح العظيم.. وقد بان بهذا البحث الضافي، أنه ليس لمسلم التوقف عن محاولة التعرف على صفات الله وأسمائه بحجة أنه لامسانخة بين البشر وخالقهم. نعم، نحن لاندعي أن بعض هذه الطرق ميسورة السلوك للعامة جميعا، بل منها ما هو عام متاح لكل إنسان يريد معرفة ربه، ومنها ما هو خاص يستفيد منه من بلغ مبلغا خاصا من العلم والمعرفة. الاعراض عن البحث عما وراء الطبيعة، لماذا؟ هناك طوائف تمنع من البحث عما وراء هذا العالم المشهود وتعد حدود المادة أقصى ما تصل إليه المعرفة البشرية وتسلب كل قيمة من العلم المتعلق بما وراء الطبيعة . والعجب أن بعض هذه الطوائف من الالهيين الذين يعتقدون بوجود الاله، ولكن لا يبيحون البحث عما وراء الطبيعة على الاطلاق ويكتفون في ذلك بالايمان بلا معرفة.

وإليك هذه الطوائف: الطائفة الاولى: الماديون. وهم الذين يعتقدون بأصالة المادة وينفون أي وجود وراء العالم الطبيعي، فالوجود عندهم مساو للمادة. والطائفة الثانية: المفرطون في أدوات المعرفة وهؤلاء يعتقدون بما وراء الطبيعة، غير أنهم يعتقدون بارتفاع قمم ذلك العالم وشموخها بحيث لا يمكن

أن تبلغها العقول وتنالها الافهام . وهؤلاء يدعون أمرا ولايأتون عليه بدليل[1].

٢ – الإيمان الحقيقي بالرسالة المحمدية بعقلية شرعية مدركة حيث يسعى السالك لرفع كل شك في موضوع صلاحيتها للقيادة والتنظيم البشري، والتفهم الكامل لأساس هذه الرسالة المقدسة الحية، وهذا يحتم على السالك إِلَى الله تعالى معرفة الأصول والفروع والأحكام التي تترتب عليها.

٣ – العمل في إحياء خط هذه الرسالة المقدسة الحية، بالعمل الدائم لها والتجنيد الحقيقي لمفاهيمها، لأن السالك هو جند من جنود الرحمن، وهو في خدمة شريعة الحق، والحق أحق أن يتبع.

٤ – أن لا ينخدع السالك بنفسه، وأن لا يحمل أعماله على محمل الصحة، وأن يشعر بالتقصير مهما عمل شيء لله تعالى، وأن يستقصي عيوبه، وأن يسعى لإزالة ما وجد منها، وليعلم أن كل نفس تعشق صفاتها وأفعالها، فإن أعماله تحسن في نظره ولن يكتشف عيوبه إلا بالتأمل ودقة النظر.

٥ – أن يتبحر في المعرفة الإلهية، ويتفكر في الصنائع الإلهية، وفي أنواع النعم الظاهرية والباطنية، فكل ما خلق الله تعالى من كواكب لا تعد ومجرات لا تحصى من الذرة إِلَى الكرات العظام لها أثرها في حياتنا وهي أجل من أن تحصى.

---

(١) الإلهيات: ص ٨٨.

٦ – التأمل والتفكر في الأحاديث التي تتحدث عن فضيلة الابتلاء في الدنيا، وأنه في مقابل أية مصيبة يرتفع الصابر درجة أو تمحى عنه سيئة، وأن يتيقن أنه لا خير في من لا يبتلى، وأن يعلم أن الابتلاء والمصائب هي دليل الفضل والسعادة، فإن الإنسان كلما كان مقرباً من الله أكثر كان ابتلاؤه الأكثر وفي الحديث الشريف: «ما كرم عبد على الله إلا ازداد عليه البلاء»، وإن الآدمي يتكامل برياضة المصائب، وعلى السالك أن لا يجزع ولا ييأس بل ان الجزع واليأس يذهب ثوابه ويضيعه، ويسقط وقاره وأن يشكر الله تعالى عند كل مصيبة فمصائب الدنيا مطهرات لهذه النفوس وموجهة إياها إِلَى عالم الخلود، إِلَى ما لا عين رأت أو أذن سمعت أو خطر على قلب بشر.

٧ – المواظبة على مراقبة حال نفسك وأعمالك، تأمل كل عمل قبل الشروع فيه، خوفاً أن تعمل خلافاً لمقتضى الخلق الحسن والسير والسلوك الطيب، وأن لا تغفل عن حالك أبداً، بل عليك أن تفتح دفتر أعمالك كل يوم وليلة فتمر عليها متفحصاً فيها ما صدر عنك، فإن كان عملك خيراً أحمد الله تعالى وشكره واثني عليه على توفيقه لك، وإن كان عمل سوءاً تب وأصلح. وان من أهم أسباب الكمال الإنساني عرض الإنسان نفسه على الشريعة المقدسة، وحاجاته المتنوعة وعرض هذه الحاجات على الله تعالى المتعال إذ كلما زادت العلاقة، بين العبد والمعبود كلما تكامل الفرد وتقرب إِليه تعالى وكلما حاسب الإنسان نفسه وصحح أعماله تقرب إِليه تعالى.

٨ – أن يحترز عما يحرك شهوته وغضبه، كأن يمنع عينه وأذنه وقلبه عن رؤية وسماع وتصور كل ما يثير غضبه وشهوته، وليجد في صون قلبه عن تلك الوساوس والشكوك التي هي من علائم الإيمان.

٩ – أن يتبع إرشادات ووصايا أهل الأخلاق والعرفان ويطبقها على أتم صورة ويحاول أن لا يتهاون فيها. وأن لا ينظر إِلَى النتائج المجودة في كتب (الأخلاق أو العرفان السليم) بل يجهد نفسة ويحصل على النتيجة بسعية حتى تتضح له الحقائق التي عاش في جنتها أهل الأخلاق والعرفان.

١٠ – المواظبة على بعض الصلوات وعلى وجه الخصوص صلاة الليل والدعاء بعدها لقضاء الحاجة وصلاة جعفر الطيار (عليه السلام)، وهناك صلاة خاصة لرسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم)، وصلاة خاصة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكذلك لكل من الأئمة (عليهم السلام) لها آثارها العظيمة في تهذيب النفس وقضاء الحوائج، إن أي صلاة فريضة أو نافلة إذا استجابت للشروط الباطنة من حضور وخشوع وتعظيم وهيبة وحياء من قبل السالك بعيدة عن كل عجب، مجردة عن كل رياء وحب الظهور وآفات أخرى، فهي تضفي على قلب صاحبها أسراراً يقف المصلي بسببها على علوم وحقائق، منها يستمد قوته وإيمانه ويقينه لتقربه من مسبب الأسباب.

١١ – المواظبة على الدعاء والتمعن فيه. وخاصة أدعية الصحيفة السجادية التي تعود للإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام). والأدعية الأخرى الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أمثال دعاء كميل وعرفة

والسمات وغيرها... فللعبد أن يسأل حاجتة من الله تعالى في أي مكان شاء وفي أي وقت أراد، فالله يستجيب دعاءه ويقضي حاجته عاجلاً أو آجلاً حسب حكمته تعالى إن كان منقطعاً إليه تعالى غاية الانقطاع، متوسلاً إليه توسلاً ملؤه الإخلاص.

١٢ – المواظبة على تلاوة القرآن وقراءة تفسيره، وعلى السالك أن يعلم أن الهدف المنشود من وراء تلاوة وقراءة القرآن، تلك الآداب التي وردت في الشريعة المقدسة والتي يعد من أفضلها وأعظمها التفكر والتدبر في آيات القرآن والعمل وفق المطلوب فيها والرقي روحياً وجسدياً . فيجب الانتباه لها، و لولا القرآن لما عرف الله تعالى.

الفصل الثالث

الأُسرةُ والانحراف

التجمل والزينةُ لغير الزوج

يحث الإسلام على أن يتزين الزوجان لبعضهما ويظهرا بالمظهر اللائق، وفي مقابل ذلك وضع الإسلام حدوداً لذلك تمنع من الإفراط الذي يقود إِلَى السقوط الأخلاقي، وذلك عندما يتحول الرجل أو المرأة إِلَى العوبةٍ أو دمية تقلّبها عيون الناظرين.

فالإسلام يمنع لباس الشهرة أو أن تتزين المرأة ثم تخرج من دارها . الإسلام يمنع المرأة من التبرج لغير زوجها أو أن تتعطر ثم تخطر في الشوارع، كل هذا من أجل صيانة الإنسان أخلاقياً وحمايته من السقوط أو الوقوع في شباك الشبهات.

الأُسرة و قضايا الزواج.. مركز الإشعاع الاسلامي. إن رعاية هذه الضوابط ضروريةٌ في حياة المجتمع لكي يبدو أكثر طهراً وصفاءً. إن المهم في حياة الإنسان ليس جماله الظاهري بل نقاء الباطن وصفاؤه وسلامة الفكر والروح.

انحرافُ اللباس والحجاب

عدم الالتزام بالحجاب الشرعي الساتر عند الخروج من البيت وتجد بين كل مائة أمرأة واحدةٌ ملتزمةٌ بالستر والحجاب الشرعي الصحيح، ومن

هذه المخالفات كشف الوجه أو تغطيته بغطاء شفاف، ولبس الملابس الضيقة والقصيرة والمفتوحة، ولبس النقاب والبرقع بذريعة الستر والحجاب الذي يظهر منه الحاجب والعينان وبعض الخدين ويظهر زينتها.

تغير الستر والحجاب وخضوعه للموضة من الانحرافات الشرعية و متابعة الموضة في اللباس والتسريحات وأدوات التجميل عند الخروج من البيت، والاهتمامات النسائية في الموضة أكثر من الاهتمام في الاسلام، وفي هذا فقدان لهوية المرأة المسلمة وضعف لشخصيتها.

تجاوزت بعض النساء كل المقاييس الأخلاقية ورمت خلف ظهرها دينها، وتجاهلت العادات والتقاليد التي قد تكبح جماح رغباتها التي لا تنتهي ومن المؤسف أنه برز التداخل بين ثقافة الستر والموضة في آن واحد، فهؤلاء الشابات حتى وإن كن يفقهن الدين بشكل كبير،إلا أنهن قد فَضلنَ بأن يمزجنَ مفهوم الستر مع ما تقتضيه صرعات الموضة، وهناك تحولات مجتمعية سهلت هذه العملية بعد سكوت الأهل و المجتمع عن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخذت الشابات بإنتهاج نمط جديد في اللبس لم يعتاد عليه هذا المجتمع، فالكثير من تلك الشابات قد تخلين تدريجياً عن تلك العباءة (عباءة الرأس) والحجاب واستبدلنها بالبالطو والشيلة و العباءة المخصرة، وهناك من الشابات من بقي على لبس العباءة التقليدية حتى مع متابعتهن الحثيثة للموضة.

وبسبب هذا التداخل بين تلك الثقافة والموضة فقد أدى إِلَى إعوجاج لدى سلوك بعض الشابات وإنحرافهن عن مفهوم الستر، إلا أن هناك شريحة

لا يستهان بها من تلك الشابات ظلت ملتزمة بمبادئها التي تربت عليها فيما يتعلق بمفهوم الستر على الرغم من مواكبتها لآخر صرعات الموضة . فترى بعض النساء في المناسبات وحفلات الزفاف كأنها دمية أو لوحة فنان عبثت بوجهها عبث الصغار وارتدت لها فستاناً لا يسترها إلا قليلا، وتتحجج بإنها أمام النساء مع إنَّها تعرف حدود عورتها، وأنه لا يجوز لها أن تكشف أجزاء حساسة من جسدها لغيرها.. وقد تنظرين إِلَى أشكال عجيبة تجعلك تشعرين بالأسى لحال بعض نساء اليوم.. فهذه قد صبغت شعرها با لأصفر أو الأحمر، وتلك ارتدت لباسا شفافاً يظهر لون جسدها من تحته، وتلك جعلت فستانها تلوح أجزاؤه السفلى كأنه ممزق.. حيث قد فتحت مع كل جهة فيظهر الفخذ والساق! سترنا الله في الدنيا والآخرة.

وتلك عارية الأكتاف وإن وضعت قماشاً شفافاً كزينة وجاذبية ويسقط بشكل يثير النظر، وأخرى قد فتحت من فستانها جزء كبير من نحرها وظهرها.! وغيره كثير..

ولكن أين الحياء وأين الاحتشام؟!

هل التعري بهذا الشكل تقدم أو تطور؟!

وهل إظهار المحاسن التي لا يجوز إظهارها إلا وقاحة وقلة ذوق وقلةُ حياءٍ وأدب! فعلى المرأة المسلمة المحافظة أن تحفظ نفسها وتصون زينتها التي حرم إظهارها من أعين الرجال والنساء ومخلوق واحد له ولها الحق في أن ينظر إِليها إلا وهو الزوج، فلها أن تبدي له ما تريد وتلبس أمامه ما تشاء.. أما النساء فلها أن تلبس أمامهن الثياب الحسنة الكاسية التي لا تفتن.

وقد حرّم الإسلام التبرج والسفور، ووضع الفقهاء شروطاً للباس الفتاة المسلمة نوجزها فيما يلي:

١- استيعاب جميع البدن. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾(١).

٢- أن لا يكون اللباس زينة في نفسه، ويكون كذلك إذا كان من شأنه أن يجلب انتباه الطلاب إِلَى الطالبة المزيّنة بهذا اللباس. ودليل حرمة هذا اللباس: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(٢). فبهذا العموم يشمل الزينة الظاهرة وهي الثياب الظاهرة إذا كانت مُزينة تلفت انتباه الرجال إِليها.

٣- أن يكون فضفاضاً غير ضيق لأن الغرض من اللباس ستر العورة ومنع الفتنة، ولا تمنع الفتنة إلا إذا كان اللباس فضفاضاً ساتراً واسعاً، وأما الملابس الضيقة فإنها تصف المرأة وتصورها في أعين البالغين من الرجال ويترتب على هذا الفساد. فيجب على الطالبة أن تستر جسمها بثياب واسعة لا تصف ولا تشف.

٤- أن لا يكون اللباس مطيّباً أو مبخراً. على المرأة أن لا تخرج من بيتها متطيبة، لأن هذا التطيب فيه تحريك للشهوة.

٥- أن لا تتشبه المرأة في لباسها بلباس الرجل، لأن ذلك محرم في الإسلام، لعن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) المخنثين من الرجال

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

والمترجلات من النساء، واللعنة لا تكون إلا إذا كان الفعل أو الشيء الملعون بسببه محرماً، فدل الحديث بعمومه على تحريم تشبه النساء بالرجال سواء كان التشبه باللباس أو نحوه، مما يدل على تخنث الرجال وترجل النساء.

٦- أن لا تتشبه بلباس الكافرات. فلا يجوز للمسلمين رجلاً ونساءً التشبه بالكفرة سواء أكان ذلك في عباداتهم أو في ملابسهم الخاصة بهم أم في أعيادهم.

٧- أن لا يكون اللباس لباس شهرة، وهو كل ثوب يقصد به الاشتهار.

المغالاة في المهور

المغالاة في المهور من الانحراف الذي بسببه ينتشر الفساد في المجتمع، وفي الحديث قال رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم): «خير النساء أحسنهن وجوهآ وأرخصهن مهورآ»، وأكثر النكاح بركة أيسره مؤونة. روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) ـ في حديث تزويج فاطمة عليها السلام ـ قال: «ثم إنّ عليّاً اغتسل ولبس كساءً قطرياً وصلّى ركعتين، ثم أتى النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا رسول الله زوّجني فاطمة. قال: إذا زوجتكها فما تصدقها؟ قال: أصدقها سيفي وفرسي ودرعي وناضحي، قال: أما ناضحك وسيفك وفرسك فلا غنى بك عنها، تقاتل المشركين، وأما درعك فشأنك بها.

فانطلق علي (عليه السلام) وباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً قطرية، فصبّها بين يدي النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) فلم يسأله عن عددها، ولا هو أخبره عنها...» [1].

ويقعُ الزوج في مشاكل بما يسمى الشبكة، الحلقة ومن النساء من تشترط المنقوش عليها اسم الزوج والزوجة وكذلك على القلادة وكلها تقيدات في عملية الزواج وهكذا، وكذلك تقليد البعض للفنانين في الملبس و أجور يوم (الحناء) أو وإيجار الثياب البيضاء والقفازات، للعروس، وملابس العريس، وسيارات العرس والقائمة طويلة.

وذهاب المرأة للكوفيرات لتزيل شعر جسمها حتى وصل الحال إِلَى كشف الجسم إِلَى من لا يحل لأحد أن ينظر لها سوى زوجها.

ومنها الإصرار على إقامة حفلات الزواج في القصور والفنادق وإنفاق الأموال الكثيرة إِلَى درجة الإسراف، وإحضار المطربين والمطربات ورفع الصوت بالغناء والموسيقى والصيحات وإيذاء الجيران.

وظهور الزوج والزوجة أمام غير المحارم من الأقارب رجال ونساء وتهنئتهما بالمصافحة وما يكون من الرقص والتصوير الفوتوغرافي أو بكاميرات الفيديو وهكذا حدث وأطل الانفاس.

---

(١) كشف الغمة / الاربلي ١ : ٣٦٨.

خضوع بالقول

الخضوع بالقول، ولين الكلام من قبل النساء مع الرجال الأجانب، وهذا من الإعانة على الإثم، ويكثر هذا عند النساء حين الكلام بالهاتف و في الأسواق و أماكن العمل مما يؤدي إِلَى المعاكسات ووقوع الساذجات فريسة سهلة للذئاب البشرية، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[1]. ومن هنا فإنَّ هذه الطبيعة الفطرية في لين الكلام والخضوع بالقول للرجل الاجنبيي تحتاج بالضرورة إِلَى ضوابط تحكم مسارها ضمن الاتجاه الصحيح، الذي يسخرها لخدمة الحياة الزوجية، واستمرار النسل، ضمن نظام الزواج المشروع، وفي الوقت نفسه يحفظها من المثيرات الشهوانية غير المرغوب فيها، والتي تسوقها إِلَى عطبها ودمارها.

إنَّ فتنة اللسان فتنة لا تقل عن فتنة التبرج وإظهار الزينة والخلوة والاختلاط والنظر، ولهذا فإن الشريعة الإسلامية حرصت كل الحرص على أن تقضي على كل فتنة وعلى أي وسيلة تؤدي إِليها ومنها اللسان، ولهذا نجد القرآن الكريم والسنة االشريفة تُحرِّمان فتنة اللسان، وما ذلك إلا اهتماماً لمنع ارتكاب فتناً أخرى تترتب على فتنة اللسان. هذا بخلاف الكلام الذي تقتضيه الحاجة والضوررة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

التشبه بالرجال

قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[1]. وتشديداً على الحرمة قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): « اخرجوهم من بيوتكم فإنّهم أقذر شيء»[2].

ومن الواجب على الجنسين أن يحافظ كلٌ منهما على خصوصياته المميزة له، في كلامه وجلوسه ومشيته ولباسه وعاداته وتقاليده، وأعراف المجتمع وتقاليده هي التي تشخص وتحدد طبيعة التشبّه، وهو قد يختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر.

مما يزيد في أحزاننا هو ظهور بعض الفتيات السفيهات اللاتي غرتهن الدنيا، ولعب بعقولهن الشيطان، فساروا حتى تخلت الفتاة المسلمة عن أنوثتها وكرامتها التي فطرت عليها وذهبت للتشبه بالرجال وما اختصوا به، وساعدها على ذلك شياطين الأنس من الصديقات والزميلات المستهترات، فصفقوا لها تشجيعاً وإعجاباً.. أوحوا لها أنها تشبه ذاك الممثل أو ذاك المطرب، فبدأت تسعى للوصول إِلَى التشبه بذاك الشبيه وتناست حكم التشبه بالرجال.

إنَّ من تفعل ذلك ليست مسلمة عزيزة أبية بنت مسلم غيور من المسلمين خالصة الإسلام.

---

(١) علل الشرائع / الصدوق : ٦٠٢، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت ١٣٨٥ هـ.

(٢) علل الشرائع / الصدوق : ٦٠٢، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت ١٣٨٥ هـ.

وممكن أن من تفعل ذلك استهتاراً أو جهلاً لكن أن تفعله مسلمة مؤمنة بالله فلا يكون إلا بإنسلاخ الإيمان من قلبها وقانا الله وعافانا.

إن من تنسلخ عن شخصيتها وتبتعد عن الفطرة وعن الأنوثة التي وهبها الله حقيقة لا عقلَ لها ولا دينَ ولا حياءَ لديها.. لأنَّ العقلَ لا يفارقه الدين، والدين لا يفارقه الحياء.

تقليدُ أَهلِ الفنّ

نتيجةُ لإهمال بعض الأباء والأمهات أبناءهم وبناتهم إتخذ هؤلاء الشباب الأولاد قدوتهم ورمزهم المثالي المطرب والممثل والفنان واللاعب والمهرج.. فماذا يستفيد الصبية والشباب من أهل الفسوق والعصيان ومن أسطورة المغني أو المغنية أو الفنان أو الفنانة وماذا يستفيد أَهلُ الإِسلام من عشق بعض أهل الرذيلة من الممثلين والمغنين؟!

وأنتم بأنفسكم تشاهدون عبر التلفاز والصحف والمجلات وعبر الإذاعات والناس تسمعونهم يتحدثون عن فضائحهم وأخبار شذوذهم وانحلالهم وقصصهم الحيوانية.

أنَّ الحقائقَ صعبٌ تجاهلها؛ فكيف تتلوث عقولُ وقلوبُ الشباب والأطفال بحثالة البشرية والمجتمع! وماذا تستفيد الشابات والصبايا من حكايات وغراميات جواري العصر الحديث عارضات الأزياء أو ماذا يستفدن من قصص صراع وأحقاد المذيعات والمطربات على المال والشهرة والمتعة؟!

هل من الصحيح أن يقلد المسلم مثل هولاء !

وعندنا أهل البيت (عليهم السلام) مثل سفينة نوح.

بماذا نجيب الله سبحانه وتعالى يوم القيامة؟

إنَّ كلَّ من يبحر في بحارِ الفن الخالع من تمثيلٍ وغناءٍ ورقصٍ وعرضٍ إنما يبحر إِلَى عالم الفضائح والرذائل والمخدرات والجنس! والشذوذ والحب الشهواني والجرائم البشعة.. إنه عالم حيواني ناطقٌ بالصوت والصورة!!

الطلاقُ المزاجي

لقد حرص الدين الإسلامي على وحدة الأسرة وعدم تفككها فشرع حلولاً عملية يستهدي بها كل من الزوج والزوجة في حالة استفحال الخلاف والشقاق بينهما، بل لقد أعطى الزوجين حلولاً تدريجية تبدأ من وعظ كل منهما للآخر، وأن يهجره و يؤدبه (وهذا ما يفعله الزوج في حالة الخلاف حرصاً على بقاء عشرة الزوجية وحفظ كيان الأسرة سليماً) أما الدرجة الثانية إذا اشتد الخلاف بينهما فيختار كل منهما حكماً لحلِّ المشكلات الناشئة بينهما ولقد أمر الله سبحانه وتعالى الزوجين بالصبر حتى مع الكراهية: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

أما إذا استمرَّ النزاع بين الزوجين على الرغم من المحاولات السابقة، فيكون الموقف أمام أمرين أحدهما استمرار الحياة الزوجية مع وجود الشقاق والخلاف وسوء التفاهم أو انفصال يجد فيه كل من الزوجين راحته. وهذه

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

الفرقة التي تكون آخر المطاف بين الزوجين هي العلاج الأخير حين يستعصى كل علاج.

لقد أصبح الطلاق عند بعض الناس كاللبانة يلوكها بين أضراسه يلفظها متى شاء دون مبالاة ومراعاة، فإن وجد السكر قليلاً في الشاي ... طلق.

وإن وجد الملح قليلاً في الطعام ... طلق زوجتهُ.

وإن وجد أمرأةً جميلةُ أجمل من زوجته ... طلق زوجتهُ.

بل إذا طرق الباب أحدٌ خرج إليه وحلف عليه بالطلاق إلا أن يدخل، بل جعل بعضهم من الطلاق سلاحا يشهره في وجه المرأة لتفعل له مايشاء فيقول لها: إن فعلت كذا فأنت طالق، وإن خرجت إِلَى كذا وكذا فأنت طالق.

ومن هنا يحسن بالمسلم أن يتعلم شيئا من أحكام الطلاق حتى لايقع فيما وقع فيه غيره، فإن الشارع المقدس بين للناس الطريق الصحيح لأتخاذه قبل الطلاق.

ولذلك فإنَّ محورَ الحديث عن الطلاق سيكون متى نطلق؟.

والجواب: قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ

عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[2].

وهنا مراتب أربعة ينبغي للمسلم ألا يلجأ إِلَى الطلاق إلا بعد إستنفاد هذه المراتب الأربعة فلربما وجد الحل في واحدة من هذه النقاط أو هذه المراحل فلا يحتاج عندها إِلَى الطلاق ولعلنا نبدا بالحل الأول وهو:

١- موعظة الزوجة .لقوله تعالى ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾[3]، والموعظة تكون ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية .قد يقول قائل: أنا لاأعرف ولاأجيد أن أَعِظَ الزوجة، فنقول أن هذا لايمنع أن تعطيها كتاباً يبين ذلك أو شريطا يحصل به المقصود.

جاء معنى الوعظ بشكلٍ مطلقٍ وغير محددٍ وغير مقيد، والوعظ بطبيعته يعتمد الأسلوب المؤثّر، الدقيق و الرقيق والعميق. أول واجبات الزوج القيّوم، والحرص على سلامة زوجته من كلِّ أذى محتمل مادي ومعنوي، كبير وصغير، بحيث يستخدم أفضل الأساليب التي تؤثر في نفس زوجته،وهو أعرف بها،وكل امرأة (زوجة) لها أُسلوبٌ مؤثرٌ معيّنٌ في الوعظ، ينبغي أن يحيط بها الزوج، تخضع بين الترغيب أولاً، والترهيب آخراً..

والوعظُ الجميلُ يجلي الغفلة، ويزيلُ الحواجزَ النفسية، ويهيئ الأجواء الصافية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤-٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3].

وعن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ». وعن الإمام علي (عليه السلام): «من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ،ولم تنفعه المواعظ».

٢- فإن لم يُجْد الوعظ فينتقل إِلَى الحل الثاني: وهو الهجر لقوله تعالى ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾[4].والهجر علاج لمثل هذه المشاكل، ولكنه مقيد بأن يكون في المضجع وكما قال عليه الصلاة والسلام «ولاتهجر إلا في البيت».

ولذلك يقول العلماء: إن هجر المرأة في البيت والمضجع أشد وقعا في قلبها وأعظم تأثيرا عليها وذلك أن بقاء الزوج معها مع هجره لها يجعلها تشعر بأن أنوثتها لم تؤثر في الزوج مع قربه منها، وأيضاً للهجر في المضجع فائدة أخرى وهي: أن امكانية إعادة المياه إِلَى مجاريها أكبر مما لو هجر الزوج خارج البيت إذ أن من الممكن أن يفتتح الحوار بينهما عندما يطول

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

السكوت ويبدأ النقاش فتوجد الحلول وربما بعض التنازلات وبهذا تصفوا النفوس وتنتهي المشاكل.

ثم بعد ذلك ننتقل إِلَى الحل الثالث وهو:

٣- الضرب إذا تعذر الإنتفاع بالهجرلقوله تعالى ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾، لكن المصيبة أن بعض الأزواج لايجيد إلا هذا الفن من العلاج، فلا يلجأ لعلاج أي مشكلة إلا بهذه الطريقة، وهذا جهل عظيم، بل إن البعض لايستعرض عضلاته وقوته إلا على الزوجة.

بل أن البعض من الأزواج يستخدم في ذلك أدوات للتأديب فتاكة كالعقال والعجرة وماشابهها.

والذي ينبغي أن يعلم أن الضرب لم يجعل علاجاً أوليا بل إنه يأتي في المرحلة الثالثة، بل قال بعض أهل العلم: إذا إحتاج الزوج إِلَى الضرب فليكن بالسواك؛ أو يستخدم الوسائل الأنسب في الردع دون الاندفاع إِلَى أساليب العنف، لأن الغرض من التربية والتأديب لا الإنتقام والتشفي، وهذا أمر يجهله كثيرٌ من الناس.

فإذا لم تنفع هذه الحلول السابقة فينتقل إِلَى الحل الرابع وهو:

٤- التحكيم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا﴾[1]، وهو أن يؤتى برجلين مكلفين عدلين عاقلين يعرفان مابينهما لمحاولة لم الشمل، ورأب الصدع وإيجاد الحلول المناسبة.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

وأنتبه لقوله تعالى: ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾[1].

يفيد ان الشق الواحد لا يمكن ان يحصل إلا اذا كان في جسم واحد، ذو نفس واحدة، ثم ينشق شقين، ومعنى ذلك أنَّ العلاقة الزوجية المتكافئة من نفس واحدة قد تصاب بآفات مَرَضيّة خطيرة، تؤثر على وحدة النفس، فتشقها شقين. فعلى الانسان أن يحذر من الآفات والأمراض والخلافات والنزاعات الزوجية، فانها المدمرة للرابطة الزوجية.

وعلاجُ نشوز الزوجة، هو: (الضربُ الخفيفُ والمخيفُ، الذي فيه دواء لا اعتداء)، لعلّنا لا نصل إِلَى المحاكم، وتعقيداتها وملابساتها، ومن أجل أن لا نصل إِلَى الطلاق، وهو آخر الحلول المرّة، باعتباره أبغض الحلال إِلَى الله تعالى.

ومن الضروري استخدام هذا الترتيب في التأديب، كقرينة عقلية ونقلية.

والذي لم تصلحها الموعظة، والكلام الجميل، والإسلوب اللطيف الهادئ، فلا تفقه لغة الكلام.

والذي لم يصلحها الموعظة البالغة، والهجر في المضاجع،فماذا يصلحها؟

معنى ذلك: إنّ بلوغَ النشوز درجةٌ قاسيةٌ وعاليةٌ (النشوز المستعصي) عدئذ لا ينفع معه الكلام الناعم، ولا الأسلوب الأخلاقي الشفاف.

ربما ينفع مع هذا النشوز المستعصي، أُسلوبُ القوة المعتدلة، والعنف الموزون، من أجل التأديب والترهيب، والشدة الرادعة، ولكن لم يطلق

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥ .

الإسلام العنان لهذا الإسلوب الأخير، وإنما قيده ان لا يكون الضرب قاسياً، ولا معتدياً، ولا ظالماً، ولا مبرحاً، ولا تعذيباً، للانتقام والتشفّي، ولا يبلغ الكسر والجرح، ولا الضرب البالغ حدَّ السواد، ولا للإهانة والإذلال والتحقير، ولا للإرغام على معيشة لا ترضاها، ولا أسلوب عنيف ومخيف يؤذيها.

٥- المعروف في المعاشرة : تبقى جميع الحلول تعتمد القاعدة القرآنية العامة، في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١]. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٢].

والنشوز له حدود، يشمل كل عصيان ناتج عن ترفّع واستكبار، وفيه تخلي عن واجب لله ولزوجها وأولادها وللناس...

٦- القرار الأخير: فإن تعذر مع هذا كله استمرار الحياة الزوجية إلا على وجه المعاداة والمقاطعة ومعصية الله وليس من التفريق بدٌ وأنه الأصلح لهما فُرق بينهما، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[٣]، وهذا هو الحلّ الأخير مع تعذر سير عجلة الحياة الزوجية الذي طالما لجأ إليه كثير من الناس اليوم متجاهلين بذلك الحلول الأربعة والتي قفزوها إلَى هذا الأمر دون مراعاة لما يحصل من جراء هذا التصرف الذي قد يكون نتيجة لأمر أو سبب تافه فكم بسببه

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

تفككت أسر وتقطعت رحم وضاع أولاد وبنات بين أب قد تزوج امرأة أخرى لاترحمهم وبين أم قد تزوجت من رجل يبغضهم فصارت حياتهم جحيما لايطاق وفاتورة باهظة دفع ثمنها أطفال أبرياء نتيجة تهور أب متسلط أو غضب زوج متعجل.

أهم أسباب ظاهرة الطلاق:

١- البعد عن الدين: فكثير من الأزواج لايلتزم عند اختيار شريك حياته بالضوابط التي حثنا عليها القران الكريم ورسول الله وأهل بيته(عليهم السلام) فقد اشترط الإسلام مصاحبة الدين في كلا الطرفين على أن يكون هذا الدين عند الرجل مرضياً، لا أي دين كان، ثم اشترط الأمانة، وهي مظهر الدين كله بجميع حسناته، وأيسرها أن يكون الرجل للمرأة أميناً على عرضها وعلى كرامتها وفي معاشرتها فلا يبخسها حقها، ولا يسيء إليها، ولا يعنتها، لأن ذلك كله في أمانته، بل إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يبخسها حقها.

وهي أمينة على ماله وعياله وسره وعلى نفسها وعفتها.

ومن هنا كان التوجيه القرآني: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[1].

فالاختيار الصحيح هو الذي يقوم على أساس الدين والأمانة والخلق، و المفروض ألا يأتي الزوج أى من عرض الدنيا مالا كان أو جمالاً أو حسباً على حساب الدين، لأن كل ذلك عرضة للزوال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

فإذا تزوج الرجل المرأة لمحض الجمال ثم عرض لهذا الجمال ما يشوهه أو تغيرت نظرته إِلَى الجمال، وهو أمر نسبي فما تراه جميلا اليوم قد لا تراه جميلا غدا أو قد ترى ما هو أجمل منه، فكيف يكون الأمر حينذاك؟ ومن تزوج على أساس المال، وتقلبت الأيام ونفد المال، أو تزوج لطمع لم يدرك، فكيف يكون حال هذا الزواج ومآله؟

أما الرابط الحقيقي والمعدن النفيس الذي لا يصدأ أبداً ولا يتحول بتحول الأيام فهو الإيمان الحقيقي والدين الصحيح والخلق المنبثق من وحي الإسلام وتعاليمه.

فلو أن كل واحد من الزوجين عرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات تعاليم ديننا لعاش الجميع حياة آمنة مستقرة لا تعرف القلق والاضطراب، ولا تقف على حافه الهاوية متراقبة أو متفادية هذا الكابوس المزعج الذي يدمر أمن الأسر واستقرارها.

٢- غياب الدور التوجيهي للآباء والأمهات: يظن بعض الآباء والأمهات أن دوره التربوي أو التوجيهي ينتهي بزواج ابنه أو ابنته، ناهيك عن بعض التوجيهات الخاطئة التي تهدم أو تدمر، وتحرض أحد الطرفين على مشاكسة الآخر، خلافاً لما أمرنا به ديننا من توجيه النصح وفق منهج الإسلام وشرعته، وقد كان سلفنا الصالح والعقلاء من أمتنا إذا زفوا امرأة إِلَى زوجها أمروها برعايته وحسن القيام بحقه وتعهدوها بالنصح والرعاية، وأوصوها دائماً بالحفاظ على استقرار أسرتها، فهذا جعفر بن أبي طالب

يوصى ابنته قائلا: «إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتاب فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الماء».

وهذه امرأة جاهلية لكنها عاقلة إنها أمامة بنت الحارث توصى ابنتها فتقول: أيّ بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجتِ إِلَى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فأصبح بملكة عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

واحفظى له خصالاً عشراً، يكن لك ذخرا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

واما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

فليت الآباء والأمهات يدركون أن مسؤوليتهم تجاه (أبنائهم لا تقف عند حدّ معين، فيقومون بما ينبغي القيام به، من أجل المحافظة على استقرار حياة أبنائهم، والحيلولة دون تشرد أحفادهم، وبين زوجة أب أو زوج أم، أو ما هو أخطر من ذلك العقد النفسية المدمرة التي تصيب الأولاد في حالات الشقاق والخلافات، وتجعل حياة آبائهم وأمهاتهم نموذجاً سيئاً للحياة الزوجية أو الأسرية.

٣- وسائل الإعلام: فالإعلام المرئي ينقل في كثير من الأحوال صوراً خيالية غير واقعية للحياة الزوجية، فالزوجُ شابٌ وسيم أنيق مترفُ مغداقٌ للهدايا بمناسبة وبلا مناسبة، والزوجة جميلة حسناء جذابة متفرغة للعواطف والحفلات والنوادى هي وزوجها، وكأن هذه المرأة لا تعرف حملاً ولا وضعاً ولا رضاعاً ولا تربية أبناء ولا ترتيب شؤون المنزل، فهي فقط للشهوة واللذة فترسم صورة حالمة واهمة للحياة الزوجية من خلال هذه المشاهد الخيالية أو الهلامية، وسرعان ما يصطدم الخيال بالواقع، فلا يصمد الواقع أمام الخيال، ويخر السقف على رؤوس حامليه، ومن ثم نوجه نداءً للحريصين على أمن واستقرار هذا المجتمع أن يتقوا الله فيه، وفي شبابنا خاصة، فينزلوا إِلَى أرض الواقع بعيداً عن الخيالات والأوهام وأن يعملوا على تنقية وسائل الإعلام من كل ما يضر بأمن المجتمع وسلامته ويتنافى مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا العربية

الإسلامية، بعيداً عن المظاهر الزائفة، والمجون والخلاعة التي ينبذها الدين والعرف والعقل السليم، موكدين أن شباباً خليعاً لا يحمى وطناً، ولا يدافع عن أمة، ولله در حافظ.

نهيب بالآباء والأمهات أن يحسنوا مراقبة أبنائهم وتوجيههم إِلَى متابعة الإعلام الهادف النافع المتسق مع تعاليم الإسلام، والبعد عن كل ما يخالف الدين أو يسهم في إفساد الفطرة والطبع السليم.

٤- الأزمات الاقتصادية الطاحنة: لا يستطيع أحد أن ينكر أن الأزمات الاقتصادية لها دور كبير في الشقاق الأسري الذي يصل ببعض الأسر إِلَى الطلاق، حيث لا تقف متطلبات بعض النساء عند حد، وتدعو المباهاة والمظاهر الكاذبة بعضهن إِلَى إجهاد الزواج بما لا قبل ولا طاقة له به، ومن ثم علينا أن نرشد هولاء إِلَى السيرة العطرة لنبينا محمد وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وذريتها (عليهم السلام) ولأمهات المؤمنين، والصحابيات، والتابعيات، وتابعاتهن، وسائر النماذج الصالحة من نساء أمتنا الإسلامية، كيف كن يصبرن على خشونة الحياة وتحمل المسؤولية مع أزواجهن في السراء والضراء في الحضر والسفر.

آثار ظاهرة الطلاق:

١- على المرأة: تعاني الزوجة من ضغط نفسي قوي بعد الانفصال نتيجة ظروف الطلاق، وبسبب وجود أبناء، حيث تتحول المطلقة لعائل وحيد، فضلاً عن موقف أسرتها من عملية الطلاق، حيث تخضع في المجتمعات الشرقية لرقابة اجتماعية ظالمة وخاصة من والديها وأخواتها

وأقربائها، وكذلك سنها فإذا كانت فوق سن الأربعين يصعب زواجها مرة أخرى.

وتعانى المطلقة من نظرة المجتمع إليها، حيث يلقى عليها اللوم في فشل العلاقة الزوجية، فتلاحقهما التهم والهمسات الظالمة والنظرات المملوءة بالشك والريبة، وتكون (محاصرة) من الرجال أو النساء اللواتى يخشيَن على أزواجهن منها.

٢- على الرجل: ليس من شك أن الآثار المدمرة للطلاق لا تقتصر فقط على المرأة، وإنما تشمل الرجل أيضاً، حيث يعاني كثيراً منه شأنه شأن المرأة، فهو يشعر بالخيبة لفقدان دوره كأب وزوج، ويصدم نتيجة شعوره بالمسؤولية نتيجة انهيار العائلة، إضافة إِلَى عدم السماح له قانوناً بحضانة الأولاد في معظم الأوقات إلا في سن متأخرة للأبناء.

٣- على الأطفال: أن الأطفال هم المتضررون من انهيار العلاقات الزوجية، حيث يؤثر سلباً على عملية تنشئتهم النفسية والاجتماعية وفي بناء الشخصية السوية، ويفقدون الشعور بالأمان، ولا يحصلون على حاجاتهم الطبيعية من الشعور بالراحة والاستقرار والطمأنينة التي هي عصب عملية التنشئة النفسية والاجتماعية للطفل، كما يفقد المثل الأعلى.

٤- على المجتمع: لخص علماء الاجتماع الآثار الخطيرة الناجمة عن انهيار العلاقات الزوجية في عدد من المخاطر، لعل أبرزها خروج جيلٍ حاقدٍ على المجتمع، بسبب فقدان الرعاية الواجبة له، وتزايد أعداد المشردين، واستغلال بعض المطلقات من بعض ضعفاء النفس من اجل دوافع

شيطانية، وانتشار جرائم السرقة والاحتيال والنصب والرذيلة، وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع فضلاً عن تفككه.

ويضيف هؤلاء العلماء إِلَى قائمة الآثار المدمرة للتفكك الأسرى على المجتمع، انتشار ظاهرة عدم الشعور بالمسؤولية، فضلاً عما يصيب القيم الأخلاقية والأعراف الاجتماعية السائدة فيه من مظاهر التردى والانحطاط، نتيجة عدم احترام تلك القيم والأعراف والتقيد بها كضوابط اجتماعية تنظم حياة المجتمع وتضبط سلوك أفراده وجماعاته.

عدم تعليم الزوجة

من الحقوق المهمة جدّاً للزوجة على الزوج تعليمها فرائض دينها من غسل ووضوء وصلاة وصوم غيرهما كالكفارات حين الحاجة إِلَى معرفة أحكامها، وهذا الواجب كثيراً ما يغفل الناس عنه فيقصرون حقوق الزوجة على الماديات فقط دون المعنويات والدينيات مع أن هذه الأخيرة أهم.

وهنا تكمن مشكلة أخرى وهي أن بعض الأزواج لا يدرك ولا يعلم هو بنفسه أحكام الدين الواجبة عليه ففي هذه الحالة يجب عليه التعلم ليعلم نفسه أولا ولكي يستطيع تعليم زوجته، كما يجب عليه أن يسأل العلماء ويستفتي لزوجته إذا أشكل عليهما شيء، وإن لم يقم بواجب التعليم والسؤال فلا يجوز له بحال أن يمنع زوجته أن تتعلم فرائض دينها بسؤال العلماء أو حضور دروس العلم وبتطور وسائل التعليم اليوم أصبح التعلم وسؤال أهل الذكر أسهل بكثير من ذي قبل.

المعلمات والمدرسات

فلا تأمريهم بالاحترام والرحمة وأنت غير ذلك، ولا تأمريهم بعدم ارتداء الضيق وأنت ترتدينه، ولا توجيههم إِلَى ترك سماع الموسيقى والأغاني وأنت مولعةٌ بها، وهم يعرفون ذلك يستدلون بذلك أيضا على سلوكك وكلامك ولا توجيههم إِلَى عدم الذهاب إِلَى الأعراس والحفلات وهم يعرفون إنك. تقولي مالا تفعلي! ويعرفون إنّك ترقصين على الأغاني في حفلات الزفاف!

ولا تأمريهم بالاحتشام والحياء وحسن الحجاب وهم يرونك في خروجك ودخولك لست في الحياء والاحتشام من شيء، وحجابك لا يليق بالمرأة المسلمة الملتزمة وكيف لامرأة بدون حياء أن تزرع الخلق الفاضل في أطفال اليوم ورجال ونساء الغد. هذا لا يمكن..!!

اربطي بين الدين وبين العلوم الأخرى، واربطي بين واقع المسلمين الآن وبين حال المسلمين في الماضي. ادفعيهم إِلَى المعالي والمكارم والفضائل صغارهم وكبارهم، ولا تتحدثي في دروسك وشرحك عن عظمة الغرب والحضارة الغربية، وعن قيمة الثقافة الغربية. لا ترفيعها في أعين تلميذاتك وتجعليها في أعلى المراكز لا تجعليها في أعينهم أفضل من حضارة الإسلام والمسلمين فلا تحجبي فضائل المسلمين الأوائل.

صحيح أن الغرب تقدموا من الناحية الحضارية ولهم شأن في التطور التكنولوجي لكنهم في إنهيار وإفلاس أخلاقي!!

وحالهم وحال الأمراض الفتاكة يشهد بذلك، إنك راعية ومسؤولة عن رعيتك فاتقي الله فيهن وفقك الله وكوني من الذين يعلمون الناس الخير.

الاختلاط والإثارة

خلق الله تعالى كُلاً من الذكر والأنثى وجعلَ لهما من الخصائص والمميزات ما تتحقق به عمارة الأرض وتحقق المصالح للناس، وأوجب الله تعالى في شرائع الأنبياء كافة ما ينظم العلاقة بين الجنسين، ومنعهم من كل ما يهدم كيانهم الإنساني أو يخدش مسلكهم الأخلاقي.

ولأجل هذا كشف الله تعالى أهداف المبطلين ليكون الناس على حذر منهم فقال سبحانه: ﴿وَاللّهُ يرُيِدُ أَن يتَُوبَ عَلَيْكُمْ وَيرُيِدُ الَّذِينَ يتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾[1].

كما توعد سبحانه من سلكوا مسالك الفاحشة ومقدماتها فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن جملة ما عُنيت به الشرائع السماوية: تنظيم العلاقات بين الرجال والنساء، ومنه: ضبط قنوات التواصل بينهما ومن ذلك ما يتعلق بالخلوة، وهو انفراد الرجل بالمرأة الأجنبية عنه في مكان مغلق أو بعيد عن الأنظار، وذلك الاختلاط بين النساء والرجال الأجانب عنهن. و وضع الطيب أو

(١) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النور، الآية: ١٩.

العطر أو البخور الذي يشمه الرجال الأَجانب عند خروج النساء واخلاطهن بين الرجال الاجانب انحراف، لان هذا الأَمر لايخلو من إثارة، روي عن الإمام علي الرضا (عليه السلام) أنه قال: «حُرم النظر إِلَى شعور النساء المحجوبات بالأزواج وغيرهن من النساء لما فيه من تهييج الرجال، وما يدعو التهييج إِلَى الفساد والدخول فيما لا يحل ولا يجمل، وكذلك ما أشبه الشعور..» [1].

ركوب المرأة مع السائق الأجنبي (غير المحرم) والخلوة معه وعدم التحجب عنه وكأنه من محارمها، وما أكثر الحالات التي ترد إِلَى المحاكم حيث نجد فيها الأخ أو ابن العم أو الصديق قد خان أخاه أو ابن عمه أو صديقه في زوجته بسبب عدم مراعاة الستر الشرعي بين الزوجة وبينهم.

ومن المشاكل كثرة الخروج من البيت والذهاب إِلَى الأسواق، والله تعال يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[2].

الاختلاط بالرجال الأجانب من أقارب المرأة أو أقارب الزوج أو غيرهم، والتساهل بالمزاح معهم ومصافحتهم، وإظهار الزينة أمامهم، وعدم التستر عندهم وقد روي عن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت من بيتها فهي تُلعن حتى ترجع إِلَى بيتها، متى رجعت»[3].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار؛ ج١،ص٣٤، ح٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج١٠٣، ص٢٤٧.

تساهلُ بعض النساء في العلاج عند الأطباء وكشف ما لا يجوز بغير ضرورة قصوى لذلك.

سفر المرأة بدون محرم في أمور يجب فيها المحرم معها وغيرهما، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «دخلت أنا وفاطمة على رسول الله فوجدته يبكي بكاء شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله، ما الذي أبكاك ؟ فقال: يا علي، ليلة أسري بي إِلَى السماء رأيت نساء من نساء أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن: رأيت امرأةً معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شد رجلاها إِلَى يديها وقد سُلط عليها الحيات والعقارب، ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوتٍ من نار ويخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص، ورأيتُ امرأة معلقة برجليها في تنورٍ من نارٍ، ورأيت امرأة يقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار..

فقالت فاطمة : حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟

فقال: يا بنيتي، أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين

بدنها للناس، وأما التي شدَّ يداها إِلَى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت قذرة الوضوء وقذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي كانت يقرض لحمها بالمقاريض، فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال...»[1].

وعلاوة على ما ذُكر من أصناف العذاب في الحديث السابق فإن الخلود في جهنم هو الجزاء الذي ينتظر المرأة التي يكون وصف حالها كما في الخبر التالي، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «يظهر في آخر الزمان وعند اقتراب الساعة، وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات، من الدين خارجات، في الفتن داخلات، مائلات إِلَى الشهوات، مسرعات إِلَى اللذات، مستحلات المحرمات، في جهنم خالدات»[2].

الاختلاط في التعليم الجامعي

نعني بالاختلاط، اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الاشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد، والغاية من منع الاختلاط لتجنّب تعريض الجنسين للفتنة، والحفاظ عليهما من أن يقعا في الفحشاء والمنكر.

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار؛ ج١٠٣، ص٢٤٥، ح٢٥.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة؛ ج٢٠، ص٣٥، ح٢٤٩٦١.

وفي مرحلة التعليم الجامعي يكون النضج والبلوغ لدى الجنسين قد حصل، بل يكون في أوج الشدّة، فتكون المفسدة، ففي سن المراهقة، وتحت مظلّة الاختلاط، ينطلق الطلاب من كلا الجنسين إِلَى تبادل النظرات المسمومة والكلمات الداعية إِلَى الفجور، ونحن نشاهد النتائج الخطيرة لهذا الاختلاط في هذه المرحلة والمفاسد التي عمّت، مما وضع العالم أمام مشاكل أخلاقية واجتماعية خطيرة يكاد يستعصي حلها، وأمراض فتاكة استعصى على الطب علاجها.

إنّ الإسلام حريص على منع حدوث الاختلاط بين الجنسين، لما في ذلك من أضرار اجتماعية وأخلاقية، فالإسلام عالج الأمر قبل أن يقع، وأوجد البيئة الصالحة. فالاختلاط يؤدي إِلَى العمليات النفسية الثلاث التالية: الإدراك والوجدان والنزوع. ففي الاختلاط يتعرف كل جنس على الجنس الآخر ويدرك المفاهيم والمفاتن ثم يحدث عند كلا الجنسين الوجدان أي الأثر النفسي والأشواق والميول، فإما يكبت هذه المشاعر وهذا ضرر وإما أن تتحقق العملية الثالثة وهي النزوع أو الفعل وهذا أيضاً ضرر؛ وإباحة الاختلاط يتنافى مع الحكمة، ولو كان الاختلاط مباحاً، لما أمر الله بمنع دخول بيوت النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) بدون إذن، أو سؤال نسائه بدون حجاب.

كما وأمر الباري عزّ وجل عباده بغض النظر وحفظ الفرج، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

فُـرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْـدِينَ زِينَـتَهُنَّ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَلْيَـضْرِبْنَ بِخُمُـرِهِنَّ عَلَـى جُيُوبِهِنَّ﴾[1]. ومعلوم أنّ الاختلاط في التعليم، وفي ميادين العمل، فيه مظنّة كبيرة للوقوع في هذه المحرّمات.

فلا غرابة في الأمر، ونحن نعلم أن من آداب التربية الإسلامية التي لا ينبغي تجاوزها، الفصل في التعليم بين البنين والبنات عملاً بعموم الأحاديث والوقائع التي فصل فيها الرسول (صّلى الله عليه وآله وسلم) النساء عن الرجال في المجالات العامة كالمساجد.

كما أنه كان للنساء مجلس يجلس إليهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيعلمهن أمور دينهن، ففي الأثر الشريف: قالت النساء للنبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً يعظهن فيه.

ويرى بعض القائمين على أمور التعليم، أنّ من بين الأسباب التي حكمت هذه الوضع التعليمي، كانت اقتصادية، فإمكانيات البلد المادية لا تسمح بفتح جامعات للبنات وأخرى للذكور. ولكن نقول: لو جمعنا طالبات الجامعات الأربع، ألا يملأن جامعة كاملة، بل أكثر، بنفس الأدوات والكوادر الفنية والتدريسية والتدريبية؟! وقد تكون الأسباب سياسية!

وقد تكون الأسباب هي تقليد وتبعية للغرب في أساليبهم وأنماط حياتهم، ولكننا نعلم أن ما يصلح لهم لا يصلح لنا، ولا يناسبنا، للتباين الكبير بيننا وبينهم من حيث: الناحية العقدية، والاجتماعية والبيئة

(١) سورة النور، الآية: ٣٠-٣١.

المكانية.. الخ. ومع هذا نسمع دعوات كبار المربين في الغرب والشرق من حين إِلَى آخر وحثهم المسؤولين أن يفصلوا بين الذكور والإناث في كل مجالات الحياة، لما لمسوا من فساد خلقي واجتماعي نتيجة هذا الاختلاط.

ولا شك في أن لهذا الاختلاط آثاره ونتائجه السلبية على الجنسين، وفيما يلي أبرز المشكلات التي تترتب على الاختلاط:

١- مشكلاتُ نفسية: حيث القلق والاضطراب والخوف من الجنس الآخر نتيجة ما يلاحظ من تصرفات غير مرغوب فيها، بالإضافة إِلَى أن هذه المشاهدات التي هي آثار للاختلاط، تؤذي مشاعر عموم الطلبه.

كما وأنّه لابد من وجود الفروق الطبقية بين طلبة الجامعة التي تلاحظ في مظهرهم ونفقاتهم وتصرفاتهم، وبالتالي فإن هذا يؤذي مشاعر الطلبة الفقراء الذين لا تسمح لهم ظروفهم المادية بمجاراة زملائهم أبناء الأغنياء، في لباسهم ونفقاتهم، فالطالبةُ الفقيرة تشعر دائماً بالخجل وتحاول أن تبتعد عن الجميع لأنها لا تستطيع أن تظهر أمام الآخرين كما تظهر الطالبة الغنية الموسرة وكذلك الطالب، ويترتب على هذا الحقد والكراهية والحسد بين أبناء هذه الطبقات.

أما لو كان المجتمع التعليمي ذكوراً فقط، أو إناثاً فقط، فإنه مهما كانت الفروق الطبقية كبيرة فلن يكون لها نفس التأثير النفسي السيئ على نفسيّة الطالب أو الطالبة الفقيرين.

٢- إثارةُ الفتنة.

٣- التصنع في التصرفات من قِبل الجنسين.

٤- تعرض الفتيات لمضايقات الشباب.

٥- ضعف الوازع الديني بسبب تعوّد الطلبة على الممارسات الخاطئة واستباحة المنكرات لكثرة تكرارها.

ومن هذه الممارسات عدم غض البصر من الطرفين، وهو مخالف لما أمر الله تعالى به، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1]. ومعنى غض البصر الذي أمر الله به، صرفه عن نظر ما هو وسيلة الفتنة والوقوع في الفساد، ومن ذا يجمع بين الطلاب والطالبات في مكان واحد وعلى مقاعد متجاورة، وينتظر منهم أن يصرفوا أبصارهم عن النظر ولا يتبعوا النظرة بنظرات؟ وهل يستطيع أحدٌ أن يقول: إن أولئك الطلاب والطالبات يحتفظون بأدب غض أبصارهم من حين الالتقاء بين جدران الجامعة إِلَى أن ينفضوا منها، والشريعة الإسلامية التي تأمر بغض البصر، تنهى أولي الأمر عن تصرف من شأنه أن يدفع الطلاب والطالبات إِلَى عواقب وخيمة ناتجة عن نظرات مغرضة سببها الاختلاط المحرم.

وبعد هذا كيف تكون نتائج الاختلاط بين الطلاب والطالبات إذا كان جلوسهم جنباً إِلَى جنب على مقاعد الدراسة، مع التبرج وإظهار المحاسن، والنظرات المحرمة، والأحاديث التي تجر إِلَى الفتنة؟!

٦- انتشار ظاهرة السفور، بسبب تبرج الطالبات ولباسهن المخالف للزي الإسلامي، فطالبات الجامعة اللاتي يرحن ويرجعن بين البيت والجامعة

---

(١) سورة ، الآية: .

سافرات متبرجات يلبسن ثياب رقيقة قصيرة، لا شك أنهن شرّ مستطير على أنفسهن وعلى من ينظرون إليهن، وحرب على العلم ومكارم الأخلاق. إنّ الإسلام لم يحرّم على المرأة التعليم، ولكنه بالمقابل لا يبيح للطالبة أن تأتي لمؤسسات التعليم سافرةً متبرجةً، لأن مثل هذه الأماكن لها احترامها وقدسيتها، لأنّها منار العلم، ولذلك يطلقون على المنطقة داخل حدود الجامعة (الحرم الجامعي)، والزينة والتبرج تغري الكثير من الطلاب والطالبات، وهي حرام لما يترتب عليها من الأضرار الخُلقية والاجتماعية. قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء﴾[1]. والزينة: ما يتزين به عادة من نحو: الملابس الجميلة والحُلي نحو القرط والقلادة والخاتم، وما تتزين به النساء عادة في رؤوسهن ووجوههن وسائر أعضاء أجسادهن كالأصباغ من نحو الكحل والخضاب، وغيره. وما ظهر من الزينة: هو الثوب الذي يستر الجسد حتى لا يظهر ما تحته.

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

ولقد حرّم القرآن الكريم على المرأة إظهار زينتها الخفية. قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1]. واستثنى طائفة من الناس تكثر مداخلتهم عليها، فيكون في التزامها الستر الذي تلتزمه مع الأجنبي مشقة عليها، فأذن لها في إظهار زينتها عليهم، ثم إنَّ توقع الفساد منهم شأنه أن يكون معدوماً أو نادراً، إما لشدة القرابة، كالأب والابن والأخ وابن الأخ، وابن الأخت، وإما لأن شأنهم الغيرة على حفظ عرض المرأة.

والغالبية من طالبات الجامعة لا يلتزمن أوامر الله، فلا يضربن بخمرهن على جيوبهن، ويأتين في أجمل ثيابهن، ويختلطن بطلاب ليس بينهم وبينهن من الصلات المشار إليها في الآية الكريمة، ولذلك وجب التفريق بين الطلاب والطالبات، واختيار المعلمات الصالحات لتعليم البنات، وتقويم أخلاقهن، وإعدادهن إعداداً سليماً.

٧- انتشار الجرائم الأخلاقية مثل الزنا: فإن كثرة المخالطة مع وجود عوامل الفتنة تؤدي إِلَى ارتكاب الفاحشة، إلا أننا إذا قارنّا نسبة حدوث هذه الجريمة في جامعاتنا، قياسا بالجامعات الأوروبية والأمريكية، فإننا نجد أنها لا تكاد تُذكر، والسبب وجود الضوابط والقيم التي تمنع الشاب والفتاة في بلادنا من هذه الممارسات الأخلاقية المحرمة. ولذلك تعالت صيحاتهم في الغرب مطالبة بإلغاء الاختلاط والفصل بين الجنسين، لكثرة انتشار هذه الجريمة، وغيرها من المفاسد في مدارسهم وجامعاتهم بسب استهتار الشباب والفتيات.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

٨- فساد الأخلاق عند الطرفين: سببهُا المبالغة في التبرج والسفور عند الفتيات، والتصنع من قِبل الطرفين، وضعف الوازع الديني. فالاختلاط له أثر كبير في تربية الشباب على الاستهانة بالقيم الأخلاقية، فالشباب عماد الأمة، وإذا رُبي على الرجولة والشهامة ومكارم الأخلاق وعلى التضحية والفداء، كان ذخراً لها في تربيته للأجيال القادمة، وكان حارساً أميناً لا يُؤتين الشرّ من قِبلة، وإذا رُبي على الترف والميوعة، والإغراق في الشهوات، خيّب أمل أمته وفرط في حقها، ولذا كان من أهداف المستعمر إضعاف أخلاق الشعوب التي يود استعمارها وإشغالهم عن قضاياهم القومية ليتمكن من السيطرة عليهم. إنّ الإسلام حريصٌ على جلب المصالح ودرء المفاسد وإغلاق الأبواب المؤدية إليها، ولا شك في أن الاختلاط يؤدي إلَى جلب المفاسد.

علاج مشكلة الاختلاط

١- الفصل في أماكن التعليم: الفصل في أماكن التعليم، بحيث يكون للطالبات جامعات، أو كليات منفصلة تماماً عن الذكور، وإذا لم يمكن ذلك يجعل الطالبات في صفوف خلفية منفصلة تماماً عن صفوف الطلبة وجعل مدخل تدريسهن مختلفاً عن مدخل تدريس الطلاب في قاعات الدرس الواحد، وكذلك جعل المدرس يدرسهن من وراء حجاب إذا كان المدرس ذكراً، أو على شاشة تلفزيونية إن أمكن ذلك، وإلا فلا يُسمح بتدريسهن إلا لمن كان ثقة مأمون الجانب وعند الضرورة فقط.

٢- منع الخلوة بين الطلاب والطالبات: منع الخلوة بين الطلاب والطالبات، وبين المدرسين والطالبات؛ ضرورة شرعية وأخلاقية، لأنه يحْرم اختلاء الرجل بامرأة أجنبية. وقال بعض العلماء: يحرم على الرجل الأجنبي أو الرجال الأجانب الخلوة بامرأة واحدة أجنبية ولو في إقراء القرآن ولو لمصلحة التعليم والتأديب . فكم من نظرة جرّت إِلَى الزنا، وكم من بسمة جرت إِلَى هلاك، وكم من موعد أدى إِلَى هتك الأعراض بدون حياء.

٣- المناقشة العلمية الهادفة عند الضرورة: يجب أن تكون المناقشات العلمية بين الطالبات والأساتذة إذا اقتضتها الحاجة والضرورة بحشمة وتحفظ، لما في ذلك من منع للفتنة والفساد، ولأن مفاوضة المرأة الأجنبية عند الضرورة لا تقدح في الدين عند أمن الفتنة، وهذا يشمل المناقشة العلمية والأسئلة التي تدعو لها الحاجة.

الأَبُ الناجحَ في التربية

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

هو مطلب الآباء جميعاً ومرتجاهم وحلمهم في تربية أولادهم أن يصيروا آباءً ناجحين، فيحسنون تربية أولادهم ويخرجون جيلاً حسناً صالحاً يفخرون به ويشعرون بالسعادة للنجاح في تلك المهمة الشاقة.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

ولشديد الأسف فإن كثيراً ما يتمنى الآباء ذلك وهم في حالة أشد ما تكون بعداً عما هو مطلوب منهم أن يطبقوه أو يكونوا عليه للوصول إِلَى مبتغاهم وهدفهم.

فالناظر المتفحص لأحوال الآباء وأساليبهم ليدرك كم هو مقدار ذلك البون الشاسع بين المرجو والواقع وبين الأمل والحال.

كيف أصبح أباً ناجحاً ؟

للإجابة على سؤال كهذا نجد أنفسنا في حاجة إِلَى الوقوف عند عدة محاور هامة كالتالي:

أولاً: الفعل قبل القول:

لأهمية عنصر القدوة في حياة الناس ولكون الإنسان بطبيعته يحتاج إِلَى نموذج تطبيقي حي أمامه حتى يتصور الخلق المعين والسلوك الموجه فيصدق به ويتمثله في حياته، أرسل الله سبحانه وتعالى المرسلين وأمرنا بالاقتداء بهم فقال الله سبحانه و تعإِلَى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]، وقال النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

إن الفعل أبلغ من القول، وفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، فالقول والعمل أهم من القول المجرد.. وكثير من يتكلم

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ولكن قليل من يفعل، وقال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «الزموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم»(١). قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن»[٢].

عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «علموا أولادكم القرآن فانه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو القرآن»[٣].

والأبناء في استقائهم الخلق وتشربهم بالسلوك لا يقنعون بالظاهر منها فحسب، بل يتعدون ذلك إِلَى مستويات أعمق بكثير مما يظن الآباء.

فالأب يعيش في بيته على طبيعته بغير تكلف، وهو الأمر الذي يجعله يتصرف بما وقر في حقيقته وداخليته، والولد يقلد أباه فيما رآه منه على الحقيقة لا على التكلف والأبناء يلحظون الصغير الدقيق من السلوك والأخلاق كما يلحظون كبيرها، وتؤثر فيهم صغائر الأحوال كما تؤثر فيهم كبائر الوقائع.

ثانياً: رحمة الأب تولد الاستقرار النفسي لدى الابن:

الأب الناجح هو الأب الرحيم العطوف بأبنائه وأسرته الذي يمنحهم الحب والعطف والحنان ويشملهم برعايته ويحتويهم بقلبه الكبير ويشعرون معه بالسعادة والآمان.

---

(١) شرح رسالة الحقوق، ص٥٨٢.

(٢) شرح احقاق الحق، السيد المرعشي، ج٢٤، ص٦٠٨.

(٣) من فضائل القران، ص٢٤.

والأب القاسي هو المتسبب الأول في الأمراض النفسية لدى أبنائه والمشجع الأول على الأمراض القلبية لهم من غل وحقد وحسد وحب ذات وغيره.

وقد كان النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) خير قدوة في رحمته وعطفه وملاطفته الصغار وملاعبتهم والتبسط معهم والتحبب إليهم وعدم العبوس في وجوههم، وفي حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) العلامة الزرندي قال: روى علي بن أبي طالب قال: خرج النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) والحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر فقال له عمر: نعم المطية لهما أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «ونعم الراكبان هما»[1].

ومن الآباء من لا يراعى الرحمة مع أبنائه ولا الرقة في معاملتهم فيكون أشد عليهم من الغرباء فيترك في أنفسهم جروحاً غائرة لا تزول ولا بمرور السنين وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

ثالثاً: ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم:

فقد روى مسلم عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «إن الله يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف، ومالا يعطى على سواه».

---

(١) نظم درر السمطين: ٢١١ ط القضاء.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وقال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق» [1].

ولكن ليس معنى الرفق والحب والرحمة أن يتهاون الأب مع أولاده في مواطن الحزم، فوضع السيف موضع الندى مضر كوضع الندى موضع السيف، والحكمة فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، ولا يمكن أن يرى الأب ابنه يفعل السيئات أو المخالفات وبدعوى الحكمة و الرحمة والرفق يتركه أو يقره على ما هو عليه، ولكن الحزم والحكمة تستدعي من كل أب أن يقف مع ولده وقفة حازمة قوية يضع له فيها الحدود ويبين له القواعد التي ينبغي ألا يحيد عنها وليعلم كل أب أن وقفاته مع ولده لا تنسى، ولكنها تحفر في ذهن الولد فإن وجد فيما يستقبل من عمره قدوة صالحة من أبيه زاد ترسخها وصارت خلقاً ثابتاً فيه وصفة أكيدة من صفاته.

رابعاً: توجيهات ومحاذير للآباء في معاملة أبنائهم:

١- ليعلم الأب أنه في بيته قائد لمدرسة تربوية لها منهج ووسائل كما أن لها محددات وأطر؛ فعليه أن يضع منهجها وفق نظام القران و السنة النبوية والعترة الطاهرة ويحدد أطرها مثلما حددها الشرع الإسلامي العظيم، ولكن مع ذلك فلا ينبغي الجمود والتشنج في تطبيق ضوابط تلك المدرسة، فهي مدرسة محببة للولد تسعد البيت وتنشئ الأسرة السعيدة.

(١) صحيح الجامع.

٢- يجب على الآباء تثقيف أنفسهم وتعليمها فن التربية وأساليبها ومداومة سؤال المربين والخبراء والعلماء في ذلك، كما يستحب لهم متابعة الإصدارات التربوية الحديثة والوقوف على ما ينفع منها.

٣- تعلم الصبر على الأولاد من المهارات الأبوية الهامة، وقد حذر المربون من كثرة معاملة الأولاد بالغضب خصوصاً إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو سرعة الغضب، وليحذر الآباء من ضرب أولادهم في لحظات الغضب فإن ذلك من الأخطاء الخطيرة التي لا تؤدى إِلَى تعليم ولا توجيه ولكنها عبارة عن إنفاذ غيظ فحسب.

٤- ليعلم كل أب أن أبناءه يتعلمون بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر والشدة، فاحرص أيها الأب على توليد المحبة بينك وبين أبنائك.

٥- كل أب بحاجة إِلَى أن يخلو بولده كل مدة قريبة ليمازحه ويكلمه ويسأله ويتقرب منه ويسأله عما يحزنه أو يؤرقه أو لا يعجبه ويسأله عن آماله وأحلامه وطموحاته فلقاءات المصالحة والمصارحة هي تفريغ نفسي وجداني هام للغاية في تربية الأولاد، ولئن اشتكى معظم الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أولادهم فلأنهم قد قصروا في لقاءات المصارحة تلك في الصغر فصعب عليهم ذلك في الكبر وبنيت الجدران بينهم وبين أولادهم!!

٦- هناك علاقة قوية جداً بين كون الأب ناجحاً وبين كونه زوجاً ناجحاً، فالزوج الناجح هو الذي يهيئ لأولاده البيئة الأسرية الخالية من

المشكلات والمؤرقات والمنغصات والمؤثرات النفسية السلبية وهو الذي يعين زوجته ويساعدها على إتمام العملية التربوية بنجاح وإنجاز.

الفصل الرابع

ضوابطُ المشاركة السياسية

الأحزاب في الإسلام

إذا كان لكثير من الأعمال مبرراتٌ وعوائق، فإن لها أيضاً منزلقات ومخاطر على المسلم اجتنابها، ومن تمام النصح لمن ارتضى سلوك طريق المشاركة السياسية أن تبيّن له هذه المخاطر، التي هي واقع ملموس من تجارب الآخرين، أدركوه متأخرين فصاحوا وندموا وأوصوا بتداركه، ولا أعني هنا الكلام عن مشروعية المشاركة السياسية من عدمها، فلهذا بحثه الخاص.

وهذا الموضوع قد ينتمي إِلَى ضوابط المشاركة السياسية، وقد ينتمي إِلَى محاذير وتنبيهات، وهذه المخاطر كثيرة، نذكر أبرزها، وهي كالتالي:

الخطرُ الأول: أن ينجرف الإسلاميون مع الأيام إِلَى دائرة واحدة؛ هي دائرة العمل السياسي، ويتضخم عندهم هذا الجانب على حساب الجانب العلمي والتربوي والتبليغي والارشادي وغيرها من الجوانب، بل قد تبتلعهم المشاركة السياسية كما ابتلعت غيرهم من الجماعات الإسلامية، ثم يدخلون في إشكالية تفسير العمل السياسي، فيصير هو الحقيقة المطلقة التي يُفسَّر الدينُ كله من خلالها أو هي الدين كله!

الخطر الثاني: التمهيد للعلمنة من خلال الأدوات التي تستخدم في الممارسة السياسية؛ لأن في بُنيتها التكوينية قدراً كبيراً من العلمنة، بل تحولت هذه الوسيلة والأدوات من وسيلة اقتضتها الضرورة إِلَى هدف في حد ذاته.

فبدلاً من أن تبقى مسألة الديمقراطية مسألة واقع مفروض غير مقبول عقائدياً إنما نتعامل معه في إطار قاعدة المصالح والمفاسد، تصبح الديمقراطية مع التنازلات هي الإسلام السياسي وهي طريقة القرآن العظيم والسنة الشريفة!

وتصير المشاركة السياسية لغرض المشاركة ذاتها، ويصبح تأسيس الحزب والحفاظ عليه هو الدين كلَه وإن لم تتحقق به أي مصلحة.

مع تمييع المفاهيم الثابتة في الإسلام كالولاء والبراء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها تُذبح كل يوم باسم العمل المشترك مع الدول الكبرى الراعية للديمقراطية، وفي وسائل الإعلام تحت شعار حرية الرأي.

الخطر الثالث: أن يُهمّش دور العلماء الذين هم ورثة الأنبياء داخل الحزب، ويصبحون مجرد ديكور جذّاب للعامة من الناس، ويُقدّم من يُسمَّون بالسياسيين بحجة التخصص، كما قُدّمت تخيلات الفلاسفة وجدليّات المتكلمين على كلام الله سبحانه وتعالى ورسوله والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) وأئمة الدين من العلماء أصحاب العلم والاجتهاد (رحم الله الماضين وحفظ الباقين)، وإقصاء العلماء والتضييق عليهم في الأحزاب الإسلامية ظاهر ومعروف لا تحتاج إِلَى دليل، وبسببه انحرفت بعض

الأحزاب الإسلامية في عملها السياسي، وعرضت فيه المسائل الشرعية إِلَى تصويت القاعة التي فيها العالم والجاهل!!

والمقترح للخروج من هذا المزلق الخطير أن تكون الكلمة للعلماء، وأن تكون للحزب هيئة شرعية من العلماء الصادقين المتمكنين، وأن لا تعرض المسائل الشرعية لتصويت القاعة التي فيها العلماء وغير العلماء، بل يُقصر ذلك على أهل العلم، والأصل فيه النظر إِلَى قوة الحجة في الأقوال المختلفة، لا إِلَى قول الأكثرية، ويمكن أن تُضبط هذه القضية بتصور خاص، ليس هذا مقام بحثه.

ومن الضروري والواجب تعاون الأحزاب مع المرجعية الدنية الجامعة للشرائط والأحزاب الإسلامية الحرّة النابعة من مراجع التقليد لتشكيل القوى الثلاث، أي القضائية والإجرائية والتشريعية، والتي تسمّى في الإسلام (التشريعية) لأنه لا تشريع في الإسلام بعد التشريع الذي شرّعه الله سبحانه وتعالى، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «حلال محمد حلال إِلَى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إِلَى يوم القيامة»(١).

حتى تتمكن الأحزاب الإسلامية من خوض معامع السياسة ويكون بينهم تنافس حر يسبب تقدم الأمة إِلَى الأمام حيث الازدهار العلمي بجميع نواحيه والإهتمام بقضايا الفكر والتنمية والتقنية وحث الشباب وتشجيعهم على الاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا من خلال دعم الشباب وجمع شباب

(١) بصائر الدرجات: ص ١٤٨، ب١٣، ح٧.

المسلمين حتى لاينخرطوا في الأحزاب الباطلة أمثال الشيوعية والقومية والديمقراطية الغربية والوجودية وغيرها من الأحزاب المنافية للإسلام.

الخطر الرابع: أن يسبق العملُ السياسي التنظيرَ الشرعي، ثم يقوم التنظير للعمل السياسي المعين لاحقاً؛ لإسباغه الشرعيّة وتلبيسه بلباس الإسلام، كما هو واقع بعض الممارسات السياسية من بعض الأحزاب.

وسواء كان هذا العمل السياسي المعيّن صواباً أو خطئاً؛ إلا أن الإقدام عليه قبل معرفة حكمه قد يكون هو نفس ما نهى الله ورسوله عنه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]. وقد جعل النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) من القُضاة الذين يدخلون النار: قاضٍ وافق حكمُه الحقَّ، ولكنه حكم بجهل.

الخطر الخامس: أن يُختزل العمل السياسي بمعناه الواسع في مجرد فقهٍ سياسيٍّ يبحث في كيفية التعامل مع الأنظمة، فينحصر بمعنى أدقّ في مفهوم المشاركة السياسية في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها الأمة الإسلامية، فيُترك فقه الدولة بمعناه الواسع الذي يشملُ العمل السياسي الذي لا يلزم منه التنظيم الحزبي كما يُترك التأصيل لبناء رؤى سياسية قادرة على التعامل مع القضايا الجزئية والكلية، وهذه النظرة المختزلة تعتريها جوانب من النقص؛ لعدم شموليتها وإحاطتها بالإطار العام للسياسة الشرعية المتكاملة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

الخطر السادس: اضطرابُ الخطاب السياسيَ وعدم تجانسه مع الأصول أو الواقع، وهذا الاضطراب إما بثُنائيةٍ مفخّخة كما يقال أو متناقضة، فمرّة يصرّح بقبول دولة مدنية هكذا بإطلاق، ومرة تُقيّد بمرجعيتها الإسلامية، ومرة تُرفض الدولةُ المدنية وينادى بالدولة الإسلامية.

وتسمع من بعض الأشخاص: نريد تحكيم الشريعة كما تسمع منه: نريد دولة علمانية مدنية. وترى شخصاً يرفع شعار (الإسلام هو الحل) أو(الحزب الاسلامي) أو(الحركة الاسلامية) أو (الكتله الاسلامية)، ثم تسمع منه حينما يُسأل: ماذا تقصدون من قولكم: (القرآن دستورنا ومنهاجنا في العمل)؟ فيقول: هذا عبارة عن شعار عاطفي لايجد في القرآن العظيم و لاالسنة الشريفة أي تطبيق أو شبه تطبيق!! لهذا الدستور حتى في كتابة الدستور الذي ينظم أمور البلاد تجد فقرة تقول دين الدولة الإسلام ومصدر التشريع الإسلام مجرد شعار فقط!

وقد يكون اضطراب الخطاب السياسي ناتجٌ عن عدم انضباط بعض المفاهيم التي مازالت محلّ جدلٍ حتى عند الديمقراطيين أنفسهم، كمفهوم الأمة، والسيادة، والدولة، والمواطنة، ومسألة الفصل بين السلطات..الخ.

فيستعجل بعض الإسلاميين في التفسير لهذه المفاهيم، ثم يسبغ عليها التنزيل الشرعي، ويظهرُ بعد ذلك خطاب آخر يتضمن تنزيلاً آخر وهكذا. ويسّبب هذا الاضطراب ارباكاً عند الأتباع، وسخرية عند الأعداء، وانهزامية وعدم ثقة في حَمَلة المشروع الإسلامي.

الخطر السابع: الوصول بالممارسة في العمل السياسي من قِبل الإسلاميين إِلَى إسقاط القيم الحميدة في الإسلام، والتخلي عن الأخلاق الفاضلة، وترك التميز الإسلامي، والدوران مع النفعية الضيّقة، والتأثر بأخلاقيات الرأسمالية، فاليوم يُنظر إِلَى الشخص أو الحزب أو الجهة الفلانية على أنه أكبر عدو، وغداً يُنظر إِليه كأكبر صديق أو العكس، بلا مبرر شرعي ولا مراعاة للقيم ولا تغيُّر في (الأيدلوجيات) والمواقف، بل للمنفعة الآنية، كما تفعل الدول في سياساتها، واغلب الأحزاب فيما بينها.

أسأل الله تعالى أن يجنّبنا الزلل، وأن يهدينا لما اختُلفَ فيه من الحق بإذنه، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وموافِقةً لسنّة رسوله (صلى الله عليه آله) والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم).

الخطر الثامن: يجب أن يكون أصحاب المرجعية الإسلامية على كامل الاحتياط والحذر من القوانين والإتفاقيات والمعاهدات المخالفة للإسلام و اخذ المصلحة العامة التي تخص أمور العباد والبلاد، وترك صخرة الذات أمام كل المغريات المهلكة التي إلا ما رحم ربي يكون في نجاة من هذه المغريات. أن الجمع بين الأمور السياسية الزمنية والأمور الدينية الواجب الالتزام بها في شكل الحكم والسياسة الحديثة التي تنتهجها معظم النظم السياسية الحديثة، وذلك في مدي ألحاحهم في تعريفنا بأن المرجعية الإِسلامية رائدها الوحي ومرجعها القرآن والسنة بالرغم من إيماننا بالوحي ومطلق الإيمان بالقرآن والسنة اللذين هما من أعمدة الدين الإسلامي الذي ننتسب إِليه كدين وعقيدة، ولكن كشريعة حاكمة تتعدد الرؤي في تفسير وتأويل مفهوم تطبيق

الشريعة الإسلامية من خلال النظم السياسية الحديثة داخل إطار من العالمية أو الكونية ذات التوجهات العالمية المعاصرة الرابطة لكل دول العالم داخل إطار أممي عالمي تحت ستار منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والمنظمات الدولية المتخصصة والإقليمية، بمعني أن هناك إتفاقيات ومعاهدات دولية متعددة وقعت عليها الدول العربية والإسلامية وهذه المعاهدات والإتفاقيات قد تختلف في التفسير والتأويل مع نصوص الشريعة الإسلامية، وعلى أبسط الأمثلة الجهاد بإعتباره فريضة إسلامية يرى ملايين من المسلمين أنه الفريضة الغائبة عن الأمة الإسلامية في الواقع المعاصر وكذا في إطار العالم المعاصر، ويستند أصحاب هذه الرؤية ومعظمهم من أصحاب المرجعية الإسلامية، إلَى أن سبب نكبات وهزائم الأمة الإسلامية هو في تخليها عن فريضة الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نعم مع مراعاة مصالح المسلمين فأن الامور تأخذ منحى التهدئه، وظروف الامر والنهي من المرجعية الإسلامية حسب دراسة المصلحة العامة والإعداد لكل موقف وظروفه ، علينا أن لانكون متغافلين عن طبيعة الظروف الدولية والعالمية والمستجدات العسكرية والحربية في عالم الحرب والقتال ووجود ماتمَّ الإتفاق عليه بين الشعوب والأمم في سبيل إنشاؤه وتم الإتفاق على وجوده لحل النزاعات والصراعات بين الشعوب والأمم وحفظ الأمن والسلم والدوليين، وهو مجلس الأمن الدولي المنحاز في غالبية قراراته للإدارة الأمريكية ولمصلحة العديد من الدول الغربية ، وكذا إسرائيل !!

الفصل الخامس

في ذكرِ العلماءِ والخطباءِ وطلبةِ العلم وتوجه عامة الناس

السخرية والاستهزاء بالعلماء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فلا يخفى على أحد من المسلمين أن هذا الدين قد حمله رجال من لدن عهد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) إِلَى هذا اليوم، ولله الحمد، وهؤلاء الرجال بذلوا كل غالٍ ونفيس، بذلوا أرواحهم ومُهَجهم وأموالهم وأوقاتهم، وتركوا لذيذ العيش، وأطالوا السهر، كل ذلك من أجل حفظ سنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وتبليغها للناس.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١-١٢.

فقد حرص العلماء على أن يُبلّغوا عن نبيهم الكريم وأهل بيته(صلوات الله عليهم) هذا الدين العظيم الذي جعله الله رحمة للناس، وخاتمة للشرائع .

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾[1].

عن النبي الأعظم محمد (صّلى الله عليه وآله وسلم): «النظر إِلَى وجه العالم حُبّاً له عبادة» [2].

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «مَنْ وَقّر عالماً فقد وَقَّرَ رَبَّه» [3].

وهنا انقل لكم هذه الظاهرة الخطيرة وأعني بها ظاهرة السخرية والاستهزاء بالعلماء ومنها عبارات الشتم واللعن ونحو ذلك.

كان لِزاماً على كل المخلصين من المفَكّرين والمثقَّفين عموماً التَصدّي لإنتشال المجتمع من هذا الواقع المتَرَدّي كوجوب كفائي على أقلِّ التقادير بحسب اصطلاح الفقهاء، ثم ولِوَهْلةٍ من الزمن إسْتَوْقَفَتني ظاهرة خطيرة بدأت تستشري في المجتمع كالنار في الهشيم وبدأت تستفحل بشكل ملفت للنظر مما حدى بي إِلَى البحث فيها لأنه وعلى الأعم الأغلب من الظن بأنَّه هنالك جهات محلية وإقليمية بل وعالمية وراء هذه الظاهرة تدعمها مادّياً واعلامياً والهدف منها هو القضاء على هَيْبَة العلماء المجاهدين وصورتهم المقَدَّسة في نظر ونفوس المجتمع الإسلامي يحاولون عَبَثاً تشويه هذه العلاقة بما يخدم مصالح الدوائر الإستكبارية وأذنابها في المنطقة.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) البحار: ج١، ص١٩٥.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧.

إنَّ هذه الظاهرة تُمَثِّل انحرافاً خُلُقيَّاً خطيراً سيكون لتداعياته أثرٌ بالغٌ يؤول في النهاية إِلَى تمزيق وحدة الصف وإضْعاف شَوْكة المسْلِمين، الذي يصدر مِنْ قِبَلْ بعض الجُهلاء والمنافقين والمنْدَسّين لِعَدم تناغم الطرح مع إتّجاهاتهم المنْحَرِفة وللعلماء أُسْوة حَسَنة بمحمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين كانوا يُمَثِّلون النموذج الأسمى في رعاية المِصْلَحة العُلْيا والصالح العام للإسلام والمسلمين وكانوا ولا زالوا وسيبقَوْن الدِرْع الحَصين الذي يتَصَدّى لكل ما يَشوب ويشَوِّه الصورة الناصعة للإسلام الكريم.

كُلِّ مَنْ يتَجَرَّأُ بالسوء على العُلَماء على إعتبار أَنَّ هؤلاء العُلَماء هُمْ فقط الذين إشْتَهَروا بالنَقْدِ البَنَّاء والجَريء للحَوْزَة والعُلماء ومع ذلك كان تعاملهم بغاية الرُقيِّ والرِقَّة كما سيَظْهَر مِنْ خلال البحث وضِمْن حدود الشريعة الإسلامية المقَدَّسَة مُعَبِّرينَ بذلك عن الأدَب العالي للإسلام الكريم وقِيَمِه السَمْحاء وتعاليمه المباركة وبالتالي يُمكن أَنْ يقال هذا فَضْلاً عن بقيَّة العُلَماء الذين لم يُعْرَف عنهم هذا التوجُّه مِنَ النَقْدِ والتجديد والإصْلاح مِمّا يُضْفي على الجوِّ العام السائد بين العلماء في الحوزة العلمية وخارجها صورة ناصعة تَعْكس الخُلُق الإسلامي الرفيع في أسلوب التعامل فيما بين العلماء وبالتالي فَمِنَ المفروض أَنْ يكون هذا التعامل يُمَثِّلُ قُدْوَةً طَيِّبَةً لِتعامل العوام والجماهير عموماً مع عُلَمائِهم وقادَتهم وهذا أَقَلّ الواجب المجْزي ومِمّا يُناسب هذا المقام أَنَّهُ قديماً سُئِلَ الإسكندر؛ فقالوا له ما لَنا نَراك تُبَجِّلُ وتُعَظِّمُ مُعَلِّمُكَ أكثر مِمّا تُبَجِّلُ وتُعَظِّمُ أَباك، فأجابهم وكيف لا؟ فأَبي هو سَبَب حياتي الفانية أمّا مُعَلِّمي فَهو سَبب حياتي الباقية.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1].

فإن ثمّة موضوعاً مُهمّاً جديراً بالطرح، حقيقاً بأن نتفقه فيه؛ لشدة حاجتنا إليه؛ والخطورة في النتائج المترتبة عليه. إن المجتمع الاسلامي اليوم بحاجة إِلَى ترشيد وتوجيه والحديث عن العلماء:

من هذا النوع من الحديث مجالس ذكر العلماء، عندما يلتقي الكثير في مناسبات مختلفة يكون جلُّ حديثهم عن العلماء، يقوّمون العلماء، ويذمُّون ويمدحُون، من غير أي موزون علمي وأخلاقي في حديثهم.

وأكثر هذه الأحاديث والمجالس تجدها إلا سخرية واستهزاء وطعن وغيبة وفتنة وانتقاص لمكانة العلماء، ولم يقتصروا على نهش أعراض العلماء وطلاب العلم والدعاة، بل فُتح الباب على مصراعيه لكل من هبّ ودبّ؛ حتى تطاول العامة وتطاول المنافقون والعلمانيون على علمائنا.

وقلّما تدخل مجلساً فتجده منزَّهاً عن الوقيعة في عالم من العلماء؛ وقلما تدخل مجلساً فتجده منزهاً عن الوقيعة في عالم من العلماء؛ فقلت: إن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ؛ فكانت هذه السطور تذكيراً، ونصحاً، وتبياناً، وتحذيراً من عاقبة الحديث في العلماء، والولوغ في أعراضهم وحرصت- قدر الإمكان – على توضيح السبيل الصحيح لمعالجة هذه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

القضية وموضوع السخرية والاستهزاء بالعلماء طويل يجب الاهتمام به من قبل العلماء والعقلاء و أهل الحل والعقد.

١- السُّخرية: وهي: محاكاة أقوال الناس، أو أفعالهم، أو صفاتهم على سبيل انتقاصهم، والضحك عليهم، بألوان المحاكاة القولية والفعلية.

وقد حرّمها الشرع لايجابها العداء، وإثارة البغضاء، وإفساد العلاقات الودّية بين أفراد المسلمين.

وكيف يجرأ المرء على السخرية بالمؤمن؟! وانتقاصه، وإعابته، وكل فرد سوى المعصوم، لا يخلو من معائب ونقائص، ولا يأمن أن تجعله عوادي الزمن يوماً ما هدفاً للسخرية والازدراء.

لذلك ندد القرآن الكريم بالسخرية وحذّر منها: فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة المطففين: ٢٩ – ٣٢.

وقال الصادق (عليه السلام): قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم): «لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عثرات المؤمنين تَتَبّع اللّه عثراته، ومن تتبع اللّه عثراته يفضحه ولو في جوف بيته»[1].

فجدير بالعاقل أن ينبذ السخرية تحرجاً من آثامها وتوقياً من غوائلها، وأن يقدّر الناس على حسب إيمانهم وصلاحهم، وحسن طويتهم غاضاً عن نقائصهم وعيوبهم، كما جاء في الخبر: «إن اللّه تعالى أخفى أولياءه في عباده، فلا تستصغرن عبداً من عباد اللّه، فربما كان وليّه وأنت لا تعلم»[2].

٢- الفحش هو: التعبير عمّا يقبح التصريح به، كألفاظ الوقاع، وآلاته مما يتلفظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعبّرون عنها بالكنابة والرمز كاللمس والمس، كناية عن الجماع.

وهكذا يكنّي الأدباء عن ألفاظ ومفاهيم يتفادون التصريح بها لياقة وأدباً، كالكناية عن الزوجة بالعائلة، وأم الأولاد، وعن التبول والتغوط، بقضاء الحاجة، والرمز الي البرص والقرع بالعارض مثلاً، إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مُستهَجَن عند العقلاء والعارفين.

فقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في ذمّه: «إن اللّه حرّم الجنة على كل فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فانك إن فتشته لم تجده الا لغية، أو شرك شيطان فقيل يا رسول اللّه وفي الناس شرك شيطان؟!

---

(١) الوافي: ج ٣، ص ١٦٣، عن الكافي.

(٢) أخلاق أهل البيت(عليهم السلام)، ص ٢٤٠.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم): أما تقرأ قول اللّه تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾[1].

المراد بمشاركة الشيطان للناس في الأموال دفعهم على كسبها بالوسائل المحرمة، وإنفاقها في مجالات الغواية والآثام. وأما مشاركته في الأولاد: فبمشاركته الآباء في حال الوقاع إذا لم يسموا اللّه تعالى عنده، وولد غية أي ولد زنا.

وقال الصادق (عليه السلام): «من خاف الناس لسانه فهو في النار»[2].

وقال (عليه السلام) لنفر من الشيعة: « معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حُسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول »[3].

٣- السب فهو: الشتم، نحو(يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن) وأمثاله من مصاديق الإهانة والتحقير.

فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: سَبَابُ المؤمن فُسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»[4].

٤- القذف فهو: نحو يا منكوح، أو يا ابن الزانية، أو يا زوج الزانية، أو يا أخت الزانية.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٦٤.

(٢) الوافي: ج ٣، ص ١٦٠، عن الكافي.

(٣) البحار: م ١٥، ج ٢، ص ١٩٢؛ عن امالي الشيخ الصدوق وامالي ابن الشيخ الطوسي.

(٤) الوافي: ج ٣، ص ١٦٠، عن الكافي والفقيه.

فقد قال الباقر (عليه السلام): «ما من إنسان يطعن في مؤمن، إلا مات بشر ميتة، وكان قمناً أن لا يرجع الى خير»[1].

وكان للامام الصادق (عليه السلام) صديق لايكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحذائين، ومعه غلام سِندِي يمشي خلفهما، إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره، فلما نظر في الرابعة قال: يابن الفاعلة أين كنت؟!

قال الراوي: فرفع الصادق يده فصلت بها جبهة نفسه، ثم قال: سبحان اللّه تقذف أمه!! قد كنت أريتَني أن لك ورعاً، فاذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك إن أمه سندية مشركة. فقال: أما علمت أن لكل أمة نكاحاً، تنح عني.

قال الراوي: فما رأيته يمشي معه، حتى فرّق بينهما الموت»[2].

ما الواجب علينا اتجاه علمائنا :

١- أن نحفظ للعلماء مكانتهم و فاعليتهم في قيادة الأمة وأن نتأدب معهم.

٢- أن نعلم أنه لا معصوم إلا من عصم الله، وهم الأنبياء والأوصياء من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والملائكة.

وعلى ذلك فيجب أن ندرك أن العالم معرضٌ للخطأ، فنعذره حين يخطئ إلا إذا كان متعمدا فيجب تحذيره ، ولا نذهب نتلمس أخطاء

(١) الوافي: ج ٣، ص ١٦٠، عن الكافي.

(٢) الوافي: ج ٣، ص ١٦١، عن الكافي.

العلماء ونحصيها عليهم. هذا من الممنوعات الشرعية ويجب الحذر من ذلك للنتائج الوخيمة لهذا الفعل.

٣ – أن ندرك أنَّ الخلاف موجود منذ عهد الصحابة والتابعين وإِلَى أن تقوم الساعة: لذلك يجب أن تتسع صدورنا للخلاف بين العلماء في المجالات العلمية، فلكل واحد منهم فهمه، ولكل واحد إطلاعه على الأدلة، ولكل واحد نظرته في ملابسات الأمور ؛ فمن الطبيعي أن يوجد الخلاف بينهم، فالاخلاف علمي وأن كان خلاف ذلك فعلينا الحذر من الخوض في خلافاتهم، وينبغي علينا أن نبحث عن عوامل وحدتنا، عن عوامل قوتنا، عن عوامل ازدهارنا، عن عوامل انتصارنا، عن عوامل القرب إِلَى الله تعالى.

٤– على طلبة العلم: احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقا في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي.

والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً. وإذا كان يقول الحق ويهدي إِليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

٥ – على المقلدين: المكلف الذي لم يصل إِلَى رتبة الاجتهاد يجب عليه التقليد

قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِليهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون﴾[1]. ولقد نعى الله سبحانه وتعالى على المشركين تقليدهم آباءهم على الضلال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[2].

والتقليد ليس كلُّه مذموماً، بل فيه تفصيل ذكره العلماء ونشأ وجوب التقليد من حاجة المسلم إِلَى معرفة معالم دينه وأحكام عباداته ومعاملاته، فهو يحتاج إِلَى خبير في الشريعة يثق به، يفتيه في ذلك . وعندما يختلف الفقهاء في الاستنباط، يجب عليه أن يرجع إِلَى الفقيه الافضل من الجوانب العلمية والأخلاقية والإجتماعيهة والسياسية، من غير عاطفة وميولات عصبية و الحرام الذي يقع فيه المكلف التقليد الذي يؤدي إِلَى السخرية بالعلماء، ونسمع بعض الناس يقع في عرض عالم، فتسأله: هل استمعت إِلَى هذا العالم؟ فيقول: لا والله. فتقول: إذن كيف علمت من حاله وأقواله كذا وكذا؟! فيقول: قاله لي فلان. هكذا يطعن في العالم تقليداً لفلان، بهذه السهولة، غير مراعٍ حرمة العالم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

قُلِ الحقَّ واصدع به

أعتقد أن من أهم الدروس التي ينبغي أن يعيها العالم والخطيب والمبلغ وعياً كاملاً الجهرُ بكلمة الحق، والدعوة للإسلام بكل جرأة وشجاعة، وعدم التنازل أمام أي أحد عن شيء منه، لأن هذا الدين الذي ارتضاه الله جل وعلا لعباده؛ وحدة متكاملة، لا تقبل أنصاف الحلول، فالله يريد أن يُطَبّق شرعه كاملاً غير منقوص.

لقد كان بعض المسلمين في المرحلة المكية وهي مرحلة استضعاف يجهر بكلمة الحق، وهذا رد على الذين يحتجون بأن المرحلة التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم هي مرحلة استضعاف، وهذا يعني عندهم أنه ينبغي أن تكون الدعوة سرية خالية من الصدع بكلمة الحق ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أن المرحلة التي يعيشها المسلمون اليوم هي مرحلة استضعاف، وأنها عظيمة الشبه بتلك المرحلة الأولى من دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، التي تسمى (المرحلة المكية) بسبب حكم الجاهلية المعاصرة التي أقصت حكم الله عن الأرض في كثير من البلدان، وليس معنى ذلك أن ننكر على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدع بكلمة الحق ومن تأمل سيرة النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) عرف أن الحكمة هي الجهر بالدعوة، والصدع بكلمة الحق.

قيل للنبيّ: أوصني قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «استحي من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك »[1].

عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): «استحيوا من الله حقّ الحياء، قالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ قال: فان كنتم فاعلين فلا يبيتنّ أحدُكم إلا وأجلُه بين عينيه»[2].

لا يوجد إنسان يزهد الإنسان بالدين إلا إنسان له مظهر ديني ويغش الناس ويكذب عليهم ويبدو أمامهم غير منطقي، يبدو أمامهم أنانياً هذا الذي له مظهر ديني لو يعلم ماذا يفعل في مجتمعه لتمنى أن يقطع إرباً إربا ولا يفعل ما يفعل، لو أن إنسان مظهره عادي فعل واحتال وفعل ما فعل فالناس لا يعبئون به، ويقولون فعل ما فعل فلان أساء أما لك هوية دينية، اتجاه ديني، عند أهلك وأسرتك مظنة صلاح؛ فإذا فعلت شيئاً خلاف الحق اتخذ الناس موقفك حجةً على الدين وأعداء الدين يتمنون مثل هذا الإنسان ليشفي غلهم؛ الدين يصنع أناس هكذا؛ انظروا إِلَى الدين، هذه غيبيات ؛ هذه خرافات؛ هذه مصالح؛ هذه تجارة؛ هذه وحول؛ أعداء الدين لا يتمنون على المجتمع إلا أن يجدوا أناساً لهم مظهر ديني وهم خارجون عن قواعد الحق التى أمر الله بها.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٣٦، الحديث ٢٠.

(٢) م . ن. . ج ٦٨ . ص ٣٣٣ . الحديث ٩.

التربية والعمل بالرأي

المربي بحاجةٍ إِلَى أن يسلك طريقَ الاحتياط، وهو يمارس عمليةَ التربية، عبر سؤال واستشارة أصحاب التجارب والمختصِّين من العلماء والفقهاء، بدلاً من أن يرتجل؛ طرقًا قد تَضُرُّ أكثر مما تُصلِح، فلا مجال في التربية للارتجال أو التهوُّر أو المزاج! وعلى المربي أن يعتمد في تربيته، قاعدة: (مفتاح العلم السؤال)؛ لكي يُحسن توجيه الجيل الشاب، لما فيه صلاحه.

فعندما نقرأ قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]، فإننا نفهم من ذلك أن: (الإنسان مطالب شرعًا بأن يلتزم بالدين وتعاليمه الاسلامية الاصيلة، كي ينقذ نفسه من نار جهنم، وفي نفس الوقت مطالب بذلك تجاه أهله، وعلى رأس الأهل الأبناء، بل لعلهم الحد المتيقن من الأهل هنا لأنهم أجلى المصاديق وتحذيرهم من الافكار المنحرفة وأهمية الالتزام بالقرآن والعترة).

الاستبداد عند الخطباء

عندما نتكلم في موضوع حساس جدا لا أَقصد كل خطباء المنبر ولكن أَقصد من جعل المنبر ككرسي الحاكم الجائر المستبد الذي لايقبل بالنصيحة والمشورة والتعلم واكتساب الخبرة والنقد والرأي و الرأي الاخر.

والاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه، وقطع الألسن؛ فلا تتحدث إلا في مجال محدود لا

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير.. بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته.!

واعجباً لك..إذا كان هذا هو الاستبداد عندك، فكيف تتجرأ على وصف خطباء المنبر بذلك.؟!

معاذ الله! فليس هذا حكماً عاماً يتساوى فيه جميع خطباء المنبر، ولكن بعضنا قد يأخذ بنصيب وافر أحياناً من هذه الصفة، وهذه الشريحة المبلغة والمهمة في قيادة المجتمع الإسلامي لا ينبغي إغفالها أو تجاهلها، والاستبداد عند بعض الخطباء إن صح التعبير ممارسة تربوية ذات أبعاد خطيرة، تقتل ملكات الإبداع والإنتاج، وتعطل الطاقات لذا كان لزاماً علينا أن نسلط الضوء عليها بجرأة، لعلاجها والتخلص منها.

وذكر الحقيقة كاملة قد يتبعها مرارة وحزن، ولكنها تنتهي بالسعادة. أن المربي الذي لا يُحب أن يسمع رأياً غير رأيه، ولا يرضى باقتراح أو نصح من أحد، فإذا تكلّم؛ فَمَن حوله سكوت، وإذا أشار؛ فالناس له تبع، أتباعه ومريدوه حقهم السمع والطاعة، في الخير والشر.!

فمفهوم النصح عنده: إخبار الآخرين بما يرى، فإن وافقوه فبها ونعمت، وإن خالفوه، فالنصح مُعلمة لا ملزمة رغم الخطأ والمخالفة التاريخية أو العقائدية أو الفقهية أو الإخلاقية وهكذا فخذ والشبهات تقتل المجتمع الإسلامي نتيجة فعله الأَرعن.

إذا نظر إِلَى وجه مريده طأطأ المريد رأسه حياءً وخجلاً، واحمر وجهه، وفرقع أصابعه؛ حتى إذا اشتد عوده، واستوى ساقه، أصبح بارعاً في اجترار

الأفكار، وترديد الكلمات، لا يباريه أحد في فن الولاء له، ليس له عقل يفكر فقد ضمر وتآكل مع طول العجز، واستفحال المرض، أقرب الأمثال إِلَى عقله: (ذبها براس عالم واطلع منها سالم)، ولماذا يفكر ويجهد ذهنه، ويضيع وقته وبين يديه شيخه الجهبذ الذي أبصر الحقائق، وأدرك الأمور، وانكشفت له المعضلات.؟!

من أنت حتى تستشار أو تبدي رأياً.؟!

ومن أنت أصلاً حتى تفكر وتتأمل.؟!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد في التبليغ. ؟!

أرأيت إِلَى طالب العلم الذي يظن أنّ رأيه هو عين الحق الذي لاحق غيره، ولا يحق لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه، اجتهاده قاطع لكل اختلاف، ورأيه جامع لكل خير، فهو البحر الذي تجتمع عنده الأنهر، والوادي الذي تصب فيه الشُعَب.!

إذا خالفه أحد ضاق صدره، واضطربت نفسه، وتزلزت أقدامه، وإذا أفاق من هول الصدمة، سلّ سيوفه مستعداً للمبارزة والطعان، دون أن ينظر أحق هو أم باطل.

كلُّ مخالفٍ له مبطلٌ .. مهما كان دليله.!

وكلُّ معارض له مفسدٌ .. مهما كانت حجته.!

همه أن يتلقى عنه الأتباع، ومراده أن يستمع له الناس، فالحذَر الحذَر من أتباع هذا الخطيب، فأنه قاطع طريق بين العبد والله تعالى! عجيب أمره

فأحكامه صارمةٌ قاطعةٌ، لا تقبل المناقشة أو المحاورة، وكأن لسان الحال يقول (من لم يقبل هذه الأفكار فلينطح برأسه الجدار).

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد العلمي.؟!

أرأيتم كيف توأد الأفكار، وتخنق الأصوات، وتحطم ملكات الإبداع والإنتاج، ويربى الخانعون.؟! أخزى الله الاستبداد وأصحابه، فكم قتل من الطاقات وكم قطع من طرقٍ للتصحيح والتغيير.!

كان الفقهاء والمراجع يختلفون فيقول قائلهم: (نحن عبيد الدليل فأين ما مال نميل) والاخلاق الحسنة وقواعده اساس فعلهم ونهجم.

أما في هذا الزمان إذا اختلفنا، فلسان حالنا: (ما أريكم إلا ما أرى فقط.!) والتسقيط والتفسيق والغيبة شعارنا اخزكم الله.

إن مصادرة آراء الآخرين، وغلق الأبواب في وجوههم؛ يجعل جذور الخطأ تمتد إِلَى الأعماق، ثم يصعب تصحيحها أو على الأقل تخفيفها؛ ولهذا فنحن نحتاج إِلَى ترويضٍ ومتابعةٍ؛ لكي نتعلم كيف نقدّر الرأي الآخر، وننجو من مصادرة عقول الآخرين، والمنهج الشرعي يقتضي أن نقطع في الأمور القطعية التي قطع بها الفقهاء المحقيقين، وأما المسائل الاجتهادية في فروع العلم سواء في الفقهيات، أو في فروع العمل التبليغي المتجددة فالأمر فيها واسع ولله الحمد والمنّة، والاختلاف فيها أمر وارد لم يسلم منه جيل من العلماء وما وسعهم يسعنا، وما قد يكون واضحاً عندك، قد لا يكون كذلك عند غيرك، وما يتبيّن لك صوابه الآن قد يتبيّن لك خطؤه غداً؛

لأمر ينقدح في ذهنك، ولهذا تواتر عن علمائنا أنهم يقولون في المسألة الفرعية الواحدة قولاً، ثم يقولون بخلافه بعد ذلك.

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إِليها إلا عباد الله المخلصون.

العلم إمام العمل يامسلمين

كثر الكلام في الاوسط الاكاديمية ولبعض اصحاب الشهادات العاليه – لو صح التعبير- هو التكلم بما يحلو لهم في أيِّ اختصاص وفرض مزاجاتهم.

نعم الإنسان خلقه الله عز وجل وخلق معه الحركة والعمل فهو ليس كالجماد الذي لا يتحرك مكانه؛ بل الحركة والذهاب والإياب والهِمّةِ والاهتمام من الصفات اللازمة للإنسان؛ ولو كان هذا الإنسان مشلولا أو مقعداً؛ فهو لا ينفك عن الهم؛ لأن العمل أوله هم وهذا لا يحتاج لعمل بدن.

ولما كان الهم والعمل مرتبطاً بالإنسان ارتباط الظل بصاحبه أتت الشرائع الربانية لتهذيب هذا العمل؛ وليكون نافعاً غير ضار؛ وهادياً غير ضال؛ وبانياً غير هادم، وقيدت هذه الشرائع الربانية العمل ليكون تابعا لها ومسترشداً بها.

والعلم المحمود الذي يهدي الإنسان إِلَى أحسن الأعمال والأخلاق هو العلم الذي نبع من الشريعة؛ واستقى أصله منها؛ ولم يخرج عن أساسها.

والتنبيه إِلَى أن العمل تابع للعلم قد ورد في غير آية من كتاب الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة نبه تبارك وتعالى إِلَى أهمية العلم قبل الإقدام على أيِّ عمل مهما عظم؛ فالتوحيد وهو أعظم مطلوب ومأمور به لابد من العلم به؛ ثم تتبعه سائر الأعمال المبنية على العلم.

فالعلم هو الميزان وهو المحك، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[2].

فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]. فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقا لسنة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مراداً به وجه الله.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم، فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده، فلولا العلم لما كان عمله مقبولا.

فالعلم هو الدليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، وأحسن ما قيل في تفسير الآية: أنه إنما يتقبل الله عمل من اتقاه في ذلك العمل، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره، وهذا إنما يحصل بالعلم.

أن العاملَ بلا علم كالسائر بلا دليل، ومعلوم أنَّ عطب مثل هذا اقرب من سلامته، وأَنَّ قدر سلامته اتفاقاً نادراً فهو غير محمود بل مذموم عند العقلاء.

من فارقَ الدليل ضلَّ السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به القران الكريم و الرسول الاعظم محمد وأَهل بيته الطيبين الطاهرين، الاثنى عشر إِمام (عليهم السلام).

قال أحد العلماء: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح. فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم. فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد (صلى الله عليه واله و سلم)، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

والفرق بين هذا وبين ما قبله أن العلم مرتبته في الوجه الأول مرتبة المطاع المتبوع المقتدى به المتبع حكمه المطاع أمره، ومرتبته في هذا الوجه مرتبة الدليل المرشد إِلَى المطلوب الموصل إِلَى الغاية[1].

هذا وقد ذم الله عز وجل في كتابه طوائف من الناس قدموا العمل على العلم؛ ولم يهتموا بموافقة العمل للعلم، فكان عملهم وبالاً عليهم وطريقاً لسلوك سبل الغواية ومؤدياً بهم إِلَى طرق الضلالة ومنتهيا بهم إِلَى قعر الهاوية.

ومن ذلك ما ذمَّ الله به النصارى بوصفهم بالضلال حيث أنهم أصحاب عمل بلا علم ولا هدى ولا على صراط مستقيم؛ فقال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2].

والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إِلَى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوبٌ عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْه﴾[3]، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[4].

---

(١) مفتاح دار السعادة: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٦- ٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

فمن عرف الحق ولم يعمل به أشبه اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

ومن عبد الله بغير علم بل بالغلو والشرك أشبه النصارى الذين قال الله فيهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2]، فالاول من الغاوين والثاني من الضالين.

فإن الغي اتباع الهوى، والضلال عدم الهدى، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

والغرض من إيراد هذا البيان هو التنبيه على قاعدة مهمة؛ وهي: أن العمل أيا كان توجهه يجب أن يكون تابعاً للعلم ومستنيراً به؛ وأن لايقدم المسلم على خطوة إلا وله عليها برهان ودليل؛ وهذه القاعدة رغم وضوحها وبيانها إلا أن فأتاً من المسلمين أعرضوا عنها؛ ورموها خلف ظهورهم؛ وأصبح شغل الواحد منهم أن ينفس عما في صدره؛ وافق الحق أو خالفه؛ ولم يعد العلم قائداً وحاكماً على العمل.

والشريعة والحمد لله كافية شافية؛ فما من فعل إلا وسيجد العلماء الفقهاء له دليلاً؛ صريحا كان أو خفياً؛ وهذا ما يوجب على المسلمين الرجوع إِلَى أهل العلم الراسخين فيه؛ ليبنوا لهم ما يخفى عليهم من أمور دينهم.

الحكمُ بغيرِ ما أَنزلَ الله

إن تطبيق الأحكام الشرعية في بلدنا، وإقامة الحدود على الشريف والضعيف، لهو من أهم الحلول لهذه الأزمة التي عصفت بالناس، وأفسدت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فكم من الحدود الشرعية أوقف تنفيذها؛ لأن المدان فيها من الشرفاء، أو لأن له مكانة كبيرة في الدولة، أو لأن له قبيلة تحميه وتدافع عنه، أو لأن له قرابة مع السلطة، وأصبحت الحدود الشرعية لا تقام إلا على الضعفاء، وهذا تلاعب بأحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه، وقد حذرنا الله عز وجل من عدم إقامة هذه الحدود وحذرنا رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) كذلك، ولنقف مع بعضٍ من هذه الأدلة:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

الحاكم الشرعي منصوبٌ من قبلِ الإمام الحُجّة (عليه السلام) الذي قال وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إِلَى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)، والإمامُ الحجة منصوبٌ بدوره من قبلِ رسولِ الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلين : كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي»، ورسولُ الله (صلى الله عليه واله وسلم) منَصَّبٌ من قبل اللهِ عزَّ وجلّ القائل محمدٌ رسولُ الله (ثم قال: ما آتاكم الرسولُ فخذوهُ وما نهاكمْ عنه فانتهوا).

يعتبر القضاء من المناصب الالهية ولا يستطيع ان يقوم به إلا من كان مؤيدا بروح قدسية او من ياخذ بعلم وامانة عن مؤيد بتلك الروح لانه قرين الحكومة الالهية التي بينها الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

وقد بين ذلك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الكثير من كلماتهم وحددوا صفان القاضي ومن يجب عليه القضاء. فقدذكر الكليني (رحمه الله) في باب ان الحكومة إنما هي للإمام (عليه السلام) بعض الاخبار الدالة على المراد منها.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصى نبي»[1].

قال العلامة المجلسي معلقا على هذا الخبر في مراة العقول : لا يخفى أن هذه الأخبار تدل بظواهرها على عدم جواز القضاء لغير المعصوم (عليه السلام) ولا ريب أنهم (عليهم السلام) كان يبعثون القضاة إِلَى البلاد، فلابد من حملها على أن القضاء بالأصالة لهم ولا يجوز لغيرهم تصدى ذلك الا باذنهم وكذا في قوله: (لا يجلسه الا نبي) أي بالأصالة والحاصل ان الحصر إضافي بالنسبة إِلَى من جلس فيها بغير اذنهم ونصبهم (عليهم السلام).

ومن الأخبار الأخرى: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة»، وقال (عليه السلام) : «الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية»[2].

---

(١) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٦.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية، وقد قال الله عز وجل : ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وأشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية[1].

ومن شروط القضاة ان يحكموا بعلم وبما أنزل الله والا فحكمهم حكم الشيطان:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قالا: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عز وجل ممن له سوط أو عصا فهو كافر بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله»[2].

و عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عز وجل فهو كافر بالله العظيم»[3].

عن عبد الله بن مسكان رفعه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حكم في درهمين بحكم جور ثم جبر عليه كان من أهل هذه الآية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقلت: وكيف يجبر عليه ؟

فقال: يكون له سوط وسجن فيحكم عليه فإذا رضي بحكومته وإلا ضربه بسوطه وحبسه في سجنه»[4].

---

(١) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

(٣) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

(٤) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

و عن معاوية بن وهب قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أي قاض قضى بين اثنين فأخطأ سقط أبعد من السماء»[1].

والرجوع في الحكم إِلَى الفقهاء الذين يحكمون بحكم القران الكريم و وحديث الرسول الأكرم وأهل البيت (عليهم السلام)، وقد يبدو جيداً للفاهم البيب من بعض النصوص انّه لا يمكن الاعتماد على ما يفهمه الإنسان من القرآن إلاّ بعد الرجوع لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم).

منها: صحيحة منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه.. إِلَى أن قال: وقلت للناس: أليس تعلمون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) من كان الحجة على خلقه؟ قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجىء والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجالَ بخصومته، فعرفت ان القرآن لا يكون حجة إلاّ بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً... إِلَى أن قال: فأشهد أنّ علياً (عليه السلام) كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وانّ ما قاله في القرآن فهو حق، فقال: (رحمك الله)[2].

---

(١) الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٢٩، باب: ١٣ من أبواب صفات القاضي.

ومنها: رواية عبيدة السلماني... فقام عبيدة وعلقمة والأسود وأناس معهم فقالوا: يا أمير المؤمنين فما تصنع بما قد خُبِّرنا به في المصحف؟

فقال: يُسأل عن ذلك آل محمد[1].

بدأ تجميد القضاء الشرعي وفق المذاهب الإسلامية في مقرّ الدولة العثمانية بتركيا بعد أن رأى المستعمرون ضَعْفَ هذه الدولة وترهّلها فوجّهوا ضربتهم القاتلة نحو القضاءِ الشرعي وفرضوا على المحاكم الرسمية تطبيق القوانين الفرنسية شيئا فشيئا في ربوع العالم العربي والإسلامي (الذي كان مستعمَراً من قبل الدولة العثمانية)، فوصلنا إِلَى وضعنا المتدهور الحالي الذي صار فيه المسلم يعتقد وكأن القوانين الغربية تحكُمُنا منذ مئات السنين وهو لا يدري أنّ الانحراف بدأ منذ قرن ونصف فقط، ومع ذلك فنحن نقول: إنّ الإسلام وشريعته والقضاء الشرعي لا ولن يموت، وهو باقٍ ما بقي الدهر بإذنه تعالى، وبهمّة الغيارى من علماءِ وطلبة علم ومثقفي هذه الأمةِ، ولابدّ أن يتحمّل الجميع مسؤولية إعادةِ الأمورِ إِلَى نصابها السماوي، وبحسب الإمكانيات والقابليات.

سُمِّي القانون غير السماوي بالوضعي لأنه موضوعٌ من قبلِ الإنسان بعد تلفيقِه من حضاراتٍ مُندَرِسة (كالحضارة الرومانية والبابلية وغيرها) وبعد خلطِه بشئ من الأفكار الشرقية والغربية مما جادت به قرائح الباحثين، فكان القانون الفرنسي والقانون اللبناني والقانون المصري والعراقي وغيرها.

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٣٧، باب: ١٣ من أبواب صفات القاضي.

الفصل السادس

القرآنُ والعترةُ

ترك الوصية الكبرى

القرآن الكريم: هو الميراث الإلهي العظيم، و المصدر الأول للعقيدة والأخلاق، والشريعة الإسلامية، و هو الثقلُ الأكبر و الدستور الإلهي الخالد الذي لا يُعْدَلُ عنه إِلَى غيره من المصادر مطلقاً.

لكنه ليس المصدر الوحيد رغم كونه من أهم المصادر التي تستمد الشريعة الإسلامية منها مادتها. قد اوضح سبحانه منهاج عبادته من خلال الكتب التي أَنزلها على انبياءه، ونحن الآن بصدد القرآن الكريم الكتاب الخاتم الذي جعله الله تعالى مهيمناً على باقي الكتب وأعطاه أعظم خلقه محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) وجعل سبحانه من هذا الكتاب (القرآن) منهاجاً للمسلمين ليهتدوا به من الضلال ويعرفوا خالقهم من خلاله وقد أوضح الله في هذا القرآن كل شيء يحتاج إليه الناس ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ﴾[1]، يحتجون بها على الله إذا ضلوا الطريقَ وانحرفوا عنه ﴿فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[2]، وقد اكد الأئمة المعصومون على ان القرآن حاوي على كل ما يحتاج إليه الناس؛ فقد جاء في رياض السالكين ج٥ عن أمير

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

المؤمنين (عليه السلام): «إن في القرآن علم ما مضى وعلم ما يأتي إِلَى يوم القيامة أو حكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون فلو سألتموني عنه لعلمتكم».

و أمّا المصدر الثاني فهو الحديث النبوي الشريف ـ بنص القرآن الكريم ـ، وكذلك أحاديث عترته الطاهرة (عليهم السَّلام)ـ بنص النبي محمد (صلى الله عليه و آله وسلم). ولا ريبَ أنّ الموروث الإسلاميّ من المعارف يتكوّن من القرآن العظيم و السنّة الشريفة معاً، لأنّ القرآن هو كلام الله، و كتابه الذي أوحاه إِلَى رسوله (صلى الله عليه و آله وسلم)، أرسله هدىً للناس، و السنّة هي إرشادات الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) طوال فترة النبوّة المقدّسة، فهما يكوّنان العمود الفقريّ للإسلام، و بمعرفتهما يتمّ الدين الإسلاميّ، وهما متعاضدان.

أ- (هجر القران):

قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[1]. قال أهل التفسير: (والهجر للقرآن على مراتب أربع: هجر للإيمان به، وهجر للفهم والتدبر، وهجرٌ للقراءة، وهجر للعمل.

والناس على أقسام أربعة من كتاب الله تعالى: فمن الناس من يتلو كلام الله حق تلاوته ويتدبره ويعمل به، فهؤلاء هم السعداء حقاً، وهؤلاء هم المؤمنون حقا، الذين يتلونه حق تلاوته.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

ومن الناس من لا يؤمن به أصلا ولا يلتفت إليه، فلم يقرأه وينظر إليه، وإن قرأه وتفهمه فمن غير إيمان وتصديق ولو أُعجب به كما قال المشرك الجاهلي الأول: سجدت لفصاحته، وكما قال أحد أرباب الشعر الحديث: إنما أُؤمن من القرآن ببلاغته وفصاحته.

فهؤلاء قد توعدهم الله بأشد الوعيد، وبشّرهم بالذلة والعذاب يوم الدين، و قبل ذلك بشرهم الله بالخزي والضنك في الدنيا، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]. أي في الدنيا. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2]. ومن الناس: من يؤمن بالقرآن، ولكنه لا يتلوه ولا يقرأه إلا نزراً يسيرا، وهذا هجرٌ عظيم للقرآن، وخذلان عظيم.

ومن الناس من يؤمن بالقرآن ويتلوه، ولكن من غير تدبر وفقه في معانيه، ومن غير اعتبار وخشية، ومن كان هذا ديدنه، وهو لم يتلُ كتاب الله حق تلاوته، وفعله أشبه بفعل اليهود، الذين ذمهم الله بقوله: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[3]. قال أهل التفسير: أي يتلونه تلاوة مُجرّدة، عن الفهم والعمل.

لقد تعددت صور تقصيرنا في تلاوة كتاب الله، فمنا مَن يقرأ القرآن وكأنه يقرأ كلام بشرٍ مثله، ومنا من يقرأ وكأن المخاطب أحدٌ غيره، وبعضنا

---

(١)سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

يقرأ القرآن وهو ساهٍ لاهٍ غافل القلب، وأصبح كثير منا يقرأ القرآن وهمه الوصول إِلَى آخر السورة أو الجزء.

كان (صّلى الله عليه وآله وسلم) إذا قرأ القرآن أثَّرَ في مستمعيه، وأشعرهم وكأنَّ الآيات المباركة تنزل على قلوبهم مباشرة، قرأ سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة، فلما وصل إِلَى قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا ۞ قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ ۞ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ ۞ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ۞ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[1]. شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه؛ وإذا قرأ (صّلى الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى في نهاية سورة القيامة: ﴿أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى﴾[2]. قال (صّلى الله عليه وآله وسلم): «سبحانك اللهم وبلى»، أما في هذا الزمان فيُقرأ القرآن من أوله إِلَى آخره، من فاتحته لخاتمته، فلا يُحرك في القلوب ساكناً.

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١-٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١-٧٥.

التفكر في كتاب الله باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يقفله العبد بفعله، قال الزهري: كان علي بن الحسين (عليه السّلام) إذا قرأ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1]. يكررها حتى يكاد يموت.

التفكر براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد مولاه، وما أعده الله من النعيم المقيم.

التفكر لكلام الله أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يصل إِلَى القلب، وأسمى ما يتعلق به العقل الواعي. يُحيي نفوس الناس ويكشف عنها العناء.

إنَّ هذا القرآن أرضٌ طيبة معطاء، وهي تعطي من خيرها كلَّ من يمرُّ عليها، إلا أنَّ عطاءها بمقدار ما يمنحها الإنسان من نفسه وعقله وفكره، فليس من مرَّ بالقرآن عابراً كمن صادقه، وليس من صادقه كمن عايشه، وليس من عايشه كمن عاش به حتى كأنَّ خلقه القرآن.

ب – (هجر العترة):

عن أحمد في مسنده، رواه من حديث أبي سعيد الخدري ، ورواه ابن أبي عاصم في كتاب (السُّنَّة) ورواه أبو يَعلى والطبراني في الكبير، ولَفْظُه: «اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتابُ الله عز وجل حبل ممدود من السماء إِلَى الأرض وعِترتي أهل بيتي»[2].

جاء في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: قام رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة و

(١) سورة الفاتحة، الآية:٤.

(٢) مسند أحمد: ٣/ ٣٩٤ / ح ١٠٧٤٧. لقد روى حديث الثقلين بضع وعشرون صحابياً.

المدينة، فحمد الله تعالى و أثنى عليه، و وعظ و ذكَّر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»،فحثَّ على كتاب الله و رغَّبَ فيه، ثم قال: «و أهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي»[1].

حدثنا أبو النَّضر، حدثنا محمد ـ يعني ابن طلحة ـ، عن الأعمش، عن عطيَّة العَوفي، عن أبي سعيد الخُدْري، عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، قال: «إنّي أُوشكُ أن أُدعى فأُجيب، و إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَين، كتابَ اللهِ عَزَّ و جَلَّ، و عِتْرَتي، كتاب الله حَبلٌ ممدود من السماء إِلَى الأرض، و عترتي أَهْلُ بيتي، و إنَّ اللطيف الخبير أَخبرني أَنهما لَن يفترقا حتى يَرِدا عليّ الحوض، فَانْظُرُوني بِمَ تَخْلُفُونِي فيهما»[2].

ويشهد التاريخ بأن عمر بن الخطاب و هو المنادي الأول بـ(حسبنا كتاب الله) و في رواية رابعة للبخاري، أن النبي قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده».

قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع و عندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا و أكثروا اللغط.

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٧٣/٤، برقم ٢٤٠٨، طبعة عبد الباقي، و أيضا طبعة: دار احياء التراث العربي، و دار القلم، بيروت / لبنان.

(٢) مسند أحمد: حديث: ١٠٧٠٧، والثقلين: المراد كتاب الله و أهل بيت الرسول، عترتي: أهل بيتي، و يراجع الحديث في صحيح مسلم، إذ أخرجه في: ٤ / ١٨٧٣، عن زيد بن أرقم.

قال النبي: قوموا عني و لا ينبغي عندي التنازع[1].

والجواب واضح في كتب المسلمين عندما روى الحديث مسلم في صحيحه[2]. عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله فأثنى عليه، ووعظ وذكّر ثم قال : «أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، هذا لفظ مسلم، ورواه أيضاً بهذا اللفظ الدارمي في سننه[3]. بإسناد صحيح كالشمس، وغيرهما أما لفظ (وسنتي) لا شك بأنه موضوع لضعف سنده ووهائه ولعوامل أموية أثرت في ذلك فكيف يقترن القرآن الكريم بالسنة التي لم تدون الا بعد ١٥٠ سنة من موت الرسول (صّلى الله عليه وآله وسلم).

فلقد منعت من التدوين وأحرقت على زمن الخلفاء وحجتهم خوفهم الاختلاط بالقرآن كما يدعون فالقرآن كتابة وكذلك السنة مكتوبة فلابد للكتابة من تفسير وتصحيح من لدن العترة فهم القرآن الناطق الملازم للقران إِلَى يوم القيامة لأنهم لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

---

(١) صحيح بخاري: ١ / ٣٧.

(٢) صحيح مسلم ٤/٣٧٨١ برقم ٢٤٠٨ طبعة عبد الباقي.

(٣) الدارمي في سننه ٢/٤٣١ – ٤٣٢.

تلازم القرآن و العترة

التلازمُ و الاقترانُ بين القرآن و العترة الطاهرة، و هم أهل البيت (عليهم السَّلام) كما أنَّ القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فالعترة من أهل البيت (عليهم السَّلام) كذلك، فهم معصومون، و إلاّ لصدق الافتراق، و ذلك ما نفاه الرسول (صّلى الله عليه وآله وسلم) صراحة حيث قال: «لَن يفترقا حتى يَرِدا عليّ الحوض».

والتمسك بالقرآن الكريم و العترة الطاهرة (عليهم السَّلام) والعمل بهما معاً هو العاصم من الضلال، و الضامن لعدم الانحراف عن النهج الإلهي، و لأن المراد من التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه، فكذلك التمسك بالعترة الطاهرة من أهل البيت هو الأخذ بتعاليمهم (عليهم السَّلام).

وكما إن القرأن هو الهادي من الضلال كذلك أهل بيت الرسول الأئمة (عليهم السلام) يشاطرونه في ذلك فقد وردَ عن الرسول الأعظم الحديث المتواتر الذي يذكره السنة والشيعة قوله (صلى الله عليه و آله وسلم): «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أَبداً » وهنا انقسم المسلمون في تعاملهم مع الثقلين إِلَى قسمين، فقسم تمسكوا بالقرآن ظاهراً وتركوا العترة وقالوا حسبنا كتاب الله وهم (المخالفون) وقسم تمسكوا بالعترة والقرآن وهم (الشيعة الإمامية).

لا بُدَّ للمسلمين من الرجوع إِلَى النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) لمعرفة التفسير الصحيح للقرآن الكريم بنص القرآن، و إِلَى عترته الطاهرة

(عليهم السَّلام) بعد وفاته بنص القرآن الكريم، و بصريح أحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه و آله وسلم) كحديث الثقلين و الأحاديث الأخرى، و لا يمكنهم الاستغناء عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) و عن سنته الصحيحة، و عن عترته الطاهرة (عليهم السَّلام) أبداً، حيث أنهم عِدل القرآن، و الثقل الأصغر.

وعند دراسة وتحليل حقيقة الخلاف نجد أن ما وقع في السقيفة هو منشأ الخلاف فقد أبعد المؤتمرون الامام علياً (عليه السلام) عن موقع الخلافة، واعتبروا هذه النقطة نقطة فراغ تركها النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) لهم ليملؤوها حسب قناعاتهم، بالرغم من وجود النصوص الصادرة عن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) في علي (عليه السلام) والتي أوردها الرواة والمحدثون من مختلف الفرق والمذاهب فلم يكن الرسول ليغفل عن أهمية الخلافة وولاية أمر الأمة وخطورتها كما أنه لم يرو في تصريحاته (صّلى الله عليه وآله وسلم) ما يشير إِلَى أن الأمر من بعده شورى. ومبدأ الشورى الذي جرى في السقيفة لم يُلتزم به فيما بعد.

فقد ولّى أبو بكر عمراً من بعده توليةً، ورشَّح عمر بن الخطاب ستة أشخاص كان قد وضع من القيود والتهديد بالقتل ما ينهي النتائج بشكل قسري وفي الأحوال كلها، إِلَى وضع محدّد. فلم يكن للأمة رأي، ولا لعموم المؤمنين شورى.

فكأن مبدأ الشورى في السقيفة كان لإقصاء الامام علي (عليه السلام) عن موقعه الذي ثبتته الأدلة الواضحة والصحيحة من الكتاب والسنة.

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إِلَى ذلك في العديد من عباراته. وبعد هذا الإقصاء وتثبيته على واقع الوضع الإجتماعي والسياسي الفتي الناشئ للأمة، بعد وفاة قائدها الأعظم الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلم) ابتداءً أقرّ المؤتمرون بفضل علي (عليه السلام) وموقعه العلمي، وأنه المرجع الأول في الفتيا والقضاء، وأنّه لا يمكن أن تستغني عنه الدولة الناشئة والحكام. فكان الخليفة بنفسه يرجع إِليه ويسأله عن حكم المسائل والأقضية، وما صدر عن النبي (صّلى الله عليه وآله وسلم) أو نزل به الوحي والقرآن الكريم بشأنها، وقد صدرت عن عمر بن الخطاب بهذا الشأن تصريحات كثيرة متواترة مذكورة في كتب الحديث والتاريخ، يؤكد فيها أنه (لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب)[1].

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قامت على ما ورثه أئمة أهل البيت عن علي (عليه السلام) من علوم ومعارف تلقّاها عن رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم) وما صدر عنه من بيان للكتاب والسنّة، فآمنت بأنّه المرجع والحجّة عند الاختلاف، وبذا تبلورت دعائم هذه المدرسة و تشخّصت معالمها الأساسيّة. فكان لأئمة أهل البيت مدرستهم، وبيانهم

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ١٤٤ . ١٤٨.

للكتاب والسنّة، والتأسيس على ذلك، كما كان لبقية الصحابة والتابعين فهمهم للكتاب والسنّة أيضاً.

إنّ ما صدر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من علوم ومعارف هو امتداد للسنّة المطهرة؛ لذا فهو يمثل نصّاً شرعياً معصوماً عن الخطأ والزلل، وليس اجتهاداً قابلا للنقض باجتهاد آخر. وهذا يعني أنّ ما صدر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا يمثّل اتجاهاً مذهبياً، كالاتجاهات المذهبية الأخرى، بل يمثّل الفهم والبيان الواقعي لما حوى القرآن الكريم، ولما صدر عن الرسول الأمين (صّلى الله عليه وآله وسلم)؛ لذا كان امتداداً للسنّة النبويّة المطهّرة.

كل معاناة يعانيها البشر من فساد في كل بقاع الارض في كل المجالات بجميع جوانبها ومن أمثلة ذلك: (الجانب الديني، الجانب الاجتماعي، الجانب الأخلاقي، الجانب السياسي، الجانب الاقتصادي، الجانب الصحي، الجانب الإعلامي و...)، بسب هجر القران الكريم والعترة الطاهرة وعدم اخذ التشريع الصحيح منهما.

الترضي والترحم وترك التولّي والتبرّي

من مظاهر الانحراف في العالم الإسلام هو الترضي والترحم على أعداء أهل البيت (عليهم السلام) لقد شخّص أهل البيت (عليهم السلام) الداء، ووضعوا العلاج والدواء الناجح؛ لأنّهم الأطباء الذين أسندت إليهم السماء وضع العلاج المجدي لهذه الأمراض والمظالم التي تلفّنا من كلّ جانب في هذا العصر، ولذا جاء علاجهم (عليهم السلام) من أجل القضاء

أو الحدّ من هذه الأمراض المتفشّية في مجتمعنا في هذا العصر، التي أخذت تتوغّل في أعماق الجسم الشيعي.

لأن من خلال التبرّي من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) سوف يتجسّد الولاء المطلق لآل محمد عليهم صلوات الله في نفس الفرد الشيعي المؤمن، الأمر الذي يؤدّي إِلَى الثبات والمقاومة والوقوف بوجه كلّ دعوة تحاول النيل والمساس من أهل البيت عليهم صلوات الله؛ مهما كانت الظروف والمعطيات والأساليب.

تنطلق بعض الدعوات في هذا العصر، من أجل تهميش دور الإمام وحصره في الحاكميّة فقط، ومن هنا يأتي دور البراءة من أعداء أهل البيت(عليهم السلام) للوقوف بوجه هذه الدعوات، من خلال تحذير وترسيخ إعتقادنا بالمعصومين عليهم صلوات الله.

من خلال حثّ وتركيز أهل البيت (عليهم السلام) على ضرورة التبرّي من أعدائهم يتّضح لنا ماهو موقفنا من الظالمين: من معاداتهم؛ وحرمة التعاون معهم؛ ومقاومة منهاهجهم المنحرفة بشتّى الوسائل.

التولّي والتبرّي هو سرّ قوتنا وعزتنا وعقيدة أساسية من أساسيات الدين الاسلامي، والبناء الذي يجب إتباعة في فعاليات العقيدة، وهو العنصر الذي يربط بين أفراد المجتمع الشيعي مع بعضهم ويميزهم عن غيرهم، وإلاّ فحب أهل البيت (عليهم السلام) يدّعيه حتى المخالفين بل هو شعار على لسان حتى النواصب، إلاّ أنّه حب منقوص لا لون له، ولا طعم فيه ولافائدة عملية تترتب عليه؛ لأن من لا براءة له لا حب له فلا يجتمع في

قلب المؤمن حب الله وحب أبليس وحب الخير والشر؛ وحب الظالم والمظلوم؛ وحب القاتل والمقتول؛ وأهل البيت (عليهم السلام) و بني أمية و بني العباس وعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدة مخالفيهم.

إن التبرأ من أعداء وقتلة وظلمة أهل البيت (عليهم صلوات الله)؛ يحصن العقيدة الشيعية من الإنخداع والإنجرار والإنحراف وراء العقائد الفاسدة والمنحرفة والتي يقدس فيها من لا يستحق التقديس من الظلمة والقتلة والطواغيت.

ولعلّ السبب الذي يقف وراء بعض الدعوات المنبعثة من داخل البيت الشيعي من الترحم والترضي أو لإخفاء أو لتخفيف حالة التبرّي من أعداء آل محمد عليهم صلوات الله هو الشعور بعقدة الإنهزامية والتصاغر والضعف أمام المخالفين و الجهل بمنهج أهل البيت (عليهم السلام).

فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قيل له: إنّ فلان يواليكم، إلاّ أن يضعف عن البراءة من أعدائكم؟ فقال (عليه السلام): «هيهات، كذب مَن ادّعى محبّتنا ولن يتبرأ من عدوّنا»[1].

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الحسين بن خالد عن الرضا (عليه السلام)، قال: «شيعتنا المسلّمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا»[2].

---

(١) السرائر (المستطرفات): ٣/٦٤٠، عنه بحار الأنوار: ١٨/٥٨/٢٧.

(٢) المجلسي: ج٦٥، ص١١٩، حديث (٢٤) باب صفات الشيعة.

وبصدد عصر الغيبة نجد كثافة من النصوص الروائية التي تشير وتؤكّد على أهميتها في هذا العصر، ففي بعض الروايات يكون الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) المتبرّي من أعدائهم ممن يجعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من رفقائه وذوي مودّته ومن كرام خلق الله عليه، ففي الرواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صّلى الله عليه وآله وسلم): طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يتولّى وليّه، ويتبرأ من عدوّه، ويتولّى الأئمة الهادية من قبله، أُولئك رفاقي وذوو وُدّي ومودّتي، وأكرم أُمّتي عليّ»[1].

وهكذا يزفّ الإمام الكاظم (عليه السلام) البُشرى للموالين لهم والمتبرّئين من أعدائهم، ما يقوله: «طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبّنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أُولئك منّا ونحن منهم، وقد رضوا بنا أئمةً ورضينا بهم شيعة، طوبى لهم ثمّ طوبى لهم! هم واللهِ معنا في درجتنا يوم القيامة»[2].

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الأعمش عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد وهتكوا حجابه فأخذوا من فاطمة فدك، ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما، وهموا بإحراق بيتها، وأسسوا الظلم، وغيروا سنة رسول الله، والبراءة من الناكثين

(١) غيبة الطوسي: ٤٥٦/٤٦٦، عنه بحار الأنوار : ٥٢/١٣٠/٢٥.

(٢) كمال الدين: ٢/٣٦١/٥، عنه بحار الأنوار : ٥١/١٥١/٦، كشف الغمة : ٢/١٠١٨.

والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم واجبة، والبراءة من أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين واجبة، والبراءة من جميع قتلة أهل البيت واجبة»[1].

ندعو أن تكون نظرة أهل السنة ومن يتمسك بالسنة إِلَى (الشيعة الأمامية) نظرة فقهية وأخلاقية بحتة بعيدة عن العصبيات والتكفير والقتل، وان ينظروا إِلَى الخلافات الفقهية والعقائدية بيننا وبينهم نظرنا إِلَى الخلافات بين الأحناف والمالكية، والشافعية والحنابلة وباقي العلماء، وبذلك تضيق شقة الخلاف بين (الشيعة و مخالفيهم) وتزول هذه العصبيات البغيضة إِلَى الأبد وعند ذلك نكون قد وفينا ما امر الله به في كتابه الكريم من توحيد الصف الإسلامي ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[4].

وكذلك نقول. هذا يعني أنَّ هناك حقّاً يجب أن يكون معترفاً به في كلِّ الأحوال لذوي العقائد الدينية من منطلق التعاليم التي تتضمَّنها العقائد الدينية كلُّها تقريباً، هو حقُّ الدعوة والتبليغ على وجه التحديد، فهو حقٌّ لا يمكن التنازل عنه بالنسبة إِلَى كلِّ ذي عقيدةٍ آمن بصوابيَّتها وحقّانيتها في

(١) الخصال: ص٦٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

إطار ما يوفِّر له الحجَّة أمام الله سبحانه في اعتناق الدين الحقّ والدعوة إِليه ضمن حدود الحوار والتعايش السلمي.

وكمال قال العلامة حسين علي محفوظ في جوانب منسية: (الأفضل أن نفتح ابواب التفاؤل، ونسارع إِلَى حسن الظن، ولا نستعجل بالاتهام والتجريح والتليين والتضعيف والطعن والقدح والخوض في الانتقاص واحتمال البهتان والاثم والتكلم في الناس واصابتهم بجهالة، ذلكم أطهر للقلوب وخير زكاة وأقرب رحمة، والكلمة الطيبة كشجرة طيبة، وقد خاب من حمل ظلما ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[1].

وهنا أقول لايوجدُ نصٌ واحدٌ من الكتاب العظيم أو السنة المطهرة الثابتة أو أي كلام ينهض حجة شرعية بينه وبين الله سبحانه، يبيح للشيعي أن يقاتل السني حتى يتشيع، أو للسني أن يقاتل الشيعي حتى يتسنن، لا شيء من ذلك على الإطلاق، ولا شيء يدل على حكم الإِباحة في هذا المجال.

فحكم الاسلام بحرمة دم المسلم وماله وعرضه والثابت بصورة قطعية من الاسلام ولا خلاف فيه.

اللهم اجعلنا ممن تنبه قبل الرقاد، واستعد ليوم المعاد، وترك البغي والعناد، واهدنا برحمتك وفضلك لسبيل الرشاد، اللهم ارحمنا ولا تعذبنا، وانصرنا ولا تخذلنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وعافنا واعف عنا، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١٩.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يوفّقنا للإخلاص في ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ، وأن يجعلنا من العارفين بحقيقة مقامهم والمتمسّكين بولايتهم وأن يحشرنا مع محمد وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وزاد وبارك على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

انتهى الكتاب ولله الحمد.

فهرس المصادر

القرآن الكريم خير كتاب.

١. الاختلاف وأثره في التربية: الشيخ مهدي العطار (المتوفّي ١٤٢٦هـ) المطبعة برهان، منشورات دار الزهراء عليها السلام، الطبعة الاولى.

٢. أخلاق اهل البيت: السيد محمد مهدي الصدر (المتوفّي ١٣٥٨هـ) طبع قم، الاولى: ١٤٢٧هـ.

٣. الإرشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٢ هـ.

٤. الإشارات : الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفّى ٤٢٨ هـ (طبع طهران.

٥. الله يتجلّى في عصر العلم : مقالات بقلم ثلاثين من العلماء المتخصصين.

٦. الإلهيات : حسن محمد مكي العاملي من محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت ـ ١٤١٠ هـ.

٧. الإلهيات من الشفاء : الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفي ٤٢٨ هـ) منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ ١٤١٨ هـ.

٨. الأمالي : الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

٩. بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

١٠. البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي البحراني (المتوفّى ١١٠٧ هـ (قم المقدسة ـ١٣٧٥ هـ.

١١. تفسير الصافي : الفيض الكاشاني (المتوفّى ١٠٩١ هـ) نشر دار المرتضى،قم.

١٢. تلخيص الإلهيات : الرباني الگلپايگاني من محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق ٧، قم.

١٣ ـ تحف العقول لابن شعبة الحراني (ط مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ـ إيران سنة ١٤٠٤هـ) و (ط النجف الأشرف سنة ١٣٨٥هـ).

١٤. التوحيد : الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ . ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران.

١٥ . ثواب الأعمال : للشيخ الصدوق ، طبعة مكتبة الصدوق ، طهران.

١٦. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (المتوفّي ١٢٠٩ هـ) تحقيق: محمد كلانتر، تقديم محمد رضا المظفر، دارالنعمان للطباعة والنشر . النجف الأشرف .

١٧. جوانب منسية في دراسة السنة النبوية: للعلامة حسين علي محفوظ (المتوفي يوم الاثنين ١٩/ ١/ ٢٠٠٩ الموافق ٢٣ محرم ١٤٣٠هـ) منشورات ديوان الوقف الشيعي.

١٨. الحقائق في محاسن الأخلاق : الفيض الكاشاني (المتوفّى ١٠٩١ هـ) دار البلاغة، بيروت . ١٤٠٩ هـ.

١٩. الخصال: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفّي ٣٨١ هـ) تحقيق : علي أكبر الغفاري ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الاولى ١٤١٠ هـ.

٢٠. الذنوب الكبيرة : السيد عبد الحسين دستغيب ، الناشر، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) الطبعة السادسة، قم.

٢١. سفينة البحار : الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ . ١٣٥٩ هـ) طبعة حجر، النجف الأشرف.

٢٢ . شرح نهج البلاغة : شرح نهج البلاغة : عبد الحميد هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد ، دار الكتب العربية الكبرى . مصر ١٣٢٩ هـ. وطبعة أخرى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية . مصر ١٣٨٧ هـ.

٢٣ . صحيح البخاري:. محمد بن اسماعيل البخاري (المتوفّ ٢٥٦هـ) الناشر : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ق.

٢٤. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفّ ٢٦١ هـ) دار ابن حزم . بيروت ، الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ.

٢٥. ظاهرة شتم العلماء: تأليف أسعد تركي، مؤسسة الصدرين للدراسات الإستراتيجية.

٢٦. عقائد (اعتقادات) الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ . ٣٨١ هـ).

٢٧. عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي (المتوفّى ٨٨٠هـ) تحقيق: مجتبى العراقي ، مطبعة سيد الشهداء . قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .

٢٨. غرر الحكم ودرر الكلم: لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (مع ترجمة محمد علي الأنصاري . إيران).

٢٩. الغيبة: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفّى ٤٦٠ هـ) تحقيق : عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح . مؤسسة المعارف الإسلامية .

٣٠. الفقه المنسوب إلَى الإمام الرضا (عليه السلام) ، ط/مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم ، الطبعة الاولى ، سنة ١٤٠٦ هـ.

٣١. الكافي : محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران . ١٣٩٧ هـ.

٣١٢ كنز العمال: المتقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥) تحقيق : محمود عمر الدمياطي . الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ ق.

٣٣. كشف المراد : العلاّمة الحلّي : الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (٦٤٨ . ٧٢٦ هـ) منشورات مؤسسة الإمام الصادق ٧، قم . ١٤١٧ هـ.

٣٤. كمال الدين وتمام النعمة : الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) تصحيح وتحقيق : علي أكبر الغفاري . نشر : مؤسسة النشر الإسلامي . الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ.

٣٥. لسان العرب : ابن منظور : محمد بن مكرم (٦٣٠ . ٧١١ هـ) قم المقدسة . ١٤٠٥ هـ.

٣٦. المبدأ والمعاد : صدر المتألّهين محمد الشيرازي (المتوفّى ١٠٥٠ هـ) طبعة حجر . ١٣١٤ هـ.

٣٧. مجمع البيان : الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٧١ . ٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت . ١٤٠٨ هـ.

٣٨. المحاسن : البرقي : أحمد بن محمد (المتوفّى ٢٧٤ هـ) طهران . ١٣٧٠ هـ.

٣٩. المسند : أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.

٤٠. معاني الأخبار : الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ . ٣٨١ هـ) دار المعرفة، بيروت . ١٣٩٩ هـ.

٤١. مفاتيح الجنان : الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ـ ١٣٥٩ هـ) مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٤٢. مقالات الإسلاميين : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفّى ٣٢٤ هـ) الطبعة الثالثة، المانيا . ١٤٠٠ هـ.

٤٣. ميزان الحكمة محمد الريشهري تحقيق ونشر : دار الحديث ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ.

٤٤. مُنية المريد، الشّهيد الثّاني، مكتبة الإعلام الإسلامي ١٤٠٩هـ .ق.

٤٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة : احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٥ هـ.

٤٦. من لا يحضره الفقيه: الشيخ ابن بابويه الصدوق القمي (المتوفّى ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٤ هـ .

٤٧. ٣٦٧ الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر : رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (المتوفى ٦٦٤هـ) منشورات مؤسسة الاعلمي بيروت ، مجلد واحد من القطع الصغير في ٢٢٤ صفحة .

٤٨. الميزان في تفسير القرآن : العلاّمة محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١–ـ ١٤٠٢ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت . ١٤٠٣ هـ.

٤٩. نهج البلاغة : جمع الشريف الرضي (٣٥٩ . ٤٠٦ هـ) بيروت . ١٣٨٧ هـ.

٥٠. تفصيل وسائل الشيعة إلَى تحصل مسائل الشريعة: محمد الحرّ العاملي (المتوفّى ١١٠٤ هـ ق)ـ تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.

٥١ . الوافي للفيض الكاشاني: الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ ق ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام باصفهان.

المحتويات	
المقدمة	٤
الفصل الأول	
الوحدة الاسلامية	٨
الاعتصام بِحَبْلِ اللَّهِ منجاةٌ من الفتن	٨
ولا تنازعوا فتفشلوا	١٧
مراعاة الأخوة الإسلامية	٢١
حقيقة الخلاف والاختلاف يامسلم	٢٨
الاصلاح مسؤولية الجميع	٣٩
الفصل الثاني	
تنبيهات اخلاقية	٤١
الأخلاق تاج العلوم	٤١
خطر الرياء على النفس والامة	٤٣
التسويف بحر الهلكى	٥٢
الغفلة أضرّ الأعداء	٥٩
يعلم الدنيا ويجهل الآخرة	٦٤
محاسبة النفس ضمان من الانحراف	٦٥
المعروف والأمر به و المنكر و النهي عنه	٦٨

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٣
آثار الأمر والنهي على الفرد	٧٤
آثار الأمر والنهي العامة	٧٤
من لا يأمر ولا ينهى	٧٥
آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٦
مسؤولية الأمة جميعاً في الأمر والنهي	٧٧
قدر الأمر والنهي	٧٨
قاعدتان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٧٩
إيقاظ وتذكير	٨٠
الحلف بالله في الأسواق	٨١
عدمُ إتقان العبادات	٨٢
التكاسل عن الصلاة في وقت العمل	٨٣
الربا والمكر والبخس	٨٤
التعلق بغير الله	٨٥
انت صاحب التغير	٨٧
السعي في قضاء حوائج الناس	٩٤
شرب الخمر لايزيد شاربه إلاّ كلّ شر	١٠٠
لماذا يعصي الناس ربهم؟	١١٣
تسلب عقول الناس في آخر الزمان	١٢٥
الله حبيب قُلُوب الصّادِقِينَ	١٣١

خطر الغيبة على الأمة من أكلة لحوم البشر	١٣٤
الأسباب الباعثة على الغيبة	١٤٠
فتنة المال	١٤٢
الخشوع في الصلاة	١٥٠
نماذج لمدرسة الخشوع في العبادة	١٥٤
فُشوُّ الرذائل	١٦٠
لماذا طول الحياة الدنيا ؟	١٦٢
في دولة الإسلام الإعلام فاسد	١٧٣
أضرار التدخين من منظورات متعددة	١٧٣
ماذا تعمل قبل الموت	١٧٢
نصيحتي لصديقي المؤمن	١٨٥
الفصل الثالث	
الأسرة والانحراف	١٩٣
التجمل والزينة لغير الزوج	١٩٣
انحراف اللباس والحجاب	١٩٣
المغالاة في المهور	١٩٧
الخضوع بالقول	١٩٩
التشبه بالرجال	٢٠٠
تقليد اهل الفن	٢٠١

الطلاق المزاجي	٢٠٢
أهم أسباب ظاهرة الطلاق	٢٠٩
آثار ظاهرة الطلاق	٢١٣
عدم تعليم الزوجة	٢١٥
المعلمات والمدرسات	٢١٦
الاختلاط والاثارة	٢١٧
الاختلاط في التعليم الجامعي	٢٢٠
علاج مشكلة الاختلاط	٢٢٧
الأب الناجح في التربية	٢٢٨
الفصل الرابع	
ضوابط المشاركة السياسية	٢٣٥
الأحزاب في الإسلام	٢٣٥
الفصل الخامس	
في ذكرِ العلماءِ والخطباء وطلبةِ العلم وتوجه عامة الناس	٢٤٢
السخرية والاستهزاء بالعلماء	٢٤٢
قُلِ الحقَّ واصدع به	٢٥٢
التربية والعمل بالرأي	٢٥٤
الاستبداد عند الخطباء	٢٥٤
العلم إمام العمل يامسلمين	٢٥٨

الحكم بغير ما انزل الله	٢٦٣
الفصل السادس	
القرآن والعترة	٢٦٩
ترك الوصية الكبرى	٢٦٩
(هجر القرآن)	٢٧٠
(هجر العترة)	٢٧٣
تلازم القرآن و العترة	٢٧٦
الترضي والترحم وترك التولّي والتبرّي	٢٧٩
فهرس المصادر	٢٨٦
المحتويات	٢٩٠